المارشال إرفين
روميــــــل
(ثعلب الصحراء)

اسم الكتاب : روميــــــــل

اسم المؤلف : يوسف ابو الحجاج الأقصري

اسم الناشر : مكتبة زهران ـ دار الراوي

رقم الايداع : 15480 / 2017

الترقيم الدولي : 978-977-349-089-8

سلسلة أشهر القادة
العسكريين في التاريخ

المارشال إرفين

روميل

(ثعلب الصحراء)

أشهر قائد مهزوم

يوسف أبو الحجاج الأقصري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وبعد

هذا الإصدار يتحدث عن أحد أشهر القادة العسكريين في العالم اطلقوا عليه لقب «ثعلب الصحراء) خلال الحرب العالمية الثانية أنه (إيرفين روميل)، ولد في 15 نوفمبر 1891م في مدينة «هايدنهايم» الألمانية، كان يلقب بثعلب الصحراء، كان قائداً ألمانياً أثناء الحرب العالمية الثانية في العلمين في الصحراء الغربية، توفى في 14 أكتوبر عام 1944م.

خسر حرب العلمين فى «مصر» على يد الجنرال الإنجليزى «مونتجمرى» قائد الجيش الثامن البريطانى (فئران الصحراء) في أكتوبر 1942م، ليس لعدم كفاءته أو لكفاءة خصمه، بل لعدم توفر دعم جوى لديه وكذلك نقص حاد فى الوقود، بينما كان خصمه يتمتع بتفوق جوى مطلق ونسبة قواته تعادل 3: 1، لصالح خصمه وقد اختلقت الدعاية البريطانية أسطورة مونتجمرى لتعزيز معنويات جنودها المهزوزة.

كان «رومل» قائداً يتمتع بحس تكتيكى واستراتيجى رائع قلما نجده بين القادة، شارك في حملة فرنسا 1940 وقاد الفرقة المدرعة السابعة (بانزر) التى سميت بالشبح، ويعتبر «رومل» واضع التكتيكات المستخدمة إلى يومنا هذا في قتال المدرعات حيث تم ابتكار معظم التكتيكات هذه في حملة شمال أفريقيا.

في 3 مارس عام 1943م قاد الفيلد مارشال الألمانى «رومل» القوات

الألمانية والإيطالية في معركة «ميدنين بالصحراء التونسية»، التى كانت آخر معاركة في شمال أفريقيا، وهى المنطقة التى شهدت أمجاده العسكرية عندما أحدث انقلابا في الفكر العسكرى بمناورات شديدة الإبداع أدت إلى تحقيق انتصارات كبيرة على القوات البريطانية وإجبارها على التراجع من ليبيا إلى مصر حتى منطقة العلمين شمال غرب مصر.

وكان «رومل» قد تولى قيادة القوات الألمانية والإيطالية الحليفة في شمال أفريقيا عام 1941، واستطاع استرداد ليبيا من قبضة البريطانيين بعد معارك خاطفة مما دفع الزعيم النازى «أدولف هتلر» إلى ترقيته لرتبة فيلد مارشال ليصبح أصغر ضابط يحصل على هذه الرتبة في الجيش الألمانى، ولكن الخلل الكبير في موازين القوة بين القوات الألمانية التى يقودها والقوات البريطانية التى استطاعت الحصول على إمدادات هائلة قبل معركة العلمين، في الوقت الذى كانت القوات الألمانية تفتقد حتى إلى الكميات الكافية من الوقود اللازم لتسيير المركبات والمدرعات، الأمر الذى قيد حرية «رومل» في ممارسة هوايته المفضلة وهى المناورات السريعة والمفاجئة، فكانت النتيجة هى هزيمة الألمان في معركة العلمين لتتخذ معارك شمال أفريقيا اتجاهاً معاكساً، حيث توالت هزائم الألمان واضطروا إلى التراجع إلى ليبيا، ولكن القوات البريطانية واصلت الضغط على قوات «رومل» فتراجع إلى الصحراء التونسية حيث اشتبك في معركة مع قوات الحلفاء في منطقة ميدنين التونسية، وانتهت بهزيمته أيضا فأمر «هتلر» بإعادته إلى ألمانيا خاصة وقد ترددت أنباء عن انتقادات رومل لقيادة «هتلر».

وبعد عودته إلى ألمانيا، ألقى القبض عليه بتهمة التآمر على حياة «هتلر»، حيث خيره الزعيم النازى بين تناول السم والموت منتحرا والإعلان عن وفاته

متأثرا بجراحه ليحتفظ بشرفه العسكرى، أو يقدم إلى محكمة الشعب بتهمة الخيانة فاختار الأولى وانتحر في الرابع عشر من أكتوبر عام 1944م.

كان عظيماً في حياته وترك مذكراته بعد مماته في هذا الإصدار نقدم أيها القارئ الكريم، لك مذكرات «رومل» التى تكشف لنا عن أخطر أسرار الحرب العالمية الثانية، ونجاح استراتيجية حرب الصحراء، وسيظل التاريخ يذكر العظماء دوما.. وسنظل نتذكر (رومل) ثعلب الصحراء كلما مررنا بمنطقة (العلمين) في مصر.. وكلما تم ذكر اسم «ثعلب الصحراء». وقد يجد القارئ تكرار كلمة (بانزر) وهي تفي فرق المدرعات الألمانية.

تمنياتى بقراءة ممتعة لتلك الشخصية العسكرية والإنسانية التى عملت تحت قيادة «هتلر».

والله الموفق والمستعان

يوسف أبو الحجاج الأقصري

الفصل الأول

بطاقة تعارف

الاسم بالكامل:- إرفين يوهاس ايوغين رومل

الجنسية:- المانى

اللقب:- ثعلب الصحراء

الانتماء العسكرى:- الامبراطورية الالمانية (الجيش الامبراطورى الالمانى) ثم القوات المسلحة الالمانية.

أخر رتبة عسكرية:- مشير

تاريخ الميلاد:- 15 نوفمبر 1891م من أسرة بروتستانتية

مكان الميلاد: هايدنهايم -الامبراطورية الألمانية قرب ستوتغارت

تاريخ الوفاة:- 14 أكتوبر 1944م ومات منتحراً

مكان الوفاة:- هيرلينفن -المانيا النازية.

سنوات الخدمة العسكرية من 1910م 1944-م

أشهر معاركة العسكرية:

أولاً أثناء الحرب العالمية الأولى

1 - أولى معارك الارغون 1915

2 - هجوم كارباثيان 1915

3 - معركة كابوريتو 1917

ثانيا: أثناء الحرب العالمية الثانية

1 - معركة فرنسا

2 - معركة أراس

3 - حملة شمال أفريقيا

4 - حصار طبرن

5 - معركة عين الغزالة

6 - معركة بئر حكيم

7 - معركة العلمين الأولى

8 - معركة علم حلفا

9 - معركة العلمين الثانية

10 - معركة مدنين

11 - معركة ممر القصرين

12 - معركة النورمندى

اصاباته العسكرية:- أصيب ثلاث مرات أثناء المعارك التى خاضها

الأوسمة: حصل على وسام الفارس الحديدى

(معلومات سريعة)

- التحق روميل بفوج المشاة الرابع والعشرين كضابط عسكرى عام 1910.

- التقى روميل وزوجته لوسى وتزوجا في 27 أكتوبر 1916 في دانزيغ في بولندا وانجبا ولدهما الوحيد مالفريد في 24 ديسمبر 1928م.

- مع بداية الحرب العالمية الثانية رقى روميل إلى قائد قوة حراسة هتلر الشخصية.

- شارك في عام 1939 في الغزو النازى لبولندا

- في عام 1940 تولى روميل منصب قائد التشكيل السابع لقوات البانزر وشارك في غزو فرنسا وبلجيكا وفى نفس العام أوكل (هتلر) روميل لقيادة الفرقة السابعة بانزر وذلك في 6 فبراير شباط 1940 قبل ثلاثة أشهر من غزو فرنسا وهولندا.

- في عام 1941 تم تكليف روميل بدعم القوات الايطالية في شمال أفريقيا حيث حقق روميل انتصارات عديدة وصلت أنباءها إلى هتلر الذى أقر بترقية (روميل) إلى رتبه المشير...

- أراد روميل سحب الجيش الألمانى من شمال أفريقيا في صيف 1941م لأنهم لن يستطيعوا مواجهة صيف شمال أفريقيا الساخن جداً ولكن هتلر رفض طلب (روميل) بل وأمر هتلر بأن يهاجم الجيش الالمانى العاصمة المصرية (القاهرة) وقناة السويس وبالفعل بدأ الجيش الألمانى بالاتجاه إلى الاسكندرية حتى أوقفته القوات البريطانية على بُعد مائتى كيلومتر من الاسكندرية (في العلمين) والتى كانت هزيمة كبرى لقوات (روميل)...

- فى 3 مارس 1943م قاد إرفين روميل القوات الألمانية والايطالية في معركة (مدنين) بالجنوب التونسى والتى كانت أخر معاركه في شمال افريقيا...

- في 20 يوليو 1944 بعد عودته إلى المانيا القى القبض عليه بتهمة التآمر على حياة هتلر بعد ان ثبت ضلوعه في محاولة اغتياله في مقر قيادته في بروسيا الشرقية حيث خيره الزعيم النازى هتلر ما بين تناول السم أو الموت منتحراً والإعلان عن وفاته متأثراً بجراحه ليحتفظ بشرفه العسكرى أو يقدم إلى محكمة الشعب بتهمة الخيانة فاختار روميل الاختيار الأول وانتحر في الرابع عشر من أكتوبر 1944 وذلك بابتلاع أقراص سيانيد سامة وكان قد اخبر زوجته وابنه بهذا الأمر، وتم دفنه بمراسم عسكرية في غاية الأهمية محتفظاً بجميع رتبه وأوسمته العسكرية...

أولى معاركه كقائد عسكرى
(حملة فرنسا عام 1940)

كان غزو فرنسا عام 1940 هو أسرع زحف عسكرى حدث في ذلك الوقت وشارك فيه القائد (رومل) بفرقة عسكرية كان يقودها (الفرقة 25 بانزر)

وقد كانت الأحداث العسكرية في تلك المعركة متسارعة وحازمة ففي اليوم العاشر من شهر مايو آيار عام 1940م أعطى (هتلر) أوامره بالهجوم الكاسح على جبهته الغربية وفى يوم 13 مايو (ايار) من نفس العام 1940 بدأت المرحلة الحاسمة من هذه الماساة التى هزت العالم وذلك عندما اجتاز فيلق القائد (جوديريان) المدرع نهر الموز الواقع على مقربة من (سيدان) كما اجتازته أيضاً فرقة القائد (رومل) المدرعة بالقرب من (دينانت) وأدى هذا إلى إيجاد ثغرات ضيقة تحولت بعد ذلك إلى فجوة واسعة دخلت من خلالها الدبابات الألمانية حتى وصلت إلى شاطئ البحر وبذلك تكون قد عزلت القوات المعادية في بلجيكا وأدت تلك الكارثة إلى انهيار فرنسا عسكريا وعزل بريطانيا أيضاً، وكان الاعتقاد السائد في ذلك الوقت أن الجيوش الالمانية متفوقة بشكل كبير على قوات الحلفاء من ناحية العدد ولكن الحقيقة لم تكن كذلك بل كانت العكس فقد بدأ هتلر الهجوم بحوالى (136 فرقة) يقابلها على الجانب الآخر (156) فرقة للفرنسيين والبريطانيين والبلجيك والهولنديين ولم تكن القوات الالمانية متفوقة إلا في الطيران أما الدبابات فقد كانت لدى الألمان أقل من 2800 دبابة مقابل 4000 دبابة لدى الحلفاء وامتاز الالمان بالهجوم الجوى والسرعة التى استخدموا فيها دباباتهم

والأسلوب الكاسح السريع الذى استطاعوا ابتكاره وكانت الفنون القتالية للقائد (روميل) لها تأثيرها المباشر في احراز نصر سريع للألمان، وكانت الفرقة الألمانية التى يبلغ عددها 136 فرقة منها 10 فرق مدرعة فقط استخدمت كرؤوس حراب في غزو فرنسا واستطاعت أن تبرز فى هذه المعركة لحين وصول باقى الحشود الالمانية إلى ميدان المعركة وكان ممكنا وقف هذا النصر لولا الانهيار المعنوى الشامل الذى ساد القادة والقوات الحليفة...

- كان (رومل) يقود الفرقة السابعة المدرعة والتى تضم 218 دبابة ولم يقابل في اليوم الأول للهجوم إلا مقاومة خفيفة فقد كان معظم الجيش البلجيكى محتشدا للدفاع عن سهول بلجيكا ومدنها الرئيسية أما مسألة الدفاع عن منطقة التلال والاحراش فقد قامت بها القوات الخاصة المسماة بـ (الصياد) فقد كان عليهم صد الهجوم بقدر الإمكان لحين وصول القوات الفرنسية فقد كانت مهمة الجيش الأول والسابع للحلفاء ويشملان معظم الفرق الميكانيكية الفرنسية التقدم إلى الأمام بعيدا عن سهول بلجيكا بالتعاون مع القوات البريطانية وفى نفس الوقت يقوم الجيش التاسع بالتقدم في حركة التفاف داخل الحدود البلجيكية ثم ينتشر على طول نهر الموز من (ميزير) إلى (نامور) داخل الحدود البلجيكية ثم ينتشر على طول نهر الموز من (ميزير) إلى (نامور) يقول (رومل) فى مذكراته عن تلك الأحداث:-

راح العدو يهيئ في القطاع المواجه لفرقتى الموانع من كل نوع فسدوا كل الطرقات والممرات عبر الغابات وقاموا بعمليات النسف على نطاق واسع فى الطرق الرئيسية ولكن أغلب التحصينات فى الطرق لم يدافع عنها البلجيكيون لذلك لم تتوقف فرقتى وقتا طويلاً في أى مكان

إلا في حالات قليلة وبدأت كل القوات في العمل بسرعة للتعامل مع المواقع ومهدت الطريق في وقت قصير وعندما تصادمنا للمرة الأولى مع القوات الفرنسية الميكانيكية أجبرت النيران التى فتحناها عليها بسرعة وبكثافة عالية إلى اسكات نيرانهم وانسحابهم من مواقعهم».

- وقد تابعت قوات (رومل) المتقدمة زحفها بعد انسحاب الفرقتين الأولى والرابعة من الخيالة الفرنسية ووصلت إلى نهر (الموز) بعد ظهر يوم 12 مايو 1940 وكان هدف (رومل) وفرقته هو الإسراع بالعبور للنهر في أعقاب الفرنسيين واحتلال رأس الجسر على الضفة الغربية ولكن الفرنسيين نسفوا الجسور عند (دينانت وهوكى) في الوقت الذى بدأت فيه أولى دبابات (رومل) في العبور ولذلك اضطر (رومل) إلى الهجوم عبر النهر مستخدماً قوات محملة في قوارب من المطاط وقد بدأ هذا الهجوم في اليوم التالى لانسحاب القوات الفرنسية وهو 13 مايو 1940 وتكبدت قوات (رومل) خسائر كبيرة قبل أن تتمكن من تحقيق النصر...

- ويتابع (رومل) سرد تلك الأحداث في مذكراته قائلاً:-

- في يوم 13 مايو 1940 تقدمت أنا وقواتى إلى (دينانت) مع الكابتن (شيربيكر) قائد فرقة المدفعية وقد كانت مدفعية الفرقة قد أخذت مواقعها حسب الأوامر وكانت نقط مراقبتها الأمامية موجودة عند نقط العبور وكانت قنابل المدفعية الفرنسية تتساقط على المدينة من غرب نهر الموز ولم يكن هناك أى أمل في وصول عربات قيادتى واشارتى عبر الخط الحاد المؤدى لوادى الموز بدون ملاحظاتها لذا تقدمت أنا وشيربيلر سيرا على أقدامنا عبر الغابة إلى الوادى، وعند وصولى لم أجد الموقف مرضيا فالفرنسيون ينسفون قواربنا بنيرانهم الكثيفة مما أدى إلى توقف عملية العبور وكانت قوات العدو تنفذ قواعد

الإخفاء والتموية بكفاءة عالية فلم نتمكن من تحديد أماكنها وكانت توجه نيرانها المرة بعد الأخرى نحو منطقة قيادتى ومنطقة لواء المشاة وكتيبة المهندسين، واقترحت عمل ستار من الدخان في وادى (الموز) ليحمى قواتنا من نيران العدو ولكن لم يكن لدينا في ذلك الحين وحدات لتوليد الدخان، لذا أمرت بإضمار النار فى عدد من المنازل الموجودة فى الوادى لتوفير الدخان الذي نحتاجه ونتيجة لذلك ازدات نيران العدو قوة فى الوقت نفسه سقطت قرية (جرنج) الواقعة على بُعد ميل وربع غربى (هوكس) ونهر الموز، وثلاثة أميال شمالى غربى (دينانت) وذلك فى أيدى الكتيبة السابعة الألمانية من راكبى الدراجات إلا أنها لم تقم بتطهير النهر بشكل صحيح كما يجب لذلك أصدرت أوامرى بتطهير الصخور على الصفة الغربية من الأعداء.

– ثم قمت بصحبة الكابتن (شيربيلر) بالتحرك فى دبابة بانزر 4 على الطريق على طول وادى (الموز) لكى اراقب بنفسي الموقف وتعرضنا فى الطريق للنيران الموجهة من الضفة الغربية لمرات متكررة وقد جُرح (شيرببلر) في ذراعه من شظايا قنبلة، وفى نفس الوقت كانت فرق المشاة الفرنسية تستسلم فرادى أثناء اقترابنا.

– وعند وصولنا كانت الفرقة السابعة الألمانية قد نجحت في إرسال سرية عبر النهر إلى الضفة الغربية ولكن نيران العدو أصبحت من القوة بحيث دمرت معدات العبور تماماً فتوقف العبور وكان من الواجب رؤية الأعداء الذين يقاومون، ولم أجد أى أمل في أن تعبر قوات أخرى من غير أن تساندها المدفعية القوية والدبابات لتتعامل مع مخابئ العدو، لذلك عدت إلى رئاسة الفرقة حيث قابلت قائد الجيش (فون كلوجه) وقائد الفيلق (هوث) وبعد مناقشة الموقف أنا والماجور (هايد كامبر) أجرينا بعض التجهيزات اللازمة ثم تقدمت إلى قرية قريبة من (دينانت) لأراقب

عملية العبور هناك وأصدرت أوامرى بوجوب احضار بعض الدبابات بانزر وفرقة المدفعية عند نقطة العبور، وغادرت عربة القيادة ومشيت عبر المزارع المهجورة نحو (الموز) والقينا نظرة سريعة على الجسر الذى سده العدو بالواح من الصلب ذات أسنان حادة، وقمنا باستغلال توقف إطلاق النيران في وادى (الموز) فتقدمنا إلى اليمين وإلى نقطة العبور ذاتها وشاهدنا الكثير من دباباتنا وأسلحتنا الثقيلة تحتل مواقع إلى الشرق من المنحدر ولكن كان يبدو إنها استهلكت معظم ذخيرتها ومع هذا فقد وصلت الدبابات التى أمرت بإرسالها إلى نقطة العبور بعد وقت قصير وتلاها مدفعيات هاونزر من كتيبة (جريزمان).. وتمت تغطية كل النقط على الضفة الغربية بالنيران وبعد ذلك بمدة بسيطة إنهالت النيران إلى تل الصخور والمبانى من جانب قواتنا واستطاع الملازم (هانكه) اصابة الجسر بعدة اصابات مباشرة وتحركت الدبابات إلى الشمال بمحاذاة النهر وتحت ستار هذه النيران تحركت قوات العبور الخاصة بقواتنا مرة أخرى ببطء وشرعت في تنفيذ عملياتها ثم اتجهت شمالاً في غور عميق إلى السرية اينكفورت ولدى وصولنا سمعنا إنذاراً بأن دبابات العدو توجهت نحونا لمواجهتنا ولم يكن بحوزة فرقتنا أسلحة مضادة للدبابات فأصدرت أمراً بفتح نيران الأسلحة الصغيرة ضد الدبابات المعادية (بأقصى سرعة ممكنة) ولم تلبث الدبابات المعادية أن انسحبت إلى وادى يبعد حوالى ألف ياردة شمالى غربى (ليف)، واستسلمت أعداداً كبيرة من القوات الفرنسية التى كانت مختبئة في الأحراش.

- ويواصل (رومل) وصف ما حدث بعد ذلك قائلاً:-

ثم تقدمت ومعى (موست) إلى نهر الموز واتجهت للضفة الأخرى منه ثم إلى الشمال ومعى دبابه وعربة إشارة حتى وصلت إلى نقطة العبور وقد أبلغنى الكولونيل (سيكل) قائد الكتيبة المضادة للدبابات إنه تم نقل

عدد من المدافع المضادة للدبابات إلى الجهة الغربية، وقد لاحظت أن سرية من كتيبة المهندسين كانت منهمكة في اقامة معابر حمولة 8 طن فأوقفتهم عن العمل وطلبت منهم إنشاء معابر حمولة 16 طن وكنت أقصد من ذلك دفع جزء من الفريق المدرع للعبور إلى الناحية الثانية بأسرع ما يمكن وما أن انتهى المعبر حتى عبرته بسيارتى ذات الثمانى عجلات وفى نفس الوقت قام العدو بهجوم قوى وكانت أصوات ضرب مدافع الدبابات تُسمع من بعيد وهى تقترب من الجسر المقام على ضفة نهر (الموز)، وعندما وصلت إلى رئاسة الضفة الغربية، وجدت الموقف متدهور بالفعل فقد جُرح قائد كتيبة الدراجات وقُتل أركان حربة علاوة على إصابة قواتنا بخسائر فادحة نتيجة لهجوم فرنسى معاكس، وكان منتظراً أن تصل دبابات الأعداء إلى وادى الموز نفسه مما كان سيزيد من خطورة الموقف.

– فتركت عربة إشارتى وعبرت النهر مرة أخرى لأصدر أوامرى بنقل السرية الأولى المدرعة إلى الناحية الغربية من النهر على أن يتم ذلك أثناء الليل، وفى صباح اليوم التالى وجدت أنه لم يصل للجهة المقابلة سوي خمسة عشر دبابة.

– في صباح ذلك اليوم الموافق 14 مايو 1940 علمنا أن الكولونيل (فون بسمارك) قام بهجوم بالقرب من (أوتهاى) على بُعد 3 أميال غرب (دينانت) حيث اشتبك مع قوات كبيرة من قوات العدو وبعدها بقليل وصلت رسالة باللاسلكى تقول إن (بسمارك) قد حوصر تماماً فقررت أن أبادر إلى نجدته على الفور، وعليه بادرت إلى إرسال الفرقة 25 المدرعة بقيادة الكولونيل (روثنبورج) وتقدمت قرب وادى الموز بثلاثين دبابة ولم يصادف الكولونيل (روثنبورج) أى مقاومة حتى بلغ واذى على مسافة خمسمائة ياردة إلى شمالى شرق (اونهاى) يسمى وادي (أونهاى)

ثم علمنا برسالة أخرى تقول إن (بسمارك) قد وصل وليس محاصراً وهو الآن يحاول أن يدفع بسرية هجوم لتلتف حول الطرف الشمالى (لأونهاى) لتؤمن مخرجها الغربى وهذه العملية كانت ذات أهمية كبرى ولذلك وضعت خمس دبابات تحت تصرف (فون بسمارك) لتقوم بتغطية هجوم المشاة عند المضيق في غرب (أونهاى)، وأصدرت التعليمات (لروثبورج) ليتحرك علي جانبى الغابة ليدرك منطقة التجمع التي حددتها له ثم ركبت دبابة بانزر 3 وسرت خلفه على بُعد بسيط -وتحرك (روثبورج) ومعه الدبابات الخمس التى كانت تقوم بمرافقة المشاة وكان يتقدمنا بمسافة مائة أو مائة وخمسين ياردة وتبعه بعد ذلك فى التقدم حوالى عشرون أو ثلاثون دبابة، ووصل قائد الدبابات الخمس إلى سرية البنادق على الناحية الجنوبية لغابة (أونهاى) ولكنه لم يُسمع أى صوت لأسلحة العدو وبينما تقدم الكولونيل (روثبورج) من طرف الغابة نحو الغرب، فوصلنا إلى الناحية الجنوبية منها وكنا على أهبة الاستعداد لعبور مزرعة منخفضة على الطريق عندما بدأ العدو يقصفنا فجأة بنيران شديدة من الغرب، وأصيبت دبابتى بطلقتين وقد أصيبت أنا بجرح في وجنتى ولكن اصابتى لم تكن خطيرة، وفى هذا الوقت أحضر الملازم (موست) عربة إشارتى المدرعة إلى الغابة ولكنها كانت هى الأخرى قد أصيبت في محركها وتوقفت وبعد ذلك أصدرت أوامرى للدبابات بالسير عبر الغابة نحو الشرق وكانت السيطرة تامة على المعركة غرب نهر (الموز) والمرونة كاملة لمواجهة الموقف المتطور دائماً وذلك لأن التنسيق كان كاملاً بين قائد الفرقة ووحداته فضلاً عن تحركهم معه دائماً فتمكن بذلك من إعطاء أوامره مباشرة لقادة الآليات في أقصى الأمام ويمكن القول كما ذكر المؤرخون إنه: لقد أحدث (رومل) بتقدمه في ذلك اليوم صدعاً في الجبهة الفرنسية اسفرت عنها نتائج خطيرة،

فبعد ظهر ذلك اليوم كانت قوات (راينهاردت) المدرعة قد اجتازت نهر الموز عند (مونترميه) وقوات (جودريان) اجتازته عند (سيدان) ولكن (راينهاردت) لم يحتل إلا منطقة ضيقة وقد قاتل بضراوة للاحتفاظ بها ولكنه لم يتمكن من إنشاء جسر لعبور دباباته حتى وقت مبكر من يوم 15 مايو 1940 فضلاً عن أن (مونترميه) كان يمر في مكان ضيق يمكن قطعه بسهولة، أما قوات (جورديان) فكانت أكثر نجاحاً إذ تمكنت فرقة واحدة من فرقة الثلاث من إنشاء راس جسر كاف واسقطت مدفعيتها المضادة للطائرات حوالى 150 طائرة فرنسية وبريطانية وبذلك تمكنت من إزالة فاعليات القذف، وبعد ظهر ذلك اليوم 15 مايو 1940 كانت فرقة (جودريان) المدرعة قد اجتازت النهر (نهر الموز) لتصد الهجمات المضادة من الجنوب، ثم تحول (جودريان) إلى نقطة الاتصال بين الجيشين الثانى والتاسع الفرنسيين حيث بدأ ضغطه الشديد الذى تميز بالمهارة والتنفيذ،

وفى هذه الليلة بالذات اتخذ قائد الجيش الفرنسى قراراً خاطئاً ومميتا فأصدر أوامره بالتخلى عن نهر (الموز) وانسحاب الجيش التاسع إلى خط آخر نحو الغرب...

ويواصل (رومل) سرده لأحداث ذلك اليوم قائلاً:-

فى يوم 15 مايو 1940 قررت التقدم في خط مستقيم بقفزة واحدة نحو هدفنا على أن تقوم الفرقة 25 بانزر بقيادة باقى الفرق تسانده المدفعية والقاذفات المنقضة إن أمكن، وأعتمدت في الأساس على المدفعية لدعم جانبى التقدم باعتبار أن الفرق المجاورة كانت لاتزال بعيدة إلى الوراء، ورسمت خطة تقدم الفريق 25 المدرع بحيث يمر خلف مشارف (فيليبفل) مع تفادى كل اصطدام حتى نبلغ هدفنا، وبعد

إشتباك قصير مع دبابات العدو قرب (فلافيون) تقدمت فرقة البانزر عبر الغابات إلى (فيليبڤل) ومرت بمدافع وعربات كثيرة لإحدى الفرق الفرنسية التى هرب رجالها إلى الغابات عند وصول دباباتنا التى كبدتهم خسائر فادحة بفعل قاذفاتنا المنقضة وتمكنا من تدمير مدافع العدو المضادة للدبابات ودباباته وسياراته المدرعة، ثم وصلت ومعى (موست) للفرقة الموجودة في (فيليبغل) فوجدتها مشتبكة في قتال قرب (نيفيل)، وكانت المعركة متجهة نحو الجنوب وتأخذ شكل المطاردة ولم يكن في نيتى الاتجاه نحو الجنوب إلى أبعد من ذلك، فأمرت بوقف المطاردة على أن تستمر في التقدم إلى الشرق من «نيفيل» وعلى بُعد 500 ياردة إلى الجنوب من (فودسبة) التقينا مع جزء من سرية (هيتمان) المدرعة والتى إنضمت إلينا وإشتبكنا قرب هذه القرية مع قوة ضخمة من الدبابات الفرنسية ولكن المعركة انتهت بسرعة لصالحنا، وبعد رُبع ساعة وصلنا طريق (دينانت فيليبغل) الرئيسى حيث قابلت القوات القائدة التى كانت تتابع هجوم الدبابات من (سنزيل) على بُعد 4 أميال غرب (فيليفيل) وأسرنا مجموعة فرنسية من راكبى الدراجات المسلحين أثناء مرورهم أمامنا، واستمر سيرنا وتقدمنا بدون توقف نحو التلال إلى الغرب من (سيرفنثين) وأخذ الظلام يهبط ببطء فنظرت إلى الوراء من فوق التل إلى الشرق فرأيت سحبا من الغبار لا نهاية لها وهى بالطبع علامات مشجعه باعتبار إنها تشير إلى تحرك الفرقة السابعة المدرعة لاحتلال الأراضى التى استولينا عليها، ولكن العدو تمكن قرب العصر من التسلل ما بين الفريق المدرع ولواء المشاة فنجم عن هذا تأخر تقدم لواء المشاة...، وفى اليوم التالى 16 مايو (أيار) عام 1940 صدرت الأوامر من رئاسة الفيلق بأن أبقى في رئاسة فرقتى ولم أعلم السبب، ثم صدرت الي الأوامر بالتحرك وبعد أن وصلت إلى مقر قيادتى الجديدة تلقيت

تعليمات بوجوب التقدم عبر خط (ماجينو) شرط أن أصل في الليلة نفسها إلى التلال المحيطة (بأفيزن)، وبدأت أولى الكتائب فى التقدم بسرعة نحو (مسيفرى) حيث وصلتها بدون قتال وأخذت المدفعية الأرضية والمدفعية المضادة للطائرات أماكنها وتلقت أوامرها بصب نيرانها على الفور على مناطق معينة في الجانب الآخر من الحدود كى نرى هل سيحاول العدو الرد علينا أم لا.. وفى هذا الوقت وصل الفريق 25 بانزر وتلقى التعليمات بعبور الحدود واحتلال (كليرفيه) الواقعة على بُعد ثلاث أميال من مواقعنا ولم تلبث بعد ذلك أن بدأت مدفعيتنا في قصف تحصينات العدو دون أن ترد مدفعيته.

ويواصل روميل حديثه قائلاً:

وركبت في دبابة واجتزت الحدود الفرنسية بسرعة مع فرقتى ثم سارت الدبابات بعد ذلك على سهل نحو (كليرفيه) التى تبعد حوالى ميل واحد من الحدود الفرنسية وتلقينا إشارة من فريق الاستطلاع تُفيد بأن الطريق عبر (كليرفيه) مُلغم فتحولنا إلى الجنوب وسرنا عبر الحقول على شكل نصف دائرة إلى القرية، وفجأة على بُعد 100 ياردة منا رأينا قوة من الجنود الفرنسيين المسلحين واندفع هؤلاء الجنود بسرعة داخل استحكاماتهم المسلحة عندما أطلقت دباباتنا نيرانها وبعد لحظات قصيرة تعرضت دباباتنا القائدة لقصف شديد من المدافع الفرنسية المضادة للدبابات، كما فتحت الرشاشات الفرنسية نيرانها فكبدتنا بعض الخسائر في الجنود وفقدنا دبابتين، وفى ذلك الوقت اشتبكت قوة من الفريق 25 بانزر مع العدو غرب (كليرفيه) فأصدرت أمراً للمدفعية بفتح نيرانها مع إقامة ستار من الدخان على أماكن من خط (ماجينو)، وبعد قليل جاء راكبو فرقة الدرجات مع فرقة المهندسين

التابعة للكتيبة 37 المدرعة، وتقدمت فرقة المشاة والمهندسين تحت حماية نيران الدبابات والمدفعية إلى المنطقة المحصنة وبدأت فرقة المهندسين في تجهيز أعمال النسف للسدود الفولاذية التى كانت تعيق طريق تقدمنا ثم ألقوا بعبوة تزن 6 أرطال داخل الدشمه التى كان يتحصن بها جنود الأعداء ثم أمرنا العدو بالاستسلام ولكنهم رفضوا الخروج من الدشمة فألقينا بعبوة أخرى ولم يلبث أن خرج بعدها ضابط وخمسة وثلاثون جنديا ومع ذلك لم يستسلموا بل فروا هاربين تحت ستار رصاص الرشاشات الفرنسية التى ساعدتهم على ذلك وأخذ الليل يهبط ببطء إلى أن ساد الظلام فأصدرت أمراً بالتغلغل داخل المنطقة المحصنة والتقدم نحو (افيزن) إلى أبعد حد ممكن، وأصدرت أوامرى للدبابات بتغطية الطرق والأمكنة القريبة بنيران رشاشاتها ومدافعها خلال عملية تقدم قواتنا نحو (افيزن) على أن تتقدم بقية الفرقة المدرعة خلف الدبابات القائدة وعن قرب منها وتكون مستعدة في أى لحظة للضرب على الجانبين،،، ثم أخذت دباباتنا تتقدم في صف طويل مجتازة مواقع وتحصينات العدو بطريقها إلى المبانى المشتعلة بنيران قواتنا وبينما كانت مدفعيتنا تضرب القرى والطريق أمام الفرقة بمسافة كبيرة أمكننا زيادة سرعة تقدمنا تدريجيا وتوغلنا من 500 إلى 1000 ثم إلى 3000 ياردة داخل منطقة العدو المحصنة وعلى مسافة ميل إلى جنوب (سولرى لى شاتو) إجتزنا الخط الحديدى ثم سرنا نحو الطريق الرئيسى الذى بلغناه بعد ذلك بوقت قصير واستمر تقدمنا بسرعة ثابتة نحو هدفنا وكنت في كل وقت ألقى نظرة سريعة على الخريطة وارسل إشارة صغيرة إلى رئاسة الفرقة لأعلمها بالموقف وبنجاح الفرقة 25 البانزر في مهمتها ثم عبرنا خط (ماجينيو) وفجأة على يمين الطريق وميضى من تل يبعد حوالى 3000 ياردة ولم يكن لدينا ريب فى أنه

مدفع للعدو فأعلمت (روثبورج) بسرعة لينتبه، وأمرت الفرقة 25 بانزر لتزيد من سرعتها وتخترق هذا الخط الثانى للدفاع مع استمرار إطلاق النيران من اليمين واليسار ولكن لم يكن سهلاً وقف نيران العدو وعبرنا قرى (سارزيوتيرى) و(بيجنى) ومدافعنا تضرب يمينا ويسارا مما أدى إلى البلبلة بين قوات العدو إلى أن نجحنا في إسكات نيرانه وتحركنا نحو (سيموزيس)، وعندما وصلنا إلى (افيزن) التى قصفتها مدفعيتنا قبل وصولنا بوقت قريب رأيت السكان يسيرون على جانبى الطريق مذعورين بين العربات والمدافع أمام دباباتنا وأيقنت على الفور بوجود تشكيلات فرنسية قوية داخل المدينة.

ويستأنف (رومل) سرده لأحداث غزو فرنسا قائلاً

لم أوقف التقدم بل أمرت كتيبة الدبابات بالتقدم إلى الأراضى المرتفعة غرب (إفيزن) وذلك بهدف جمع الأسرى والعتاد الفرنسى، وعندما بلغت المشارف الجنوبية (لأفيزن) بدأ إطلاق النار علينا من الخلف من (افيزن) ثم لم نلبث أن رأينا ألسنة اللهب ترتفع من بعض الدبابات والسيارات المحترقة كما فقدنا الاتصال بكتيبة الدبابات التى كانت خلفنا وبكتيبة الدراجات السابقة، أما بالنسبة لقوات العدو الموجودة في (افيزن) فقد قامت بغلق الطريق الرئيسى بمساعدة الدبابات الفرنسية الثقيلة داخل المدينة، وحاولت الفرقة 25 بانزر والتى اقودها أن تشق طريقها ولكنها فشلت وتكبدت خسائر فادحة في الدبابات وازدادت حدة القتال في (افيزن) تدريجياً وتمكننا من الاتصال لاسلكيا بالكتيبة الثانية وأخيرا تمكن القائد (هانكه) من تحطيم جزء كبير من مقاومة الدبابات الفرنسية وتوقفت المعركة عند الفجر ولم أتمكن من الاتصال لأسأله هل أتابع تقدمى مستغلاً نجاح هذا الهجوم واستمر في اجتياز خط (ماجينو) عبر

نهر (السامبرر) أم لا؟ وأخيراً قررت الاستمرار في التقدم كى احتل معبر (السمبر) واحتفظ به وأصدرت أوامرى إلى جميع الوحدات لكى تتبعنا إلى (لاندريسى)، وقد ذهل الجنود الفرنسيون لظهورنا المفاجئ من خلفهم فألقوا بأسلحتهم ودمرنا كل دباباتهم التى في الطريق واستمرت قواتنا في التقدم دون توقف وكان الجنود الضباط الفرنسيون يستسلمون حال وصولنا إليهم وتقدمنا عبر (مaroليز) إلى أن وصلنا (لاندريسى) دون أن نلاقى أية مقاومة..

وعزمت على الاستمرار في التقدم نحو (ليكاتو) وتقدمنا نحو غابة طويلة يستخدمها العدو لتموين الذخيرة وقد فوجئ الحرس بوصولنا إليهم فاستسلموا على الفور، وفى (بوموريل) استسلمت القوات الفرنسية التى كانت تحتل التل الواقع إلى الشرق من (ليكاتو) مباشرة حيث توقفنا هناك.

الفصل الثانى

قصة مذكرات روميل وبداية احداثها

يقول مانفريد روميل الابن الاكبر لروميل والذى رافقه في بعض حملاته :-

ترك والدى بعد وفاته مجموعة من الوثائق التى جمعها أثناء حملاته، وكذلك ترك عددا من المجلدات تشكل مذكراته الشخصية عن حملة فرنسا عام 1940 ، وعن الحرب في الصحراء.

وبعد الحرب العالمية الأولى، نشر والدى كتاباً عن تكتيكات المشاة، وكان عازما، بلاشك أن ينشر كتاباً آخر عن القواعد العسكرية المستقاة من اختباراته في الحرب العالمية الثانية ومن اللحظة التى اجتاز فيها الحدود في 10 مايو 1940، بدأ في كتابة تعليقاته الشخصية عن عملياته، وكان يميلها يوميا على أحد مساعديه، وكلما سمحت له الظروف يقوم بتجهيز تقرير أكثر دقة للأحداث التى وقعت، بالإضافة إلى احتفاظه بكل أوامره الرسمية وتقاريره ومستنداته، يضاف إلى ذلك مئات الخرائط والتصاميم عن عملياته التى رسمها بالألوان هو أو أركان حربه، كما كانت لديه مشاريع لخرائط كان ينوى أن يضمها لكتبه التالية.

وعندما أسفرت الأحداث عن نتائجها الوخيمة، وخشى والدى ألا تسمح له الظروف بإتمام أعماله الكتابية وألا تبقى بعد وفاته، إذا أسئ فهم مقاصده، لذلك عندما رجع من أفريقيا، أخذ يجهز أوراقه في سرية كاملة.

وفى أغسطس عام 1943، عندما رجع من فرنسا، بدأ في تدوين تعليقاته عن الغزو، ولكنه أتلفها عندما تأكد أنه من الأفراد المشكوك فيهم، وذلك لاشتراكه في مؤامرة 25 يوليو، وقد سلم قسماً من هذه الأوراق؛ لأنه لم يتوفر له الوقت لإتلافها.

وخلال الأشهر التى سبقت اندلاع الحرب، قاد والدى حمله إلى (الكلية) في وينرمستادت، التى تبعد حوالى 30 ميلا جنوب فينا، وكانت الكلية تقع ضمن قصر قديم كبير، استعملنا جزءاً منه كمسكن لنا.

وفى عام 1943، عندما بدأت غارات القاذفات البريطانية والأمريكية على المدينة وأصبح منزلنا مهدداً بالخراب، خبأنا جزءاً من أوراق والدى في أقبية القصر، وأرسلنا قسما منها إلى مزرعة في جنوب غرب ألمانيا، وأخذنا الباقى معنا عند انتقلنا في خريف عام 1943 من وينرمستادت إلى هرلينجن.

وبعد وفاة والدى، زادت لهفة والدتى على الحصول على الأوراق، وذلك حتى يمكن إظهار الحقيقة عند تدوين التاريخ.

وراحت والدتى على الفور تحاول جمع كل الأوراق التى كانت بالمنزل، وذهبت إلى وينرمستارت لاسترجاع الوثائق التى تركناها هناك.

وبدأت والدتى بالتعاون مع عمتى والكابتن «الدينجر» في جمع كل الأوراق وهم على أهبة الاستعداد للرحيل إذا ما دعت الحاجة، وكانت تنوى بعثرتها في عدة أماكن، حتى إذا عثر على مخبأ منها يصعب إيجاد بقية المخابئ.

وفى منتصف أكتوبر 1944، صدرت الأوامر إلى الكابتن «الدينجر» بالحضور إلى محطة السكة الحديدية في «أولم»، وقيل له إنه سيقابل هناك أحد الضباط من أركان حرب الجنرال «مايزال» الذى سيناقشه فى بعض الأمور، وكان الجنرال هذا هو الذى جاء لاصطحاب والدى منذ

شهر، وقد سارعوا لإخفاء ما تبقى من الأوراق.

وفى مساء يوم 4 أكتوبر لم يبق في المنزل سوى الوثائق الرسمية المحظور تداولها والمشار إليها بـ «سرى» والتى يجب تسليمها، بينما تم إخفاء كل الأوراق الشخصية ومسودة الكتاب.

وفى صباح يوم 15 أكتوبر، غادر «الدينجر» بلدة «هرلينجن» ليذهب إلى «أولم»، وحوالى الساعة الثالثة وصل «الدينجر) حاملا تحت إبطه رابطة كبيرة مغلفة بورق أبيض، وكانت تحتوى على عصا المرشالية والقبعة التى كان يرتديها والدى.

أما معظم وثائق والدى فقد تم توزيعها وإخفاؤها، وكانت مخبأة في مزرعتين منفصلتين في جنوبى غربى ألمانيا.

أما مذكرات والدى عن معركة «نورماندى»، فقدم قام أحد أصدقائنا بإخفائها فى علبة بين حوائط منزل خرب في «شتوتجارب»، أما مذكرات والدى عن أعوام (1943 - 1944)، فخبأناها في أحد المستشفيات، وأرسلنا قسما منها إلى عمتى في «شتوتجارب»، وإحتفظت والدتى في المنزل في «هرلينجن» بمذكرات والدى والتى تضم المسودة الأصلية عن أفريقيا والأفلام التى أخذها والدى في الحملة على فرنسا عام 1940، ورسائله الشخصية لها.

وخلال النصف الثانى من ابريل عام 1945، بدأ الضرب بشدة، فانهالت القنابل الشديدة الانفجار الأمريكية على «أولم»، وشبت الحرائق في أماكن كثيرة ليلا ونهارا، وفى يوم العشرين من أبريل، وبينما كانت والدتى تنظر من نافذة المنزل شاهدت الدبابات الأمريكية تقترب من «أولم»، فقلقت والدتى على الوثائق، وراحت تهيئ الخطابات والمذكرات والأفلام، بحيث يسهل أخذها معها في أول فرصة، فجمعت جزءا منها

في شنطتها القديمة وبمساعدة الجيران دفنتها في حديقة المنزل.

ثم قدم الكابتن «مارشال» من الجيش الأمريكى، لزيارة والدتى حيث سألها عما إذا كانت لديها أى وثائق في المنزل، وظنت والدتى أن الرسائل الخاصة لن تصادر فقالت له لا يوجد لديها سوى الرسائل الشخصية التى كتبها لها زوجها، وعندما سألها عن مكانها، أخذته إلى القبو، وما إن شاهد الملفات المحتوية على الخطابات، قال: إننى مضطر لأخذها معى، وسنطلع عليها ونعيدها إليك بعد عدة أيام.

وبعد ذلك قيل لوالدتى إن الخطابات ستبقى عندهم لفترة، وبعد ذلك بأسبوعين جاء إلى والدتى مترجم الكابتن «مارشال»، الذى قال لها إن الكابتن يأسف جدا لأنه لن يتمكن من أن يفى بوعده، لأن الجيش قرر إرسال تلك الوثائق إلى واشنطن.

وفى صباح ذات يوم في منتصف مايو، طُلب من والدتى أن تترك البيت في الساعة التاسعة لأن وحدة أمريكية ستقيم فيه، وبينما كانت والدتى تحزم أغراضها راح الجنود الأمريكيون يفتحون الأدراج والخزائن باحثين عن وثائق والدى، ولكنهم لم يعثروا على الكثير منها، ونجحت والدتى في إنقاذ حقيبة كبيرة تحتوى على أفلام ومخطوطات والدى عن الحملة الأفريقية، والتاريخ الرسمى لعمليات الفرقة السابعة المدرعة في فرنسا عام 1940 .

أما الأوراق التى أرسلنا بها لأماكن أخرى فقد اختلف مصيرها، ففى إحدى مزارع الحبوب في غرب ألمانيا، وصل بعض الأمريكان الذين أعلنوا أنهم من المخابرات وطلبوا الاطلاع على الرزم التى أرسل بها الفيلد «مارشال رومل» إلى هناك، ولسوء الحظ أن بعض هذه الحقائب والصناديق قد أحضرت من القبو ونقلت إلى المنزل نفسه.

وصادر الأمريكيون صندوقا وحقيبة، تحتوى وثائق والدى ومذكراته عن

الحرب العالمية الأولى، أما الحقيبة فكانت تحتوى على جهاز ثمين للتصوير خاص بوالدى وحوالى ثلاثة آلاف صورة التقطها والدى بنفسه، وإحداها كانت تبين وحدة المشاة الأسترالية تهجم بالسلاح الأبيض، وكانت هناك آلاف الصور التى جمعها من مراسلى الحرب والجنود ما بين 1940 و1944.

وبقى في المزرعة صندوق آخر يحوى المذكرات اليومية الخاصة بوالدى من عام 1940 إلى عام 1943، بالإضافة إلى مذكراته عن الحملة الفرنسية في عام 1940، كما كان يوجد صندوقان آخران، وقد سرق مجهول أحد الصناديق التى تحتوى على مذكرات والدى وتحليله لحملة فرنسا في سنة 1940.

أما المزرعة الأخرى، فقد استولت عليها قوة مراكشية، وقام المراكشيون بتفتيش المكان بدقة مرات عديدة، ولكن لحسن الحظ لم يشك أحد منهم في وجود قبو آخر خلف كومة من الصناديق الفارغة، وكانت هذه هى الطريقة التى سلمت بواسطتها الوثائق. كما أن الأوراق التى بقيت عند عمتى، والتى دفنت في خرائب «شتوتجارب»، فقد نجت أيضا بعد انهيار ألمانيا.

وبعد مغادرتنا لمنزلنا فى «هيرلنجن»، وجدت والدتى غرفة صغيرة في مكان قريب إلى هناك حيث أحضرت ما تبقى لديها من الوثائق، فأخرجت الصندوق المدفون في الحديقة في «هيرلنجن» ونقلته إلى مكان آخر، وأحضرت الصناديق التى كانت في المزرعة بعد أن غادرها المراكشيون. ثم انتقلت والدتى إلى قبو آخر في مدرسة «هيرلنجن»، وأخذت معها كل هذه الوثائق. وعلمت والدتى أنهم ينوون توجيه تهمة التعاون مع النازيين إلى والدى غيابيا بعد موته، وذلك ليتمكنوا من مصادرة ما خلفه، فقامت والدتى على الفور بتهريب الوثائق بعيدا عن محل سكنها.

وقد شجعنى «البريجاردر يونج» والكابتن «ليدل هارت»، على نشر

مذكرات والدى، فبدأت على الفور تجميع الوثائق من مخابئها المختلفة.

وقام الجنرال «سبيدل»، رئيس أركان والدى السابق، بمحاولات عديدة لاستعادة وثائق والدى. وطلب «البريجاردر يونج» من الجنرال «إيزنهاور» أن يتدخل لدى واشنطن لإرجاعها.

وأخيراً بفضل جهود الكابتن «ليدل هارت»، وبعد بحث مضن سلمت الرسائل إلى الجنرال سبيدل بواسطة الكولونيل «ووركى»، من قسم التاريخ التابع للجيش الأمريكى.

وعلمنا أنها لم تكن موضوعة تحت اسم (رومل)، بل تحت اسم أورين، الذى وقعها به والدى.

ولكن لا يزال بعضها ضائعا، وخاصة تلك التى كتبت في وقت الغزو، ولكن بعض الرسائل التى تبحث في هذه الفترة أُعيدت فيما بعد لوالدتى.

وبعد عودة هذه الرسائل شعرنا أننا استرجعنا كل ما يمكن استرجاعه من أوراق والدى، التى نجت من الحرب، وقد أحرق والدى بعضها ليضمن الأمان لنفسه، بالإضافة إلى تخوفه من أعمال النهب التى تصحب كل حرب.

مانفريد رومل

بداية المذكرات

تتحدث بداية المذكرات عن هجوم هتلر في 10 مايو 1940 ويقول روميل في اليوم العاشر من ايار عام 1940، قام «هتلر» بهجومه الكاسح على الجهة الغربية، وقد حقق نصرا خاطفاً ؟؟.

وفى يوم 13 مايو من نفس العام، بدأت المرحلة الحاسمة من هذه المأساة التى هزت العالم، وذلك عندما اجتاز «فيلق جوديريان» المدرع نهر «الموز» الواقع على مقربة من «سيدان»، كما اجتازته الفرقة المدرعة بالقرب من «دينانت»، وأدى هذا إلى إيجاد ثغرات ضيقة تحولت بعد ذلك إلى فجوة واسعة دخلت من خلالها الدبابات الألمانية حتى وصلت إلى شاطئ البر خلال أسبوع، وبذلك عزلت الجيوش في «بلجيكا»، وأدت هذه الكارثة إلى انهيار فرنسا، ومن ثم عزل بريطانيا .

وكان الاعتقاد سائداً أن الجيوش الألمانية متفوقة بشكل كبير على الحلفاء من ناحية العدد، ولكن الحقيقة أن الهجوم بدأ بحوالى 136 فرقة يقابلها 156 فرقة للفرنسيين والبريطانيين والبلجيكيين والهولنديين، لم تكن ألمانيا متفوقة إلا في الطيران، أما الدبابات فقد كان لدى الألمان أقل من 2800 دبابة مقابل 4000 دبابة للأعداء، بالإضافة إلى أنها كانت ضعيفة من ناحية التدريب والتسليح بشكل عام، وإن كانت متفوقة من ناحية السرعة.

وامتاز الألمان بالهجوم الجوى والسرعة التى استخدموا فيها دباباتهم، والأسلوب الكاسح الذى استطاعوا ابتكاره.

وكانت الفرق الألمانية التى يبلغ عددها 136 فرقة منها 10 فرق

مدرعة فقط، استخدمت كرؤوس حراب، فإستطاعت أن تبرز في المعركة لحين وصول باقى الحشود الألمانية إلى ميدان المعركة، وكان ممكنا وقف هذا النصر، لولا الانهيار المعنوى الشامل الذى ساد القادة والقوات الحليفة.

وكانت خطة الهجوم في الغرب تسير على نفس الطريقة التى سارت عليها خطة «شلايفين» أثناء الحرب العالمية الأولى، فكانت تقضى بحشد العدد الضخم في الجناح الأيمن، بحيث كان على مجموعة الجيش (ب) تحت قيادة «فون بوك» أن تتقدم مجتازة سهول بلجيكا، ولكن في أوائل عام 1940 تبدلت الخطة بعد اتباع إقتراح «مانشتاين» الذى يتطلب القيام بهجوم أجرأ وغير منتظر عبر منطقة التلال والغابات في جبال «الأردين»، في اللكسمبورج البلجيكية، وبذلك يكون مركز الثقل قد تحول إلى مجموعة الجيوش (أ) تحت قيادة «فون رونشتد» التى كانت مقابل هذا القطاع، لذلك أعطيت سبعة فرق مدرعة من أصل العشرة، وازدادت النسبة أيضا من فرق المشاه.

وكان الهجوم الرئيسى نحو نهر «الموز»، تقوده مجموعة «كلايست» المدرعة وتسير في طليعة جيش (ليست) الثانى عشر، وكان لها رأسا حربة، كان أقواها «فيلق جوريريان» المؤلف من ثلاث فرق مدرعة، والمكلف بالضربة الحاسمة بالقرب من «سيدان»، بينما كان رأس الحربة الآخر «فيلق (رايتها ردت) المؤلف من فرقتين مدرعتين، ويتقدم على يمين «فيلق جوديريان» وهدفه العبور عند «مونثيرم»، كما يليه إلى اليمين، «فيلق هوث» المدرع بقيادة «فون كلوجة» قائد الجيش الرابع، وكان عليه أن يتقدم عبر «الأردين الشمالية»، بالإضافة إلى حماية جنب «كلايست»، ثم عبور نهر «الموز» بين «جيفت» و«نامور». وهذه الضربة كان لها رأسا حربة على نطاق أضيق، وهما وبالتوالى الفرقتين الخامسة والسابعة

المدرعتين، وكنت أقود الفرقة السابعة المدرعة والتى تضم 218 دبابة.

ولم يقابل في اليوم الأول للهجوم إلا مقاومة خفيفة، فقد كان معظم الجيش البلجيكى محتشدا للدفاع عن سهول بلجيكا بمدنها الرئيسية، أما مسألة الدفاع عن منطقة التلال والأحراش لكسمبرج البلجيكية، فقد قامت بها القوات الخاصة المسماة بـ «صيادو الأردين»، فقد كان عليهم صد الهجوم بقدر الإمكان لحين وصول القوات الفرنسية، لتغطية هذا الاقتراب الجانبى الواسع نحو حدودهم، وكان هذا هو تقدير الموقف الذى قامت عليه الخطة البلجيكية.

أما الخطة الفرنسية، فكانت تقوم على أساس هجومى محض؛ فقد كانت مهمة الجيش الأول والسابع، ويشملان معظم الفرق الميكانيكية الفرنسية التقدم إلى الأمام بعيدا في سهول بلجيكا، بالتعاون مع القوات البريطانية، وفى نفس الوقت يقوم الجيش التاسع بالتقدم في حركة التفاف داخل الحدود البلجيكية، ثم ينتشر على طول نهر «الموز» من «ميزير» إلى نامور، ويتكون من سبع فرق مشاه وفرقتين من الخيالة.

وفى ليلة 10 مايو، تقدمت الخيالة الفرنسية إلى الأمام عبر نهر «الموز»، ثم في اليوم التالى تغلغلت بعمق في «الأردين»، حيث واجهت الفرق المدرعة الألمانية المتحركة بسرعة، والتى كانت قد انتصرت على معظم المقاومة البلجيكية هناك.

ويواصل روميل حديثه قائلاً

راح العدو يهيئ في الشهور الماضية، وفى القطاع المخصص لفرقتى، الموانع من كل نوع، فسدوا كل الطرق والممرات عبر الغابات، وقاموا بعمليات النسف على نطاق واسع فى الطرق الرئيسية، ولكن أغلب التحصينات في الطريق لم يدافع عنها البلجيكيون، لذلك لم تتوقف

فرقتى وقتا طويلا في أى مكان إلا في حالات قليلة، وبدأت كل القوات في العمل بسرعة للتعاون مع المواقع، ومهدت الطريق في وقت قصير.

وعندما تصادمنا للمرة الأولى مع القوات الفرنسية الميكانيكية، أجبرت النيران التى فتحناها عليها بسرعة إلى انسحاب تلك القوات.

ويتابع «رومل» كتابته فيقول:

في 13 مايو، تقدمت إلى «دينانت» مع الكابتن «شيرييلر»، وكانت مدفعية الفرقة قد أخذت مواقعها حسب الأوامر، وكانت نقط مراقبتها الأمامية موجودة عند نقط العبور، وكانت قنابل المدفعية الفرنسية تتساقط على المدينة من غرب نهر «الموز»، ولم يكن هناك أى أمل في وصول عربات قيادتى وإشارتى، عبر الخط الحاد المؤدى لوادى «الموز» بدون ملاحظتها، لذلك تقدمت أنا «وشيرييلر» سيراً على أقدامنا عبر الغابة إلى قعر الوادى.

وعند وصولى لم أجد الموقف مرضيا، فالفرنسيون ينسفون قواربنا بنيرانهم الحامية مما أدى إلى توقف عملية العبور، وكانت قوات العدو تنفذ قواعد الإخفاء والتمويه فلم نتمكن من تحديد أماكنها، وكانت توجه نيرانها المرة بعد الأخرى نحو منطقة قيادتى ومنطقة قائد لواء المشاة وكتيبة المهندسين، واقترحت عمل ستار من الدخان في وادى «الموز» ليحمى قواتنا من نيران العدو، ولكن لم يكن لدينا في ذلك الحين وحدات لتوليد الدخان، لذلك أمرت بإضراب النار فى عدد من المنازل الموجودة في الوادى لتوفير الدخان الذى نحتاجه، وبمرور الوقت ازدادت نيران العدو قوة.

وفى الوقت نفسه، سقطت قرية «جرانج»، الواقعة على بعد ميل وربع غربى «هوكس» ونهر «الموز» وثلاثة أميال شمالى غربى «دينانت»، فى أيدى الكتيبة السابعة من راكبى الدراجات، إلا أنها لم تقم بتطهير النهر بشكل صحيح كما يجب، لذلك أصدرت أوامرى بتطهير الصخور على الضفة الغربية من الأعداء.

وقمت بصحبة الكابتن «شيربيلر» بالتحرك في دبابة بانزر ماركة 4، على الطريق على طول وادى «الموز» لكى أراقب بنفسى الموقف، وتعرضنا في الطريق للنيران الموجهة من الضفة الغربية لمرات متكررة، وقد جرح «شيربيلر» في ذراعه من شظايا قنبلة، وفى نفس الوقت كانت فرق المشاة الفرنسية تستسلم فرادى أثناء اقترابنا.

وعند وصولنا كانت الفرقة السابعة قد نجحت في إرسال سرية عبر النهر إلى الضفة الغربية، ولكن نيران العدو أصبحت من القوة بحيث دمرت معدات العبور تماما، فتوقف العبور، وكان من الواجب رؤية الأعداء الذين يقاومون العبور، ولم أجد أى أمل في أن تعبر قوات أخرى من غير أن تساندها المدفعية القوية والدبابات لتتعامل مع مخابئ العدو لذلك عدت إلى رئاسة الفرقة، حيث قابلت قائد الجيش «فون كلوجه»، وقائد الفيلق «هوث»، وبعد مناقشة الموقف أنا والماجور «هايد كامبر»، أجرينا بعض التجهيزات اللازمة، ثم تقدمت إلى قرية قريبة من «دينانت» لأراقب عملية العبور هناك، وأصدرت أوامرى بوجوب إحضار بعض الدبابات بانزر 4، وفرقة المدفعية عند نقطة العبور.

وغادرت عربة القيادة ومشيت عبر المزارع المهجورة نحو «الموز»، وألقينا نظرة سريعة على الجسر الذى سده العدو بألواح من الصلب ذات أسنان حادة، وقمنا باستغلال توقف إطلاق النيران للحظة فى وادى «الموز»؛ فتقدمنا إلى اليمين وإلى نقطة العبور ذاتها، وشاهدنا الكثير من دباباتنا وأسلحتنا الثقيلة تحتل مواقع إلى الشرق من المنحدر، ولكن يبدو أنها استهلكت معظم ذخيرها، ومع هذا فقد وصلت الدبابات التى أمرت بإرسالها إلى نقطة العبور بعد وقت قصير، وتلاها مدفعان هاونزر من كتيبة «جريزمان».

وصار تغطية كل النقط على الضفة الغربية بالنيران، وبعد ذلك بمدة بسيطة انهالت النيران من جميع الأسلحة على الصخور والمبانى، واستطاع الملازم «هانكة» إصابة الجسر بعدة إصابات مباشرة، وتحركت الدبابات إلى الشمال بمحاذاة النهر، وتحت ستار هذه النيران تحركت قوات العبور مرة أخرى ببطء وشرعت في العمل.

ثم اتجهت شمالا في خور عميق إلى السرية إينكفورت، ولدى وصولنا سمعنا إنذاراً بأن دبابات العدو تواجهنا، ولم يكن بحوزة الفرقة أسلحة مضادة للدبابات، فأصدرت أمراً بفتح نيران الأسلحة الصغيرة ضد الدبابات وبأقصى سرعة ممكنة، ولم تلبث الدبابات المعادية أن انسحبت إلى وادى يبعد حوالى ألف ياردة شمالى غربى «ليف»، واستسلمت أعداد كبيرة من القوات الفرنسية التى كانت مختبئة فى الأحراش.

ثم تقدمت ومعى «موست» مرة ثانية إلى «الموز»، واتجهت للضفة الأخرى ثم إلى الشمال، ومعى دبابة وعربة إشارة حتى وصلت إلى نقطة العبور، وقد أبلغنى الكولونيل «ميكل»، قائد الكتيبة المضادة للدبابات، أنه تم نقل عدد من المدافع المضادة للدبابات إلى الجهة الغربية، وقد لاحظت أن سرية من كتيبة المهندسين كانت منهمكة فى إقامة معابر حمولة 8 طن، فأوقفتهم عن العمل وطلبت منهم إنشاء معابر حمولة 16 طن، وكنت أقصد من ذلك دفع جزء من الفريق المدرع للعبور إلى الناحية الثانية بأسرع ما يمكن، وما إن انتهى المعبر حتى عبرته بسيارتى ذات الثمانى عجلات. وفى نفس الوقت قام العدو بهجوم قوى، وكانت أصوات ضرب مدافع الدبابات تُسمع من بعيد وهى تقترب من الجسر المقام على ضفة «الموز».

وعندما وصلت إلى رئاسة اللواء، وجدت الموقف متدهور بالفعل، فقد

جرح قائد كتيبة الدراجات وقتل أركان حربه، علاوة على إصابة قواتنا بخسائر فادحة نتيجة لهجوم فرنسي معاكس، وكان منتظرا أن تصل دبابات الأعداء إلى وادى "الموز" نفسه، مما سيزيد من خطورة الموقف.

وتركت عربة إشارتى وعبرت النهر مرة أخرى، لأصدر الأوامر بنقل السرية الأولى المدرعة إلى الناحية الغربية، على أن يتم ذلك أثناء الليل، وفى صباح اليوم التالى لم يصل للجهة المقابلة سوى خمس عشرة دبابة.

وفى 14 مايو، علمنا أن الكولونيل «فون بسمارك» قام بهجوم بالقرب من «أونهارى»، على بعد 3 أميال غرب «دينانت»، حيث اشتبك مع قوات كبيرة للعدو، وبعدها بقليل وصلت رسالة باللاسكى، تقول إن قوات «بسمارك» قد حوصرت تماما، فقررت أن أبادر إلى نجدته على الفور.

وعليه بادرت إلى إرسال الفرقة 25 المدرعة بقيادة الكولونيل «روثنبورج»، وتقدمت قرب وادي «الموز» بثلاثين دبابة، ولم أصادف أى مقاومة حتى بلغت واد يبلغ خمسمائة ياردة إلى شمالى شرق «أونهاى».

وعلمنا بأن الرسالة التى بلغتنا قبل ذلك كانت تقول إن «بسمارك» قد وصل وليس محاصراً، وهو الآن يحاول أن يدفع بسرية هجوم لتلتف حول الطرف الشمالى «لأونهاى» لتؤمن مخرجها الغربى، وهذه العملية كانت ذات أهمية كبيرة، لذلك وضعت خمس دبابات تحت تصرف «فون بسمارك» لتقوم بتغطية هجوم المشاة عند المضيق في غرب «أونهاى».

وأصدرت التعليمات «لروثنبورج» ليتحرك حول جانبى الغابة ليدرك منطقة للتجمع حددتها له، ثم ركبت دبابة بانزر 3 وسرت خلفه على بعد بسيط.

وتحرك «روثنبورج» ومعه الدبابات الخمس التى ستقوم بمرافقة المشاة وكان يتقدمنا بمسافة مائة أو مائة وخمسين ياردة، وتبعه بعد ذلك في التقدم حوالى عشرون أو ثلاثون دبابة، ووصل قائد الدبابات

الخمس إلى سريانة البنادق على الناحية الجنوبية لغابة أونهاى ولكنه لم يسمع أى صوت لأسلحة العدو، بينما تقدم الكولونيل «روثنبورج» من طرف الغابة نحو الغرب فوصلنا إلى الناحية الجنوبية منها، وكنا على أهبة الاستعداد لعبور مزرعة منخفضة عندما بدأ العدو يقصفنا فجأة بنيران شديدة من الغرب، وأصيبت دبابتى بطلقتين، وقد أصبت بجرح في وجنتى، ولكن إصابتى لم تكن خطيرة، وفى هذا الوقت أحضر الملازم «موست» عربة إشارتى المدرعة إلى الغابة، ولكنها أصيبت هى الأخرى في محركتها وتوقفت، وبعد ذلك أصدرت أوامرى للدبابات بالسير عبر الغابة نحو الشرق.

وكانت السيطرة تامة على المعركة غرب «الموز» والمرونة كاملة لمواجهة الموقف المتطور؛ وذلك لأن التطور كان كاملاً بين قائد الفرقة ووحداته، فضلا عن تحركهم معه دائما، فتمكن بذلك من إعطاء أوامره مباشرة لقادة الآليات في أقصى الأمام.

ويتابع «رومل» كتابته فيقول:

فى يوم 15 مايو، قررت التقدم في خط مستقيم بقفزة واحدة نحو هدفنا، على أن يقوم الفريق 25 بانزر (فرق البانزر هي فرق مدرعة في الجيش الألماني) بقيادة باقى الفرقة تسانده المدفعية والقاذفات المنقضة إن أمكن، واعتمدت فى الأساس على المدفعية لدعم جانبى التقدم باعتبار أن الفرق المجاورة كانت لاتزال بعيدة إلى الوراء، ورسمت خطة تقدم الفريق 25 المدرع بحيث يمر خلف مشارف «فيليبفل»، مع تفادى كل اصطدام حتى نبلغ هدفنا، وبعد اشتباك قصير مع دبابات العدو قرب «فلافيون»، تقدمت فرقة البانزر عبر الغابات إلى «فيليبفل»، ومرت بمدافع وعربات كثيرة لإحدى الفرق الفرنسية التى هرب رجالها

إلى الغابات عند وصول دباباتنا والتى كبدتهم خسائر فادحة قاذفاتنا المنقضة، وتمكنا من تدمير مدافع العدو المضادة للدبابات ودباباته وسياراته المدرعة.

ووصلت ومعى «موست» للفرقة الموجودة فى «فيليبفل» فوجدتها مشتبكة في قتال قرب «نيفيل»، وكانت المعركة متجهة نحو الجنوب وتأخذ شكل المطاردة، ولم يكن في نيتى الاتجاه نحو الجنوب إلى أبعد من ذلك، فأمرت بوقف المطاردة، على أن تستمر في التقدم إلى الشرق من «نيفيل»، وعلى بعد 500 ياردة إلى الجنوب من «فودسبة» التقينا مع جزء من سرية «هتيمان» المدرعة والتى انضمت إلينا، واشتبكنا قرب هذه القرية مع قوة ضخمة من الدبابات الفرنسية، ولكن المعركة انتهت بسرعة لصالحنا.

وبعد ربع ساعة وصلنا طريق «دينانت فيليبفل» الرئيسى، حيث قابلت قوات القائد التى كانت تتابع هجوم الدبابات، وبالقرب من «سنزيل» 4 أميال غرب «فيليفيل»، أسرنا مجموعة فرنسية من راكبى الدراجات أثناء مرورهم أمامنا.

واستمرينا بدون توقف نحو التلال إلى الغرب من «سيرفنثين»، وأخذ الظلام يهبط ببطء، فنظرت إلى الوراء من فوق التل إلى الشرق، فرأيت سحبا من الغبار لا نهاية لها، وهى بالطبع علامات مشجعة، باعتبار أنها تشير إلى تحرك الفرقة السابعة المدرعة لاحتلال الأرض التى استولينا عليها، ولكن العدو تمكن قرب العصر من التسلل ما بين الفريق المدرع ولواء المشاة، فنجم عن هذا تأخير تقدم لواء المشاه.

اختراق خط ماجينو

ويواصل رومل سرد ذكرياته قائلاً:

وفى اليوم التالى، 16 أيار عام 1940، صدرت الأوامر من رئاسة الفيلق بأن بقى في رئاسة فرقتى، ولم أعلم السبب، ثم صدرت إلي

الأوامر بالترك، وبعد أن وصلت إلى مقر قيادتى الجديدة، تلقيت تعليمات بوجوب التقدم عبر خط «ماجينو» شرط أن أصل في الليلة نفسها إلى التلال المحيطة «بأفيزن».

وبدأت أولى الكتائب في التقدم بسرعة نحو (سيفرى) حيث وصلتها بدون قتال، وأخذت المدفعية والمدفعية المضادة للطائرات أماكنها، وتلقت أوامرها بفتح نيرانها على الفور على مناطق معينة في الجانب الآخر من الحدود، وفى هذا الوقت وصل الفريق 25 بانزر، وتلقى التعليمات بعبور الحدود واحتلال «كليرفيه»، الواقعة على بعد ثلاث أميال، ولم تلبث بعد ذلك أن بدأت مدفعيتنا في قصف تحصينات العدو دون أن تجاوبنا مدفعيته.

وركبت في دبابة القائد كما في اليوم السابق، واجتزنا الحدود الفرنسية بسرعة، ثم سارت الدبابات بعد ذلك على مهل نحو «كليرفيه» التى تبعد ميل واحد، وقد تلقينا إشارة من فريق الاستطلاع تفيد بأن الطريق عبر «كليرفيه» ملغم، فتحولنا إلى الجنوب وسرنا عبر الحقول على شكل نصف دائرة حول القرية، وفجأة وعلى بعد 100 ياردة رأينا قوة من الجنود الفرنسيين المسلحين، واندفع الجنود بسرعة داخل استحكاماتهم المسلحة عندما أطلقت دباباتنا نيرانها على هدف آخر، وبعد لحظات قصيرة تعرضت الدبابات القائدة لقصف شديد من المدافع الفرنسية المضادة للدبابات، كما فتحت الرشاشات الفرنسية نيرانها على المنطقة، فكبدتنا بعض الخسائر في الجنود وفقدنا دبابتين.

وفى ذلك الوقت اشتبكت قوة من الفريق 25 بانزر مع العدو غرب «كليرفيه»، فأصدرت أمراً للمدفعية بفتح نيرانها مع إقامة ستار من الدخان على أماكن من خط «ماجينو»، وبعد قليل جاء راكبو فرقة

الدراجات مع فرقة المهندسين التابعة للكتيبة 37 المدرعة، وتقدمت فرقة المشاة. والمهندسين تحت حماية نيران الدبابات والمدفعية إلى المنطقة المحصنة، وبدأت فرقة المهندسين في تجهيز أعمال النسف للسدود الفولاذية التى تعيق طريق تقدمنا.

وألقوا بعبوة تزن 6 أرطال داخل الدشمة، ثم أمرنا العدو بالاستسلام، ولكن الأعداء رفضوا الخروج من الدشمة، فألقينا بعبوة أخرى، ولم يلبث أن خرج بعدها ضابط ومعه خمسة وثلاثون جنديا، وحاولنا أن نأسرهم، ولكنهم تغلبوا على قوة الاقتحام الصغيرة، وفروا تحت ستار رصاص الرشاشات الفرنسية التى ساعدتهم من دشمة أخرى.

وأخذ الليل يهبط ببطء إلى أن ساد الظلام، فأصدرت أمراً بالتغلغل داخل المنطقة المحصنة، والتقدم نحو «أفيزن» إلى أبعد حد ممكن، وأصدرت أوامرى للدبابات بتغطية الطرق والأمكنة القريبة بنيران رشاشاتها ومدافعها خلال التقدم إلى «أفيزن»، على أن تتقدم بقية الفرقة المدرعة خلف الدبابات القائدة وعن قرب، وتكون مستعدة في أى لحظة للضرب على الجانبين.

أخذت الدبابات تتقدم في صف طويل مجتازة مواقع وتحصينات العدو بطريقها إلى المبانى المشتعلة بنيراننا، بينما كانت مدفعيتنا تضرب القرى والطريق أمام الفرقة بمسافة كبيرة، أمكننا زيادة سرعة التقدم تدريجيا، وتوغلنا من 500 إلى 1000 ثم إلى 3000 ياردة داخل منطقة العدو المحصنة، وعلى مسافة ميل إلى جنوب «سولرى لى شاتو» اجتزنا الخط الحديدى، ثم سرنا نحو الطريق الرئيسى الذى بلغناه بعد ذلك بوقت قصير، واستمر تقدمنا بسرعة ثابتة نحو هدفنا، وكنت في كل وقت ألقى نظرة سريعة على الخريطة، وأرسل إشارة صغيرة إلى رئاسة الفرقة لأعلمها عن

الموقف وعن نجاح فرقة 25 البانزر، ثم عبرنا خط «ماجينيو».

وفجأة على يمين الطريق لاحظنا وميض من تل يبعد حوالى 300 ياردة، ولم يكن لدينا ريب في أنه مدفع للعدو، فأعلمت «روثنبورج» بسرعة لينتبه، وأمرت الفرقة 25 بانزر، لتزيد من سرعتها وتخترق هذا الخط الثاني للدفاع، مع استمرار إطلاق النيران من اليمين واليسار، ولكن لم يكن سهلا وقف نيران العدو، وعبرنا قرى «سارزيوتيرى وبيجنى»، ومدافعنا تضرب، مما أدى إلى البلبلة بين العدو إلى أن نجحنا في إسكات نيرانه، وتحركنا نحو «سيموزيس».

وعندما وصلنا إلى «أفيزن»، التى قصفتها مدفعيتنا قبل وصولنا بوقت قريب، رأيت السكان يسيرون على جانبى الطريق مذعورين بين العربات والمدافع أمام دباباتنا، وأيقنت على الفور بوجود تشكيلات فرنسية قوية داخل المدينة.

ولم أوقف التقدم بل أمرت كتيبة الدبابات بالتقدم إلى الأرض المرتفعة غرب أفيزن، لجمع الأسرى والعتاد الفرنسي، وعندما بلغت المشارف الجنوبية «لأفيزن»، بدأ إطلاق النار علينا من الخلف من «أفيزن»، ثم لم نلبث أن رأينا ألسنة اللهب ترتفع من بعض الدبابات أو السيارات المحترقة، كما فقدنا الاتصال بكتيبة الدبابات التى كانت خلفنا وبكتيبة الدراجات السابعة.

أما بالنسبة للعدو في «أفيزن»، فقد أقفل الطريق بمساعدة الدبابات الفرنسية الثقيلة داخل المدينة، وحاولت الفرقة 25 بانزر أن تشق طريقها، لكنها فشلت وتكبدت خسائر فادحة في الدبابات، وازدادت حدة القتال في «أفيزن» تدريجيا، وتمكنا من الاتصال لاسلكياً بالكتيبة الثانية، وأخيراً تمكن هانكة من تنظيم جزء كبير من مقاومة الدبابات

الفرنسية، وتوقفت المعركة عند الفجر.

ولم أتمكن من الاتصال لأساله هل أتابع تقدمى مستغلاً نجاح هذا الهجوم وأستمر في اجتياز خط «ماجينو»، عبر نهر «السامبرر»؟

فقررت الاستمرار في التقدم لكى أحتل معبر «السامبرر لاندريسى» وأحتفظ به حراً، وأصدرت أوامرى إلى جميع الوحدات لكى تتبعنا إلى «لاندريسى».

وقد ذهل الجنود الفرنسيون لظهورنا المفاجئ من خلفهم فألقوا بأسلحتهم ولم يحاولوا المقاومة، ودمرنا كل دباباتهم التى في الطريق، واستمرينا دون توقف نحو الغرب، وكان الجنود والضباط الفرنسيون يستسلمون حال وصولنا لهم، وتقدمنا عبر «ماروليز» إلى أن وصلنا «لاندريسى» دون أن نلاقى أية مقاومة.

وعزمت على الاستمرار في التقدم نحو «ليكاتو»، وتقدمنا نحو غابة طويلة يستخدمها العدو لتموين الذخيرة، وقد فوجئ الحرس بوصولنا إليهم، فاستسلموا على الفور.

وفى «بوموريل»، استسلمت القوات الفرنسية التى كانت تحتل القرية، وتقدمنا حتى التل الواقع إلى الشرق من «ليكاتو» مباشرة حيث توقفنا هناك.

ويتابع «رومل» مذكراته قائلاً:

وعزمت بعد ذلك على تأمين الأرض التى اجتزتها بواسطة الفرقة، وبدأت الفرقتان بجمع الأسرى الذين بلغ عددهم ما يقارب فرقتين ميكانيكيتين، ثم أصدرت الأمر بالاستمرار في التقدم.

وبعد ذلك بقليل علمت أنه لم يصل إلى التل في شرق «ليكاتو» إلا جزء صغير من البانزر وجزء من كتيبة الدراجات فقط، فحاولت العودة إلى الوراء لأكمل الاتصال بنفسى ولكنى تعرضت لنيران المدافع المضادة للدبابات من «ليكاتو»، فاضطررت للعودة، وفى الوقت نفسه كان

«روثينبورج» مشتبكا مع قسم من كتيبة سيكنيوس المدرعة مع الدبابات الفرنسية والمدافع المضادة للدبابات على التل شرق «ليكاتو»، حيث استطاع التغلب عليها بسرعة، وعدت لكتيبة البانزر التى اتبعت طريقة الدفاع المتحرك، وكانت تنتظر وصول القسم من كتيبة الدراجات قيادة الكابتن «فون هاجن».

وشعرت عندئذ أن الموقف في مواجهة «ليكاتو» قد تم تأمينه لغاية وصول باقى الفرقة، فأمرت «روثبورج» بالمحافظة على مواقعه بمعاونة كتيبة الدراجات، ثم عدت للخلف في عربة الإشارة لإحضار باقى الفرقة وتوزيعها.

وتقدمت بسرعة إلى «لاندريسى»، ووصلنا إلى طريق «ماروليز»، وتابعنا التقدم بأقصى سرعتنا عبر «ماروليز»، واتصلت لاسلكياً بالفرقة طالباً التقدم بسرعة عبر الأراضى التى اجتزتها.

وأخيراً وصلت للمدخل الجنوبى الغربى «لأفيزن»، حيث وجدنا جزءاً من كتيبة باريس بالقرب من المقابر، وهناك جردنا جنود العدو من سلاحهم، واتضح أننا استولينا على ما لا يقل عن أربعين شاحنة، وكان الكثير منها يحمل جنوداً.

ووصلت أفراد رئاسة الفرقة إلى «أفيزن»، ثم بدأت الوحدات تصل تباعاً إلى الأماكن التى اجتحناها أثناء الليل وفى الصباح المبكر، وقد نجحت كتيبة المدفعية الثانية في صد 48 دبابة فرنسية ومنعها من الدخول في المعركة شمالى «أفيزن».

وبعد أن حددت المواقع للوحدات، بين «ليكاتو» والحدود الفرنسية غرب «سيفرى»، توقفنا للراحة لمدة ساعة ونصف، وبعد منتصف الليل بوقت قصير جاءت الأوامر بالاستمرار في التقدم في اليوم التالى 18 مايو نحو «كامبراى».

وفى صباح اليوم التالى، وصل أركان حرب الفرقة 25 بانزر حيث أخبرونا أن قوة كبيرة للأعداء قد احتلت غابة «بوموريل»، في منتصف الطريق بين «لاندريسى» و«ليكاتو»، وأمكنهم شق طريقهم من الغرب للشرق في سيارة مدرعة تحت ستار الليل، وذلك للحصول على الوقود والذخيرة لوحدات الفرقة 25 بانزر التى تحتل مواقع شرق «ليكاتو»، والعودة بأسرع ما يمكن.

وعلى الفور أمرت الكتيبة البانزر الباقية بالرجوع إلى «لاندريسى وليكاتو» وأمرتها بشق طريقها إلى الفرقة لتوصيل الذخيرة والوقود لها، كما أمرت الكتيبة 38 استطلاع بأن تتبعها، واشتد القتال على الطريق لعدم تمكنهم من الالتفاف حول موقع العدو، علاوة على أن مدافعنا لم تكن من القوة بحيث تؤثر ضد دروع الدبابات الفرنسية السميكة.

وقررت التقدم بالكتيبة جنوباً عبر غابة «اورس»، ولكننا اصطدمنا مرة ثانية عند المشارف الشمالية «لأورس» بالفرنسيين وأخذنا نفتح طريقنا بالقتال، ولم نبلغ «روشبرج» إلا عند الظهر.

وأرسلت القوات اللازمة إلى «بوموريل» لشق طريق قصير إلى «لاندريسى»، وفى نفس الوقت بدأت المدفعية الفرنسية الثقيلة في ضرب مواقعنا الدفاعية، مما اضطرنا إلى إخلاء جزء من المواقع، ولكن لثقتى بأن القتال عند «بوموريل» سينتهى بسرعة لصالحنا، أصدرت أوامرى لفرقة البانزر للاندفاع صوب «كامبراى» والهجوم عليها، وأصدرت أوامرى لكتيبة باريس المدرعة لتأمين الطريق المؤدى من «كامبراى» إلى الشمال الشرقى والشمال بأسرع ما يمكن، وتحركت الكتيبة بينما قامت الدبابات والمدافع المضادة للطائرات بفتح نيرانها باستمرار على المشارف الشمالية «لكامبراى»، ولم يبد العدو أى مقاومة.

الفصل الثالث

(مهــارة رومــــل)

هذا الفصل يتحدث فيه رومل عن مهاراته كقائد عسكري حيث أنه ما انتهى التقدم السريع «لرومل» الذى تلى عملية الاختراق بالانسحاب من خطوطها المتقدمة في بلجيكا، وفى 18 مايو، اشتبك الجناح الأيمن للقوات الألمانية المدرعة مع قوات الجي الأول الفرنسى لتغطية انسحابه، ولكن القوة الدافعة الهائلة لهجوم البانزر دفعت هذه القوات جانباً أثناء محاولتها التدخل من «ليكاتو» إلى «كامبراى».

وبعد اجتياز المنطقة بين «ليكاتو» و«كامبراى»، توقف رومل ليعيد تنظيم فرقته ويعطى قواته الفرصة للراحة واستعادة نشاطها، وكانت خطته تقضى بمتابعة التقدم في مساء اليوم الثانى لكى يبلغوا الأرض المرتفعة شرقى آراس.

وبدأ الهجوم يوم 20 مايو قرب آراس، وأصاب «رومل» الدبابات القائدة والتى وصلت إلى «بوران»، ولكن الآليات المشاة المحملة لم تتابع رأس الحرية المدرعة، فاضطر «رومل» إلى الرجوع ليحثها على الإسراع، ولكنه وجد أن الفرنسيين قد تسللوا وقطعوا خطوط مواصلاته مما اضطره إلى قضاء الساعات القليلة التالية ليسترد سيطرته على الموقف، واتخذت هذه القوات مواقع دفاعية جتب آراس وذلك لوجود تجمعات من الفرق البريطانية والفرنسية حول هذه المدينة.

وفى يوم 21 مايو، كان على الفرقة السابعة المدرعة أن تتقدم نحو

الشمال الغربى حول آراس، وتتقدم فرقة العاصفة بقيادة «توتنكويف» إلى يسارها، وفى الوقت ذاته تتقدم الفرقة الخامسة المدرعة شرقى آراس، وكرر «رومل» استخدامه للمدفعية لتغطية أجنابه، وقد وضع هذه المرة كتيبة الاستطلاع المدرعة بين فرقة البانزر المكون لرأس الحربة، والآليات والبنادق في الخلف لتأمين مواصلاته وللاحتفاظ بالطريق مفتوحاً.

وعند تلك الأحداث يقول روميل:

بالرغم من أن مدرعات البانزر قد نقص عددها، نظراً للأعطال والخسائر، فقد أمرت بالهجوم الذى كان مثالاً للشجاعة الحربية.

ورتب قادة الحلفاء هجوما بسرعة قاصدين بذلك كسر طوق الحصار حول جيوشهم فى بلجيكا، ولهذا الغرض تقدمت الفرقتين 5 و50 البريطانيتين جنوباً إلى آراس ومعهم اللواء الأول من دبابات المشاة، وفى الوقت نفسه قرر الفرنسيون المشاركة بفرقتين ميكانيكيتين وفرقتين من سلاح المشاة.

وفى يوم 30 مايو صباحاً وصل «فيلق جوديريان» إلى أميان واجتازها في نفس الليلة إلى ساحل البحر قرب «إيفيل»، وبذلك قطع خطوط إمداد الحلفاء، وكانت ضربة قاصمة. ونتيجة لذلك قرر القائد البريطانى البدء في الهجوم دون انتظار الفرنسيين.

بدأت المشاة بالفعل في اتخاذ مواقع مخيفة إلى يميننا، لكننا تعرضنا لنيران المدافع المعادية، لذلك عزمت على التقدم أمام السيارات المدرعة لأصل إلى مركز موقعنا، لأنها تلاقى صعوبة في صد دبابات العدو، وتقدمنا إلى أن وصلنا إلى «وايلى»، وقامت الدبابات المعادية التى تقود الهجوم باجتياز خط آراس بومتز الحديدى ودمرت إحدى دباباتنا، وفى نفس الوقت تقدم عدد كبير من دبابات العدو على الطريق المؤدى إلى «باك دى نورد»، وعبرت السكة الحديدية قرب «وايلى»، وصدرت الأوامر لكل مدفع سواء

أكان مضاداً للدبابات أم للطائرات بفتح نيرانه فى الحال وحددت الأهداف بنفسى وبعد قليل نجحنا في تعطيل دبابات العدو الأمامية.

وقد نجحت نيران مدافعنا المضادة للدبابات والطائرات في صد العدو وإجبار بقاياه على الانسحاب، وتلا ذلك توجيه نيراننا نحو مجموعة الدبابات الأخرى التى تهاجم من اتجاه «باك دى نورد»، ونجحنا في صدها أيضاً.

وفى نفس الوقت، دارت معركة قوية شديدة وعنيفة في منطقة «تيلوى» فقد اندفعت قوات مدرعة كبيرة من آراس وهاجمت إحدى الفرق أثناء تقدمها وأنزلت بها خسائر فادحة في الرجال والعتاد.

واتخذت مدافعنا المضادة للدبابات مواقعها في الحال، ولكن اتضح أنها أضعف من أن تؤثر في الدبابات البريطانية ثقيلة التدريع، لذلك أمكن تحطيم أغلبها، كما احترق عدد كبير من عرباتنا، واضطرت فرق العاصفة القريبة إلى الانسحاب أمام عنف هجوم الدبابات وأخيراً تمكنت مدفعية الفرقة والمدفعية 88 مم المضادة للطائرات من إيقاف مدرعات العدو جنوب الخط «بوران –آجنى»، ودمرت المدفعية وحدها 28 دبابة، ودمرت المدافع المضادة للطائرات دبابة ثقيلة وسبع دبابات خفيفة.

وأصدرت أوامرى للفرقة المدرعة بالاندفاع لضرب جنب ومؤخرة العدو المتقدم جنوب آراس، ولكن الفرقة 25 بانزر اصطدمت جنوب «أجنبيز» بقوات متفرقة للعدو، وتم اختراق موقع الأعداء وبلغت خسائرنا ثلاث دبابات نوع 4 وستة نوع 3 وعدد من الدبابات الخفيفة، ووصلت الفوضى بين صفوف مدرعات العدو إلى حد أنها بالرغم من تفوقها عددياً، انسحبت مرة أخرى داخل آراس وتوقف القتال بعد هبوط الظلام، واستعدنا السيطرة على الموقف شمال غرب (وايلى) تماما.

ويتابع «رومل» مذكراته فيقول:

في عصر يوم 26 مايو، وصل إلى قيادتى تقرير من الطيران يقول إن العدو شوهد في شمال القناة (قناة لاباسيه) وهو ينسحب نحو الشمال الغربى، وعلى الفور طلبت من الفيلق السماح لى بتكوين رأس جسر عبر القناة فى هذا المساء، ووافق قائد الفيلق على هذا بسرعة.

ونجحت الكتيبة 37 استطلاع في دفع دوريات مدرعة حتى القناة نفسها وذلك بمساعدة المدفعية.

ولكنها تكبدت خسائر كبيرة بسبب نشاط القناصة، ولكن مقاومة العدو العنيفة منعتنا من إنشاء رأس جسر، ولكن الفرقة السابعة أحرزت نجاحاً باهراً في هذا المساء عندما تمكنت من دفع عناصر من رجالها عبر قناة لاباسيه، ونجح الرجال في تثبيت أقدامهم على الضفة الشمالية.

وأمرت الكتيبة 635 مهندسين ببناء جسر يحمل 16 طن في القطاع الذى تحتله كتيبة (كرامر) بالقرب من الجسر المنسوف عند «كونيش»، وبما أن قناصة الأعداء استمروا في ضرب قواتنا من اليسار مع قتلهم لرجالنا الواحد تلو الآخر، حركت بنفسى مدفعاً 20 مم مضاداً للطائرات وبعدها دبابة بانزر 4، وأمرتها بقصف كل بناء يبعد من 300 إلى 500 ياردة غرب نقطة العبور للكتيبة الثانية، وبعد ذلك نعمنا بشىء من الأمان ثم تقدمنا بعد يومين مرة ثانية عبر القناة.

وأثناء اشتباكنا مع هذه الأوكار، قام المهندسون بوضع القواعد على الضفة الشمالية بجهد كبير، ووصلت أنباء تفيد بأن قوة كبيرة من مدرعات العدو هاجمت رأس الجسر الذى شيدناه، وألقت بكتيبة «كرامر» مرة أخرى إلى القناة، واتخذت الدبابات البريطانية الثقيلة مواقعها على شاطئ القناة، وأخذت تضرب مواقعنا برشاشاتها ومدافعها. وكان هناك خطر شديد من

احتمال تحرك الدبابات البريطانية غرباً بجوار شاطئ القناة لمهاجمة كتيبة «باخمان»، التى لم يكن لديها أى أسلحة مضادة للدبابات، عدا البنادق المضادة للدبابات، كما كانت مواقعها تفتقر للعمق وكان الموقف متأزماً للغاية، وضغطت على المهندسين لكى يضاعفوا من سرعتهم في إتمام عملهم بأى طريقة حتى أتمكن من إرسال عدة مدافع ودبابات عبر القناة.

وأثناء عملية العبور، أمرت إحدى دباباتنا البانزر 4 بالتحرك لمسافة 50 ياردة نحو الشرق بجوار الضفة التى تحتلها من القناة، ثم تفتح نيرانها في الحال على دبابات العدو المهاجمة من «لاباسيه»، وتمكنت نيران هذه الدبابة من إيقاف نيران دبابات العدو الأمامية، وبعد ذلك بقليل اشتركت إحدى دبابات البانزر 3 على الضفة البعيدة ثم مدفع هاونزر الذى أمكن نقله عبر القناة، وأدى كل هذا إلى إيقاف هجوم العدو نهائياً.

وبعد ذلك بدأ العمل في تقوية الجسر حمولة 16 طناً، وأخذت قافلة طويلة من العربات في العبور، وتمكنا بمعاونة المدفعية من الاستيلاء على قرية «جيفنش» ذات الموقع الحاكم، ثم أحضرت كتيبة «كرامر» إلى نقطة العبور الغربية، وفيما بعد عبر المشاة لمهاجمة العدو بالقرب من كانتلكس، وانتهت هذه العملية عند الظهر بتوسيع رأس المعبر إلى الخط بين «كانتلكس» و«جيفنشى»، وبعد قتال عنيف سقط عدد كبير من البريطانيين في الأسر، ولقد صدرت أوامر الفليق بوضع اللواء الخامس البانزر تحت قيادتى للهجوم على «ليل».

وبعد ذلك بوقت قصير، وصل الجنرال «هاردة» قائد اللواء الخامس البانزر، ومعه قادة آلياته وقدم لى تقريراً عن موقف قواته.

وكان لواء البنادق قد عبر إلى الضفة الشمالية بالفعل ولكن بدون عرباته، وكان فريق بانزر 25 يقف في حالة تأهب بالقرب من «جيفنشى»،

وكانت قوة ضخمة من المدفعية والمدفعية المضادة للطائرات الخفيفة والثقيلة قد احتلت مواقعها على الضفة الشمالية، بينما كانت مدفعية العدو تضرب مواقعنا ضرباً عنيفاً في منطقة العبور، لأن المنطقة التى تحتلها قواتنا على الضفة الشمالية كانت ضيقة للغاية، فأمرت البانزر بتوسيع رأس المعبر بالهجوم على «لورجى» على بعد 2 ميل شمال القناة.

وبعد ذلك بدأ اللواء الخامس بانزر في التحرك عبر جسر «كونيش»، ولكن العبور كان أبطأ مما كنا نتوقع لتعطل الكثير من المدرعات الثقيلة على المداخل، واضطررنا لسحبها، وأصدرت أوامرى للواء بالتحرك بكل ما لديه من الدبابات ويعبر إلى الضفة الشمالية.

في ذلك الوقت، تقدم البانزر 25 للأمام ووصل إلى مشارف «لورجى»، وأثناء تقدمه اشتبك مع الخطوط الدفاعية القوية للعدو في قتال عنيف غالى الثمن، ولكنه نجح في اختراقها، وانسحبت المدفعية المعادية، وفرت بأقصى سرعتها أمام هجوم المدرعات الألمانية واستمر هجوم البانزر، وتمكن بقوة نيرانه من فتح ثغرة واضحة في جبهة الأعداء، ومرت عبرها الفرقة المدعمة باللواء الخامس بانزر.

وعند الغروب وصلنا إلى مزرعة تبعد نصف ميل شرقى «فورن»، وكان القتال دائراً في «فورن» نفسها، وبالرغم من حلول الظلام، فقد أمرت البانزر 25 بمتابعة هجوم وسد المنفذ الغربى للمدينة والطريق إلى مدينة «أرمنتير»، وكان على الفرقة إقامة موقع دفاعى دائرى بالقرب من «لوم» حتى وصول التعزيزات التى سأرسلها.

وأثناء ليل يوم 27 مايو، تقدم «روثنبورج» بعيداً إلى الشمال، وقد أظهر خط تقدمه العربات المحترقة التى حطمتها قواته، لذلك أمرت الفرقة السادسة والسابعة بالدفاع عن الأرض التى استولينا عليها، وكان على

الكتيبة 37 أن تتقدم إلى «فورن» على أن تظل تحت أوامرى المباشرة، وبعد إصدارى للأوامر ذهبت إلى «فورن» للأشراف على تنفيذها.

وفى يوم 28 مايو، جاءت إشارة من «روثنبرج» عن وصوله إلى هدفه بالقرب من «لوم»، وبهذا تكون «ليل» قد عزلت من ناحية الغرب، فأمرت في الحال كتيبة الاستطلاع بالتحرك مع إحضار عربات تموين البانزر إلى الحدود الشمالية الغربية، لاندفع بهما إلى «لوم» قبل الصباح، ثم اندفع البانزر إلى «لوم» واحتل المخرج الغربى «لليل»، وبعد ذلك بقليل نشبت معركة عنيفة عند المخرج الغربى «لليل»، بعد أن حاولت وحدات العدو شق طريقها نحو الغرب بمساندة الدبابات والمدفعية، وكان جزء من كتيبة الاستطلاع والسرية الثقيلة قد احتلت مواقع دفاعية على جانبى «أرمنتير –ليل»، وفى الصباح الباكر، بدا لى أن قوات العدو التى تواجهنا غرب ليل أخذت تعزز قواتها تدريجيا، فطلبت من المدفعية قصفها بسرعة، وقررت بعدها سحب الفرقة السادسة والسابعة من مواقعها السابقة، جنوبى «أنجلوس» و«فورن»، وضمها إلى خط الدفاع العام، شمال وجنوب «لوم».

الفصل الرابع

التفوق الألمانى على نهر السوم

يتحدث (رومل) فى هذا الفصل عن التفوق الألمانى الذى تم إحرازه على نهر السوم حيث بدأت مجموعة جيوش (بوك) هجومها من الجناح الأيمن على طول نهر (السوم) ولم تدخل جيوش (رونشتد) المعركة إلا بعد ذلك بأربعة أيام فتقدم بوك بثلاثة فيالق مدرعة، فدفع اثنين منها فى حركة كماشة ضد قطاع (أميان – بيرون) وفى الوقت نفسه دفع فيلق (هوث) فى أقصى اليمين بين (أميان) و(إيفيل) أما الفيلقان الباقيان فقد تجمعا تحت قيادة (جوديريان)، وتقدمت هذه المجموعة شرقًا إلى قطاع الايزين القريب من (ريثيل) جنوب غرب (سيدان).

وفى أقصى اليمين، استطاعت قوات الهجوم الوصول فى ليل 18 يونيو إلى نهر (السينى) جنوبى (رون)، ويرجع ذلك إلى حد كبير لاختراق فرقة (رومل) جبهة الأعداء بعد قتال عنيف دام يومين، وبعدها عبر السين فى أعقاب القوات المنسحبة، ولكن الهجوم الرئيسى بمجموعة (كلايست) المدرعة كان يسير ببطء وقوبل بمقاومة عنيفة لأنه اتجه صوب باريس نفسها، وكان على العكس من هذا ما حققته مجموعة (جرديريان) أثناء سيرها السريع بعد أن عبرت (الإيزن) وعليه قد نقلت مجموعة (كلايست) شرقا لتساند الاختراق عند (الإيزن) الذى أصبح الهدف الرئيسى.

وفى هذا الوقت، بدأت المقاومة تنهار فى كل مكان، واضطر الفرنسيون لطلب الصلح ليلة 16 يونيو.

وقد استغل (جورديان) بنجاح الاختراق على (الإيزن) لصالحه، ولكن هجوم (رومل) في الجانب الآخر هو الذى سبب بداية الانهيار.

وقد وجه (رومل) ضربته للقطاع ما بين (لونجيريه) و(هانجست)، وكانت المنطقة هناك مسطحة ومليئة بالمستنقعات، وقد نسف الفرنسيون الجسور الخاصة بالطرق البرى عبر (السوم) عند (هانجست) بالقرب من (لونجيريه) ولكنهم لم ينسفوا الجسور الخاصة بالسكة الحديدية، ولا حتى الجسرين الخاصين بالسكة الحديدية والطريق سويًا باعتبارهما قريبين من مواقعهم، وقد دفعوا غاليًا ثمن إهمالهم هذا.

وأخذ (رومل) يضرب المنطقة هناك بصورة مستمرة ليلاً ونهارًا بالمدفعية والرشاشات ليضمن عدم قيامهم بأية محاولة جديدة لنسف هذه الجسور قبل أن يشن هجومه فى 5 يونيو، وفى وقت مبكر من الصباح تمكن (رومل) من الاستيلاء على الجسور الأربعة وكانت لا تزال فى حالة سليمة، وبمجرد رفع القضبان منها، استطاعت الدبابات والعربات المرور عبر النهر وحزام المستنقعات.

*** يقول رومل عن تلك الأحداث :**

تقدمت مع الملازم (لوفت) وعربة إشارتى إلى نقطة قيادة المدفعية حيث شاهدنا انطلاق الهجوم الكبير عبر (السوم) وبدأ القصف التمهيدى فى موعده بالضبط، وكان منظرًا رائعًا من نقطة مراقبتنا الحاكمة.

وتحركنا بعد هذا إلى نقطة عبور الكتيبة الثانية من الفرقة السادسة، وهناك وصلتنا أنباء بأن جسور السكة الحديدية والطرق قد سقطت كلها فى أيدينا وهى بحالة سليمة، وكان جزء من كتيبة المهندسين يعمل بنشاط فى خلع القضبان الموجودة على جسر السكة الحديدية، وتمهيد الطريق لتحضيره لمرور الفرقة وعرباتها.

وأصدرت أمرًا للكولونيل (روثبرج) بمتابعة التقدم عبر واد واسع إلى نقطة خلف التلة 116 ليتخذ مواقع للهجوم عند (ليكسنوا)، وهى على بعد 4 أميال بعد (السوم).

وبحلول الساعة التاسعة، كان الهجوم نحو الجنوب الغربى قد تقدم كثيرًا واستخدمنا كتيبة بانزر بأكملها للقضاء على قوة الأعداء فى (هانجست)، والتى منعتنا وقتًا طويلاً من إقامة الجسر هناك، وكانت أوامرى تقضى بضرب العدو فى المشارف الغربية فقط دون الاشتباك لاحتلال القرية نفسها، وكان تطهيرها سيتم فيما بعد بواسطة سرية المهندسين المدرعة، وفى نفس الوقت وصلت قوة من المدافع الذاتية، تحت قيادة الكابتن (فون فيتر)، وضربت المشارف الغربية (لهانجست)، ثم وجهت كل القوات إلى رأس المعبر لتتخذ مواقعها استعدادًا للهجوم.

وقررت تطهير (هانجست) لأنها كانت تضايقنا كثيرًا، فوضعت فرقة الدراجات تحت قيادة الكابتن (فون هاجن) وقد نجحت فرقة الدراجات فى هجومها وحققت هدفها.

وبدأت مدفعية الأعداء الثقيلة فى قصف منطقة عبورنا (للسوم)، وسقطت قذائفها بغزارة على جانبى الطريق الذى تتقدم عليه الفرقة ببطء ولكن بثبات وكانت الخسائر قليلة، واستمرت رؤوس المعابر غرب (السوم) فى استقبال الوحدات، مما أدى إلى ازدحامها فى وقت قصير.

وأصدرت أوامرى للمدفعية المضادة للطائرات لمساعدة الفرقة أثناء انطلاقها من نقطة تجمعها، ثم تتقدم على وثبات للأمام وراء القوات المتقدمة وبعد الهجوم يحتل المشاه المناطق التى تم الاستيلاء عليها، ثم توضع المدفعية ووحدات المدفعية المضادة للدبابات والمدفعية المضادة للطائرات فى مواقع بعمق حتى توفر أقصى معاونة من الضرب

ضد أى هجوم من الغرب أو الجنوب أو الشرق.

وتحركت الدبابات للهجوم، وهجمت الأسلحة المختلفة بطريقة مثالية كما لو كانوا يحاولون تنفيذ مشروع فى أثناء السلم، ودافعت قوات المستعمرات التى كانت تواجهنا والتى تحتل مواقع فى الغابات الصغيرة تعاونها أعداد كبيرة من مدافع الميدان والمضادة للدبابات، ولكون الدبابات وكتيبة الاستطلاع تمكنت من ضرب هذه الغابات بسيل من نيرانها أثناء عبورها، وقد استطاع البانزر القضاء على العدو بطريقته المألوفة.

وتحركت كتيبة الدبابات نحو غرب (ليكسنوا) بينما تقدم (روثنبورج) بالقسم الأكبر للأمام بحذاء سور قلعة (ليكسنوا) وقد لفتت العربات المدرعة المتقدمة أنظار الأعداء إليها فسمحت لوحدات المشاة القائدة بالوصول.

وتقدمت الدبابات، وهى تقاتل وتطلق نيرانها بدون توقف، حول أطراف القرية، حتى وصلت السهل الواسع إلى الجنوب، وأمكننا الفوز على جميع قوات العدو وأكرهناها على الانسحاب، وأسرنا عددًا كبيرًا من الجنود السود.

وبما أن هدفنا كان المنطقة فى شرق (هورانوا)، لذلك قررت الاستمرار فى الهجوم، وأصدرت أوامرى للإسراع بعبور جبل (ليفابيل) و(كانب أميينور)، واستطاعت فرقة البانزر أثناء مرورها فى غابة (رينكورت) تدمير جمع كبير من قوات العدو بنيران دباباتها، وانهالت على الفرقة أثناء هجومها من الجنوب الغربى نيران شديدة من مدفعية الأعداء، ولكنها لم تتمكن من صد الهجوم.

وعلى جبهة واسعة، وإلى عمق كبير تقدمت الدبابات تتسابق مع المدافع المضادة للطائرات ومدافع الميدان المقطورة، ثم أصدر الفيلق أمرًا بعدم التقدم عبر جبل (ليفابيل) حتى لا تتعرض الفرقة لهجمات قاذفاتنا المنقضة، وأدى هذا الأمر إلى اشتباكنا فى معركة عنيفة مع قوات كبيرة للأعداء

وخاصة على يميننا، لظهور مدرعات العدو التى أمكن تدميرها بسرعة بواسطة المدفع 88 مم المضادة للطائرات أو المدافع 88 مم المضادة للدبابات، وأجلينا مواقع العدو فى الجنوب والشرق والغرب بنيراننا، فأدى هذا إلى منعهم من التفكير فى الهجوم، وبعدها رجعت إلى رئاستى.

وفى صباح 6 يونيو، بدأ الهجوم وتقدمت خلف البانزر، أما الفرقة فتحركت على مواجهة 2000 ياردة متغلغلة 12 ميلا، واشتبكت الدبابات مع قوات العدو مما أدى إلى إبطاء التقدم، فسمح للمشاة بمتابعتها والمحافظة على الاتصال بالوحدات الأسهل حركة.

وتقدمت الفرقة المدرعة دون مقاومة جنوبا على جبهة واسعة وعبر طريق (كوليبرز – أيبلبزر) على بعد 20 ميلا بعد السوم، حيث أوقفنا عددًا كبيرًا من المدنيين على الطريق، ورأينا فى الخلق سحبًا كثيفة من الغبار تقترب، وهى تدل على تقدم الفرقة السادسة.

ويتابع (رومل) مذكراته فيقول:

وافق الجنرال (هوث) قائد الفيلق على الهجوم الذى أمرت به يوم 7 يونيو وأنه من الممكن التقدم حتى (روان) فى اليوم نفسه، ثم تحركنا إلى جنوبى (ثيلوا لافيل) حيث أصدرت أوامرى للرتل الموجود على اليسار ببدء الهجوم.

وبعد أن اجتزنا عدة عقبات ناتجة عن أخطاء تحديد الطريق والتصحيح البطىء على الخريطة، اندفع هجوم البانزر بسهولة إلى الأمام.

واستولت الفرقة 25 بانرز على (تباب ميزفال) بعد (السوم) بمسافة 45 ميل، فأصدرت أمرًا للكتيبة 37 باستطلاع المنطقة فى الجنوب الغربى حتى نهر (آنديل)، على بعد 7 أميال من (ميزفال) على جانبى قرية سيجى، ثم ترسل كل قواتها إلى (ميزانجفيل) كخطوة تالية.

وبعد تأكدى من احتلالها للتباب الهامة حول (ميزفال) ذهبت إلى

سرية الكابتن (شولنز) المدرعة، وأصدرت لها الأوامر بالاندفاع إلى الأرض المغطاة بالغابات، غرب (سانوت).

وكان ظهور القوات الألمانية على الطريق الرئيسى من باريس إلى دييب، بالقرب من (سانوت) قد أضاع كل أمل أمام القوات الفرنسية، فقد استولينا على أكثر من أربعين عربة، كما أن سرية (شولنز) المدرعة استولت على مستودع كبير للذخيرة فى الغابات شرق (سانوت)، وبعد قتال ضار فى بعض النقط، وقع فى أيدينا 300 أسير، ثم غنمنا 10 عربات قتال و100 شاحنة، ووصلنا إلى المقر الجديد لرئاسة الفرقة فى (ماركوكيت).

الهجوم على روان

ويقول (رومل) فى مذكراته:

وفى يوم 8 يونيو، قمت بزيارة رئيس عمليات الفيلق، وأخبرته بالموقف، وأبلغته بعض التعديلات فى الخطة، التى كانت تجهز حينئذ للهجوم على (روان) فاقترحت أن تتقدم الفرقة السابعة البانزر إلى نقطة تبعد 4 أميال شرق (روان)، حيث تتظاهر بالهجوم المباشر على المدينة بمساعدة المدفعية، ثم تتحول الفرقة بأجمعها إلى الجنوب الغربى وتقوم بهجوم كاسح للاستيلاء على جسور (السينى) عند (إيلبوف)، 15 ميلا غرب (روان) فيعزل بذلك منحى السين، ووافق رئيس العمليات على هذه الخطة.

وتحركنا نحو الهدف، وكانت الطائرات المعادية تغير على ارتفاع منخفض، ولكنها لم تنجح فى صد هجوم الكتيبة، لأن جهازنا المضاد للطائرات كان قويًا للغاية، وتحركنا عبر المشارف الجنوبية (لأرجيل)، ولم نجد أى أثر لقوات العدو فى المدينة، فأمرت بحشد أكبر قوة من الفرقة والسير بسرعة للوصول (لسيجى)، وهناك تعرضت سرية البانزر الموجودة فى المقدمة لنيران معادية، والتى ردت عليها بقوة.

وأثناء الاشتباك القصير، نسف العدو الجسور فوق نهر (الأنديل)، وراقبنا العملية كلها من نقطة تبعد عدة مئات من الياردات، وبسرعة دفعت مدفعية الهاوتزر القريبة منى للأمام لتفتح النار فى أرض مكشوبة، وفى هذا الوقت وصلت فرقة الدراجات، بينما راحت المدافع المضادة للطائرات تحتل مواقع للضرب، وبذلك أخلينا الطريق واختبأت العربات قرب جسر السكة الحديدية، ووجدت منطقة على النهر تصلح لعبور الدبابات، تبعد 400 ياردة جنوب (سيجى) يمكن عبورها فى الغالب خوضًا، فأحضرت جزءًا من سرية البانزر على الفور، وأرسلتها عبر النهر لتساند المشاة التى كانت قد عبرت للضفة الأخرى، وفى الوقت نفسه تقدم عدد كبير من الجنود البريطانيين الذين خاضوا النهر فاستسلموا.

وفى هذه اللحظة، تلقيت إشارة لاسلكية تقول إن فرقة الاستطلاع تحت قيادة الملازم (سوفانت) قد نجحت فى منع العدو من نسف الطريق وجسور السكة الحديدية فى (نورمانفيل)، ثم احتلت الجسرين وأنشأت رأس معبر عبر النهر.

ونتيجة لذلك أنهيت القتال عند (سيجى) وحولت كل القوات نحو الجنوب بأقصى سرعة لعبور (الأنديل) عند (نورمانفيل)، وعبرت الجسر مجموعة اقتحام الفرقة واستمرت فى التقدم نحو الغرب، وبعد ذلك احتللنا (سيجى) من ناحية الغرب ووقع فى أيدينا مائة أسير بريطانى.

وهبط الليل ببطء، ووصلتنى إشارة تفيد بأن القول الموجود على اليمين قد وصل إلى تقاطع الطرق، على مسافة خمسة أميال شرق (روان)، وأنه اتصل بالقول الذى على اليسار، فتحركت بسرعة إلى الفرقة 25 بانزر لأصدر لهم الأمر بالهجوم نحو جسور (السين) وبعد خمسة عشر دقيقة تحرك القول على اليسار كحرس مقدمة نحو السين،

وكان يتكون من الفرقة 25 بانزر وكتيبة الدراجات.

وأثناء عبورنا للطريق الرئيسى من (روان) إلى (بونت سان بيير)، عند المشارف الشرقية (لبوس)، تعرضت مؤخرة الفرقة 25 بانزر على مسافة حوالى مائة ياردة للنيران من دبابة العدو أو مدفع مضاد للدبابات، ولم يسمع رجال دباباتنا صوت إطلاق النيران لضجيج محركاتها، فقررت تنبيه رجال الدبابات لهذا الخطر المحدق على الجانب الأيمن، فأمرت أقرب سيارة مدرعة بفتح نيرانها على العدو بالأخيرة الكاشفة، مما نبه رجالنا إلى فتح نيران دباباتهم بسرعة، وبذلك أمكنها إسكات مدفع العدو، ثم تابعنا التقدم فى طريقنا فى الظلام، وعند ليزاثكس تحولنا جنوبًا، وفى منتصف الليل بلغنا قرية (سوتفيل)، وكنا أول القوات الألمانية التى تصل (للسين)، ولم يكن هناك أى أثر لقوات العدو، وظهر لنا أن الاستيلاء على جسور السين أصبح مؤكدًا لأنها تبعد تسعة أميال فقط.

وفى الموعد المحدد لوصول مجموعات الاقتحام إلى (إيلبوف) انتظرنا الأخبار بأعصاب متوترة ولكن لم يصلنا أى خبر، فشرعت فى التحرك على رأس الفرقة 25 بانزر إلى (أيلبوف) لأراقب سير الأمور، وقررت الوصول بقواتى عند الفجر إلى التباب الموجودة على إحدى الضفتين.

وعند وصولى إلى (أيلبوف) رأيت الفوضى سائدة بين عرباتنا فى أحد الشوارع الضيقة شمالى (السين) فاضطررت إلى السير مترجلاً حتى أصل إلى رأس الكتيبة السابعة للدراجات، وهناك وجدت مجموعات الاقتحام التى لم تقم بعد بمحاولاتها لاحتلال الجسور، فأمرت قائد الكتيبة بالهجوم فورًا على الجسور، ومرت دقائق ثمينة أثناء تشكيل مجموعات الاقتحام، وأخيرًا بدأت أولى المجموعات فى التحرك، وقبل أن تتحرك بلحظة، نسف العدو الجسر، كما حدث بعد ذلك نفس الشىء

مع المجموعة الثانية، وأخذ الفرنسيون ينسفون كل جسورهم على السين.

وقررت الانسحاب من شبه الجزيرة الطويلة التى تقدمنا فيها، وتحركت القوات بسرعة، ولحسن الحظ كان يغطى حوض (السين) فى ذلك الوقت ستارة كثيفة من الضباب، فأمنتنا من نيران العدو على الضفة المقابلة.

بدأت الفرقة فى تطهير الأراضى التى اجتحناها، بينما سقطت (روان) فى يد الفرقة الخامسة بانزر، وصدرت التعليمات فى وقت متأخر من عصر هذا اليوم بالاستعداد للتقدم نحو الهافر، وفى المساء وصلت أوامر الفيلق، وكانت الخطة تقضى بالاندفاع بسرعة إلى الشاطئ عبر الهافر لعزل فرقتين أو ثلاثة من المشاة البريطانية والفرنسية وكتيبة أو اثنين من الدبابات، وأصدرت أوامرى للفرقة 25 بانزر بالتقدم إلى القطاع الواقع جنوب غرب بيسى، وكان على كتيبة الاستطلاع المدرعة احتلال المشارف الشرقية (ليفتون) بأسرع وقت، 22 ميلا شمال غرب (روان)، ثم الاستمرار فى التقدم نحو البحر، وقررت متابعة كتيبة الاستطلاع بالجزء الأكبر من الفرقة بأسرع ما يمكن، ثم أتابع التقدم نحو البحر.

يواصل رومل حديثه قائلاً:

تحركت شمالى (روان) إلى (بارنتين) وأصدرت أوامرى للفرقة بمتابعتى، وأبلغنى قائد كتيبة الاستطلاع بوجود عمليات نسف فى الطريق شرق (يفتون) علاوة على أسره لعدد من البريطانيين بعرياتهم وبدونها.

ولقد وصلتنى إشارة لاسلكية من الماجور (هايد كامير) تتضمن مشاهدته لعربات الأعداء تتحرك غربًا خارج الغابة قرب (سان سونس)، ويعتقد أن هذه القوة على وشك الوصول إلى يفتون، فأصدرت أوامرى لكتيبة الاستطلاع بإقفال الطريق الرئيسى من سانت سونس إلى (يفتون) على الفور، ثم فتح نيرانها على قوة الأعداء المتحركة فى اتجاهنا، كما

أمرت بإحضار مدفعية ثقيلة وأخرى خفيفة مضادة للطائرات، وتحركت معهما بأقصي سرعة صوب (يفتون) ووصلت إلى منحنى الطريق الشرقى للمدينة ثم وصلت المدفعية المضادة للطائرات، وفى الحال احتلت مواقعها بأقصى سرعة، وأصدرت لها الأوامر بتغطية الطريق بنيران كثيفة، وبعدها ظهرت لنا عربات كثيرة للعدو متقدمة على الطريق.

ولدى اقترابنا من الطريق الرئيسى المؤدى من (كانى) إلى (فيكامب)، وصل عداء من فرقة الاستطلاع وأخبرنى بأن الكابتن (فون لوك) شاهد قافلة من الشاحنات على الطريق الرئيسى، فتقدمنا على الفور إلى الطريق، فرأينا عددًا كبيرًا من العربات تقف على الطريق، فأمرت الدبابات والسيارات المدرعة والمدافع المضادة للطائرات الخفيفة بضربها، وبعد وقت قصير جاءتنا قوات كبيرة من الفرنسيين والبريطانيين وهى تعدو مستسلمة، وعند استجوابهم علمنا أنهم مقدمة الفرقة 31 الفرنسية، وبعد أن دمرنا القافلة المعادية هذه تابعنا تقدمنا مرة أخرى بسرعة كبيرة نحو البحر دافعين أمامنا رأس حربة للفرقة، أما مجموعة إشارتى فتقدمت عبر (تبيتس)، حتى وصلت إلى البحر، على بعد 10 أميال شرق (فيكامب) و6 أميال غرب (فيليت) وعلى القرب منا وصل (روثنبورج) مندفعًا بدباباته عبر الشاطئ حتى بلغ حافة الماء، وتحقق هدفنا، إذ قطعنا الطريق على العدو إلى (الهافر) و(فيكامب)، وبعد قليل أدركنا قائد اللواء، الكولونيل (فيرست) ومعه قائد فرنسى وعدد من الضباط الفرنسيين، وكان الكولونيل الفرنسى مذهولاً لسرعة تقدمنا، إلا أننا لم نستطع الحصول منه على أية معلومات.

ووردت إشارة بأن كتيبة الاستطلاع تصادف ضغطًا شديدًا من العدو على تبة شرقى (فيكامب)، فتحركت إلى (فيكامب)، ولكن فى هذه الأثناء

استطاعت الكتيبة أن تسيطر على الموقف وقامت مجموعة اقتحام تحت قيادة الملازم (سافانت) بالاستيلاء على موقع المدفعية الساحلية المعادية التى كانت تضرب الكتيبة بشدة.

وبعد وصول سريتا الباتزر وكتيبة الدراجات إلى كتيبة الاستطلاع، قررت أن أسير عبر المشارف الشرقية (لفيكامب) حتى أصل إلى التباب جنوب المدينة، وكنت أرغب فى منع وحدات العدو، التى كانت لا تزال داخل المدينة، من الهرب نحو الجنوب، ثم الاستيلاء على الميناء فى أقرب وقت، وأدى هذا التحرك إلى الاشتباك مع العدو أكثر من مرة، واضطررنا أكثر من مرة لتغيير خطتنا، وأخيرًا تقدمنا عبر (تورفيل) مندفعين بسرعة على الطريق الرئيسى من الجنوب إلى (سان ليورنارد).

ثم أصدرت الأمر إلى الكابتن (فون هانجن) بالتوجه مع ستة دبابات لاحتلال الطريقين المؤديين من (فيكامب) إلى الجنوب عبر (سان ليورناردو) ووقف المرور عليهما، ويكون الدفاع هناك من جميع الجهات، وقد تحقق هذا بدون قتال.

وقررت العودة مع الدبابات حتى أكون موجودًا فى صباح اليوم التالى فى رئاسة الفرقة، وفجأة فتحت علينا النيران من قرية أمامنا مباشرة من مدفع مضاد للدبابات وأصيبت الدبابة القائدة فى جنزيرها، ومرت عدة دقائق ولم تفتح دباباتنا نيرانها فقفزت من عربتى وجريت إلى الدبابة بانزر 3 التى كانت على الجسر شمالى الطريق، وهناك قابلت قائد الدبابة مستفسرًا عن عدم فتحه نيرانه فى الحال وتركه لدباباته، ثم أمرت الدبابة بانزر 2 بفتح النيران على الفور من مدفعها ورشاشها على موقع مدفع العدو المضاد للدبابات بغرض إعطاء الفرصة لكل الفول للخروج من المضيق الذى يمر به الطريق في هذا المكان متجهًا إلى اليسار.

وأخيرًا فتحت النيران، وسببت قذائف البانزر 2 من عيار 20 مم إلى إسكات العدو، ثم تحركنا ومعنا سرية البانزر.

وفى حصار اليوم التالى 11 يونيو، تحركت الفرقة من (فيليت) وتقدمت على الساحل إلى (سانت فاليرى)، وأخذت معى قيادتى التكتيكية وتحركت مع فرقة البانزر، وعند التباب البعيدة ميلا شرقى (فيليت) فتح علينا العدو النار من المدفعية المضادة للدبابات، فاتجهنا نحو الجنوب الشرقى، ولكن نيران العدو زادت من حدتها وانضمت إليها المدفعية الثقيلة، بحيث أصبح التقدم مستحيلا فى كثير من الأحيان، وبالقرب من (ليلولو) اتضح أن البريطانيين أقاموا خطًا دفاعيًا قويًا وكانت المقاومة شديدة.

وفى نفس الوقت، اندفع البانزر متقدمًا إلى الأرض المرتفعة التى تقع شمالى غربى (سانت فاليرى) مباشرة واستخدم العدو كل مدفع موجود لمحاولة إخلاء قواته عن طريق البحر.

وقد حاولنا جهدنا فى حمل العدو على الاستسلام، وتمكنا فى الساعات القليلة التالية بالفعل من إقناع حوالى ألف جندى بالاستسلام، كان أغلبهم من الفرنسيين، ولم تكن نسبة البريطانيين كبيرة.

وفى المساء، أرسلت عددًا كبيرًا من الأسرى الذين يتكلمون الألمانية إلى داخل (سانت فاليرى) نفسها المليئة بالقوات المعادية لكى يقنعوهم بالاستسلام، ولكن البريطانيين رفضوا كل اقتراح بالاستسلام، وانضم إليهم بعض الضباط الفرنسيين أيضًا، وأعادوا إلينا مبعوثينا بدون نتيجة.

وعليه أمرت الفرقة بالضرب بشدة، وقامت دبابة ماركة 4 بتدمير المانع الرئيسى فى الميناء، وبعد ربع سرعة أمرت بتوجيه كل نيران الفرقة على الجزء الشمالى من المدينة، وبالرغم من عنف القتال فى عصر هذا اليوم فالبريطانيون المستميتون لم يستسلموا، وفى نفس

الوقت وصلت المشاة للتباب غرب (سانت فاليرى).

وفى المساء سحبت الدبابات من الخطوط الأمامية، واحتلت المدافع المضادة للطائرات الخفيفة والثقيلة مواقعها، وصدرت الأوامر للمشاة بمتابعة إطلاق النيران للإزعاج طوال الليل لمنع العدو من إخلاء قواته.

وأثناء تقدمى عبر الحقول رأيت قواتنا فى كل مكان وقد احتلت موقعها بعمق كبير، كما احتلت المدافع المضادة للدبابات والطائرات مواقعها هى أيضًا، فأصدرت أوامرى لفرقة البانزر بالتحرك على أن تبقى تحت قيادتى المباشرة لأواجه أى محاولة للإفلات من جانب العدو بسرعة.

وبلغت باللاسلكى أن العدو يحاول الهروب فى زوارق صغيرة بحماية السفن الحربية إلى عدد من الناقلات تبعد من ألف إلى ألفين ياردة من الساحل شرقى (سانت فاليرى).

وعندما وصلت فرقة البانزر إلى مواقعها القديمة التى كانت تحتلها فى اليوم السابق، نشب قتال عنيف فى نفس الوقت بين المدفعية المضادة للطائرات عيار 88 مم وبين سفينة حربية معادية، واستدعينا قاذفاتنا المنقضة بواسطة اللاسلكى، وبعد قليل قابلت مراقب أمامى لمدفعية عيار 100 مم، فأمرته على الفور بتوجيه نيرانه على الطرادة الاحتياطية، ولم تلبث أن اشتعلت النيران فيها بعد إصابتها إصابات عديدة من نيراننا، واضطر بحارتها إلى توجيهها للساحل حيث تعثرت هناك فى القاع الصخرى.

وفى ذلك الوقت جهزت قيادتى التكتيكية حيث وضعتها فى المنازل الأمامية للمدينة، وكانت أوامر (روثبورج) تقضى بالسير بفريق البانزر على الطريق المؤدى إلى الوادى والاقتراب تدريجيًا من المدينة التى كانت لا تزال تخترق فى عدة نقاط.

وتحركت الدبابات متمهلة على الطرق الضيقة مستترة بالأحراش حتى اقتربت من المنازل الأمامية، وأخيرًا دخلت الحى الغربى للمدينة، وقد حاولنا فى هذا الوقت إقناع العدو بضرورة الاستسلام واجتياز الجسر الخشبى الصغير نحونا.

وفى أول الأمر استسلموا فرادى، ثم ما لبث أن ازدادت كثافة الطابور، وبدأت فى تطهير المدينة بيتًا بيتًا وشارعًا شارعًا.

ويواصل رومل حديثه فى مذكراته قائلاً:

جاتء إلى ضابط صف، وقال إن قائدًا فرنسيًا كبيرًا قد أسر فى الجانب الشرقى للمدينة وهو يريد مقابلتى، وبعد قليل وصل الجنرال (أيهلر) الفرنسى وهو يرتدى بزة عسكرية عادية، وسألت الجنرال عن الفرقة التى كان يقودها، فرد على بألمانية ضعيفة: إنها ليست فرقة فأنا قائد الفيلق التاسع.

وطلبت من قائد الفيلق أن يعود لمركزه ويصدر أوامره إلى القوات بالاستسلام، ثم طلبت من الجنرال أن يسلم نفسه وهيئة أركان حربه فى ميدان (سانت فاليرى)، وصدرت الأوامر للمدفعية بالتوقف عن قصف (سانت فاليرى) والمنطقة خلفها بينما يستمر القصف على السفن فقط، وأخطرنا الفرقة الخامسة بانزر باستسلام العدو فى (سانت فاليرى)، وكانت فى ذلك الوقت مشتبكة مع دبابات العدو بالقرب من (مانفيل).

وخلال الساعات القليلة التالية أسرنا اثنى عشر جنرالاً، من بينهم أربعة قادة فرق.

وقد كان من الصعوبة حصر العدد الكلى للأسرى وتقدير الغنائم، وقمنا بنقل 12 الف أسير من بينهم 8 آلاف بريطانى فى عربات الفرقة السابعة البانزر وحدها، ويقال إن عدد الأسرى فى (سانت فاليرى) بلغ حوالى 46 الفًا.

تحركت إلى الهافر حيث فتشت المدينة التى وقفنا للاستيلاء عليها دون إراقة الدماء، ونحن الآن نشتبك مع أهداف أخرى فى عرض البحر بمدافعنا البعيدة المدى، واليوم أشعلنا النار فى ناقلة.

واليوم 16 يونيو 1940، سنعبر (السين) ويبدو أن الحرب تتحول تدريجيًا إلى احتلال يكاد يكون سلبيا لفرنسا كلها، وذلك بعد سقوط باريس وفردان والاختراق الكبير لخط (ماجينو) بالقرب من (ساربروكن).

***

الفصل الخامس

رومل فى نهر السـين

يتحدث رومل فى هذا الفصل عن عبور قواته نهر السين وما صاحب ذلك من أحداث بعد استراحة قصيرة وإعادة للتنظيم فقد تحولت فرقة (رومل) مرة ثانية إلى نهر (السين) جنوبى (روان) وكانت عمليات العبور هناك قد انتهت فى 9 يونيو فى أعقاب الجيش الفرنسى العاشر الذى كان مضطربًا جدًا لعبور الألمان بهذه السرعة وبدون قتال يذكر، ولم يلبث أن انسحب الجيش العاشر نحو الغرب إلى خط (الديزل)، وانسحبت القوات التى تجاوره نحو الجنوب، واندفع المشاه الألمان نحو الجنوب فى اتجاه نهر (اللوار) لاستغلال هذه الثغرة الجديدة فى الجبهة الفرنسية.

وفى 16 يونيو، بدأ الجيش الفرنسى انسحابًا جديدًا، كما صدرت الأوامر للقوات البريطانية المشاركة له بالانسحاب (لشيربورج) ليمكن من ثم إخلاؤها بحرًا إلى إنجلترا.

*** وعن هذه الأحداث يقول رومل:**

وفى 17 يونيو 1940، استأنفت الفرقة سيرها إلى جنوبى السين، وبدأت أولها بالاتجاه إلى منطقة (ليغل)، وكانت تعليمات الفرقة السابعة بانزر تقضى بالاندفاع لبلوغ طريق (تونانت سيبسى) وبعد أن تصل تدعم بلواء سنجر، ثم تندفع صوب (شيربورج) لتستولى عليها، وبلغنا من فرق الاستطلاع الجوى أن سفن حربية وسفن نقل موجودة فى شيربورج، مما رجح أن عمليات الإخلاء تجرى بالفعل.

وقمنا بالتقدم فى قولين إلى أن بلغنا طريق (تونانت سيبس) فأصدرت أوامرى باستمرار الهجوم حول جنوب (سيبس) وسارت الأمور بسرعة وعلى ما يرام حتى (مونتميرى)، وهناك أسرنا 20 جنديًا، ثم استمر القول فى سيره نحو (بوس)، وفى فراتشفيل تلقيت تقريرًا بأن دبابات العدو تحتل المداخل، وتقفل الطريق إلى (بوس)، فأمرت بالالتفاف نحو الشمال على الفور حيث صادفنا بعض الجنود الفرنسيين على الطريق فأسرناهم، ووجدنا بينهم عدة سيارات محملة بالضباط، وكان أحدهم يتكلم الألمانية، فاستخدمناه كمترجم.

ومن ثم اصطدم رأس القول مع راكبى الدراجات المعادية، وبسرعة تم القضاء عليهم، وخلفهم بمسافة بسيطة اصطدمنا بقول فرنسى كان يستعد للتحرك، إلا أن ظهورنا فاجأه تمامًا، ولم يبد عليه التلهف للقتال، وبدأ القائد الفرنسى فى المفاوضات مع الكابتن (لوك)، قائد الكتيبة 37 استطلاع، وبعدها بقليل ذهبت للأمام بنفسى لأرى سبب التوقف.

وقال الكابتن الفرنسى إن المارشال (بيتان) عرض الهدنة على ألمانيا، وأصدر تعليماته بهذه الهدنة للقوات الفرنسية لوقف القتال، وأخبرت الكابتن الفرنسى بواسطة المترجم أننى لم أتلق أى معلومات عن هذه الهدنة، وأن الأوامر الصادرة لى تقضى بالاستمرار فى التقدم، وأضفت أنه لن نطلق النار على أية قوات فرنسية تستسلم، ثم طلبت من الكابتن الفرنسى إخلاء الطريق وتحريك قواته إلى الحقول بعد نزع سلاحهم، وبدا على الكابتن الفرنسى التردد فى تنفيذ هذا الأمر، وعلى كل حال أمرت القول بالتقدم فورًا، واندفعنا مارين بالقول الفرنسى، وصادفنا قوات فرنسية أخرى وكنا نشير لهم بمناديل بيضاء ليعلموا بأن الحرب انتهت بالنسبة لهم، ولم نلق أى مقاومة جدية بعد ذلك، فقررت

الاستمرار فى التقدم لأصل إلى (شيربورج).

بدأت كتيبة الاستطلاع 37 السير إلى (شيربورج)، وكانت الأوامر تقضى المحافظة على السرعة، ووصلنا الطريق الرئيسى فى دقائق قليلة حيث تلاقينا مع سرية هانكة المدرعة التى انضمت إلينا، وكانت القوات الفرنسية معسكرة على جانبى الطريق وكنا نلوح لهم أثناء مرورنا بهم، وكانوا يتطلعون إلينا فى ذهول عندما يلاحظون أن قولا ألمانيًا فى هذه السرعة الكبيرة.

*** رومل يتعرض للقتل:**

عند المشارف الغربية (لفيلرز) مررنا بساحة كبيرة مزدحمة بالجنود، وفجأة اندفع أحد المدنيين نحو سيارتى وبيده مسدس يريد إطلاقه على، ولكن القوات الفرنسية أمسكت به ومنعته من تنفيذ غرضه.

وساد الظلام، ولاحت لنا نيران ضخمة مشتعلة أمامنا وكانت فى الغالب من مخازن ومستودعات البترول التى نسفها العدو فى (ليساى) وفى هذا الظلام الحالك تابعنا تقدمنا مسرعين، وعند منتصف الليل عبرت كتيبة الاستطلاع ميدان السوق فى (لاهاى دبيويز)، وتابعت كتيبة الاستطلاع تقدمها بقيادة الملازم (أيزر ماير) ثم تحولت إلى الطريق الجانبى إلى (بولفيل)، وفى ذهه اللحظة اصطدم رأس القول بحاجز يدافع عنه العدو وتعرض لقصف شديد من المدفعية والمدافع الرشاشة، وتأكد لنا أن هذا الحاجز تحتله قوة كبيرة للعدو، وكان القمر ساطعًا، ولكننى قررت عدم الهجوم فى الحال بقواتى المنهكة، فأمرت كتيبة الاستطلاع بإنهاء القتال مع العدو وعدم الهجوم عليه حتى تباشير الفجر.

فعدت بنفسى إلى المؤخرة مع الملازم (هايزبيرج)، وكانت نيران مدفعية الأعداء لا تنقطع على الطريق، مما اضطرنا للقيام بأكثر من التفاف، وأثناء

ذلك كان علينا فتح عيوننا جيدًا حتى لا نصطدم بمشاة العدو.

وبعد ذلك بحوالى نصف ساعة صادفتنا فرقة من راكبى الدراجات كانت تستعد للتحرك إلى الجبهة، وعليه تابعنا رحلتنا على متن دراجة.

وبعد سير طويل قابلنا الكولونيل (كسلر) قائد الكتيبة الأولى من المدفعية فأمرته بفتح نيرانه على جانبى الطريق مع ضرب أكثف غلالة يمكنه ضربها على المرتفعات المحيطة (بشيربورج) على أن يركز على منشآت الميناء نفسها، ثم اتجهنا بسرعة إلى المؤخرة، وأمرت بقية الكتائب بشن هجوم على التبة الواقعة على بعد ألف ياردة غربى الميناء الحربى، وبعدها بقليل بدأت النيران السريعة للمدافع 37 مم تنهال على (شيربورج) وأنزل العدو مناطيده بسرعة، وظهر كما لو أن الموقف يتطور لصالحنا.

ولكن هذا الموقف الذى كان فى صالحنا تحول فجأة لصالح العدو عندما فتحت كل حصون (شيربورج) نيرانها من كل عيار، فكونت غلالة كاسحة ضد المنطقة التى نحتلها، وانضمت إليها السفن الحربية البريطانية بمدافعها البحرية الثقيلة، أما لمواقع التى تحتلها مدفعيتنا والمدفعية المضادة للطائرات فقد لقيت اهتمامًا خاصًا من العدو مما زاد من خسائرها، كما أن مقر قيادتى تعرض للقصف الشديد، فاضطررنا إلى نقله إلى مكان آخر، واستمر القصف السريع من الحصون لمدة ساعة، وأدركت أن الموقف قد يتأزم، لو قام العدو بهجوم قوى بالمشاة من (شيربورج)، لذلك حاولت جاهدًا إرسال التعزيزات وأهمها الآلاى السابع بنادق والآلاى 25 بانزر، وعندما علمت بوصول رئاسة الفرقة إلى (سوتفيل) قررت أن أقوم بقيادة باقى العمليات من هناك.

وقررت اعتماد خطتى الأصلية فى الهجوم والتى تقص باندفاع الآلاى السابع بنادق تسانده الدبابات عبر ((هنيفل) فإذا سقطت التباب جنوب

(كيركفيل) فى أيدينا يصبح من السهل ضرب ميناء (شيربورج) والمدينة نفسها، حيث يمكننا فيما بعد، عزل القطاع الشرقى من دفاعات (شيربورج) بلواء سنجر الذى كان منتظرًا وصوله فى اليوم التالى، وفى الصباح وصل قادة الفرق حيث استمعت لتقاريرهم، ثم أصدرت لهم أمرًا بالهجوم.

بعد رحيل القادة بقليل حصلت على عدة خرائط كبيرة ذات أهمية كبري، فدرستها بكل عناية، واتضح لى أن القصر الذى اتخذناه مقرًا لنا، كان ينزل فيه قائد (شيربورج)، وعثرنا على مجموعة كاملة من الخرائط فى أدراجه السرية تعين تحصينات (شيربورج) وتبين لى أنه ليس من الحكمة القيام بالهجومو على طريق (تونفيل)، لأن العدو يغطيها بنيران حصون عديدة.

وفى صباح يوم 19 يونيو، تحركت للأمام ومعى الكابتن شربلير والملازم (هاوزبيرج)، حيث أرسلنا عددًا من الأسرى إلى (شيربورج) يحملون منشورات بالفرنسية تطالب القوات هناك بالاستيلام بدون قيد أو شرط.

وأرسلت إشارة لاسلكية إلى الماجور (هايد كامير) آمره فيها ببدء الهجوم، وفى هذه اللحظة وصل الكولونيل (فيرست) من الناحية الشرقية (لكيركفيل) يحمل نبأ تفاوض (فون بيسمارك) مع وفد من المدينة، فذهبت فورًا إلى نقطة تبعد نصف ميل إلى الشمال من حصن (ديكونليف)، وعلمت أن المفاوضات قد بدأت، وكان الميناء الحربى لا يزال فى أيدى العدو الذى لم يكن يبدو عليه نية الاستسلام، وعليه قمنا بفتح النيران على كل شىء يتحرك فى هذه المنطقة.

أما الحصون الموجودة على البحر فتوقفت عن الضرب، ورفضت قلعة (كيوكنيل) الاستسلام، ولكن قائدها أبلغنا بأنه لن يضرب ما لم نضربه نحن، ولكنه لن يستسلم إلا بأوامر من القيادة، أما الحصن المركزى فكان ساكنًا.

ولقد أعطيت مهلة ساعة لاستسلام المدينة، وبعد مرور ساعة على

المهلة المعطاة ولما لم يصل الرد، بدأت القاذفات المنقضة الهجوم بكل دقة على الحصون البحرية، وسجلت إصابات مباشرة ضد الحصن المركزي، كما فتحت المدفعية نيرانها القوية، وتعرض الميناء الحربى لسيل من القنابل، وأصدرت الأوامر لآليات البنادق باحتلال المدينة أثناء القصف، وعندما اختفى الميناء الحربى كله تحت سحابة من النيران والدخان، تحولت المدفعية إلى حصن (كيركفيل) لإجبار حاميته على الاستسلام بسرعة.

وبدأت مفاوضات الاستسلام بسرعة معقولة، واستسلمت المدينة، وأصدرت الأوامر بوقف إطلاق النار، ثم تقدمت مع هيئة أركاني إلى داخل (شيربورج)، وبسقوط (شيربورج) انتهت الحرب فى الغرب بالنسبة للفرقة السابعة بانزر، وصدرت لها الأوامر بالتحرك جنوبا.

أخيرًا ساد السلام، ونحن الآن على مسافة 200 ميل من الحدود الإسبانية، ونأمل أن نصل إلى هناك بسرعة، بحيث يصبح كل ساحل الأطلنطى فى أيدينا.

***

الفصل السادس

هزيمة الجنرال جرازيانى

يقول رومل عن تلك الأحداث:

فى فبراير 1941، ألقى (الدودتشبى) خطابًا قال فيه إن إيطاليا دفعت إلى ليبيا جيشًا تعداده ثلاثمائة وسبعة وعشرون ألفًا من الجنود، وأربعة عشر ألفًا من الضباط، وقد تم تجهيزه بكميات كبيرة من العتاد فى الفترة ما بين 1936، 1940.

ولكن الحقيقة أن هذا الجيش لم يصل بأى شكل من الأشكال إلى المستوى التى تفرضه الحرب الحديثة، فقد كان مجهزًا ليواجه حركات تمرد القبائل فى المستعمرات، والتى خاض غمارها (جرازيانى) ضد (السنوسيين والنجاشى)، فكانت دباباته وعرباته المدرعة بسيطة التدريع ومحركاتها ضعيفة ومدى عملها قصير، أما المدفعية فكان مرماها قصيرًا، بالإضافة إلى افتقاره للمدفعية المضادة للدبابات والطائرات، أما أسلحته الصغيرة فكانت قديمة لا تلائم ظروف الحرب الحديثة.

وكانت الكارثة الكبرى أن معظم وحدات الجيش من المشاه التى تسير على الأقدام، وهذه القوات المترجلة تصبح غير ذات قيمة إذا قابلت عدوًا ميكانيكيًا، وخاصة فى صحراء شمال أفريقيا، ونخرج من هذا كله إلى أن العيب الرئيسى لجيش (جرازيانى) الإيطالى، أثناء محاربته للبريطانيين، انحصر فى كون أغلب تشكيلاته كانت مترجلة.

الإداريون يعملون على أسس نظرية

وقد بدأ جيش (جرازيانى) تحركه فى سبتمبر 1940، فى وقت لم يكن لدى البريطانيين أى قوات تستطيع إيقافه قبل الإسكندرية، وبدأت التشكيلات الإيطالية تتقدم من منطقة البردية ودخلت الحدود المصرية عند السلوم ثم تقدمت على الطريق الساحلى إلى (سيدى برانى)، ولم تحاول القوات البريطانية الضعيفة صد التقدم أو حتى الدخول فى معركة حاسمة ولكنها انسحبت بمهارة نحو الشرق.

وبعد وصول جرازيانى لسيدى برانى، أخذ يعزز المنطقة التى احتلها، ويمد طريقًا معبدًا بجوار الساحل، ثم بدأ فى تشييد قاعدة له هناك، مع تخزين الإمدادات وإحضار التعزيزات وتنظيم موارد المياه، وكان ينوى متابعة الهجوم نحو الشرق من هذه القاعدة الجديدة.

وقد ترك (جرازيانى) تنظيم الشئون الإدارية للإداريين والمستخدمين المدنيين ليفعلوا كل شىء بطريقتهم النظرية فى الإمداد، فأدى هذا إلى الإبطاء إلى حد خطير، وقد يؤدى هذا إلى كارثة مروعة، لأنه لو وجد رجل فى الجانب المعادى ينفذ خططه بأسلوب أكثر نشاطًا، فسوف يسبق الخصم.

وقوف جرازيانى فى سيدى برانى

ومضت الأسابيع والشهور وبقى (جرازيانى) جامدًا فى موقعة عند (سيدى برانى) مما أتاح لأعدائه البريطانيين الفرصة ليستعدوا لمواجهة أى تقدم آخر للإيطاليين مع تجهيز دفاع قوى عن مصر، فحشدوا قواتهم من كل أنحاء الإمبراطورية البريطانية، وأهم من هذا كله إحضارهم للقوات الميكانيكية إلى الجبهة فى مصر، وكانت المدرعات البريطانية متفوقة للغاية على المدرعات الإيطالية من حيث النوع والتسليح والسرعة.

وبالرغم من أن الجيش البريطانى كان أقل عددًا من الجيش الإيطالى، إلا أنه كان أفضل فى العتاد، وكان البريطانيون، طيلة الحرب فى شمال أفريقيا، يسيطرون على الخط الحديدى من الساحل حتى (مرسى مطروح) وبذلك أمكن استخدامه فى جلب العتاد للجبهة من مصر.

وفى نهاية نوفمبر، بدأ الجنرال (ويفل) هجومه فجأة، وقد مهد الطيران للهجوم، حيث قامت الطائرات بضرب المواقع الإيطالية فى (سيدى برانى) ومطاراتهم الأمامية، كما قامت الطرادات البريطانية بضرب (سيدى برانى) من ناحية البحر، وقد بدأ الهجوم فى ضوء القمر بعملية التفاف على المواقع الإيطالية فى (سيدى برانى) بواسطة قوة ضاربة مؤلفة من فرق بريطانية وأسترالية وفرنسية وبولندية وهندية، وقد تمكنت من التغلب على المواقع الإيطالية بعد قتال قصير وأسرت 2000 منهم.

وتقدمت المشاة البريطانية من الشرق تساندها الدبابات الثقيلة حيث هاجمت المواقع الإيطالية فى (سيدى برانى)، ومرة أخرى تدخلت الطرادات البريطانية بمدافعها الثقيلة فى المعركة، وانقض كل هذا على الإيطاليين كالصاعقة إلى أن أبيدت تماما الفرق المشاة الثلاث الإيطالية الموجودة فى منطقة (سيدى برانى).

وتابع (ويفل) هجومه، فاصطدم مع فرقة القمصان السوداء، التى استسلمت بعد معركة قصيرة، وفى يوم 16 ديسمبر وصل (ويفل) إلى الحدود الليبية ودحر قوات (جرازيانى) فى (كابوتزو).

طبرق لا تصمد سوى أسبوعين

ويتابع (رومل) مذكراته فيقول:

استمر الجيش البريطانى فى تقدمه، وفى 8 يناير 1941 تم حصار طبرق، وبالرغم من دفاعاتها المتينة وحاميتها المؤلفة من 25 ألفًا

والمعززة بوحدات المدفعية القوية والمؤن الوفيرة، إلا أنها لم تصمد سوى أسبوعين فقط، وبعدها انهار الدفاع كله تحت ضغط الهجوم البريطانى وكان أساسه دبابات المشاة.

ويتابع (رومل) مذكراته فيقول:

بعد سقوط (طبرق) دخل البريطانيون (برقة) حيث خاضوا معارك قصيرة فى (درنة) و(المخيلى)، وفى 7 فبراير سقطت بنغازى فى أيدى البريطانيين، واندفع طابور بريطانى مدرع حيث تقدم عبر (مسوسى) ولم يلحظ الإيطاليون ذلك، وبلغ الساحل عند نقطة تبعد 30 ميلا جنوبى غربى (بنغازى) واشتبك مع بقايا جيش (جراز يانى)، وانتهى الاشتباك بتدمير 100 عربة قتال مدرعة إيطالية مع أسر 10 آلاف إيطالى.

وفى 8 فبراير، احتلت القوات البريطانية العقيلة، وبذا توقفت عند الحدود بين (برقة) و(طرابلس)، بعد أن أبيد جيش جرازيانى تماما.

كما نزلت بالسلاح الجوى الإيطالى هزيمة قاصمة على أيدى السلاح الجوى البريطانى، حيث خسر معظم طائراته ومنشآته الأرضية.

ويتابع (رومل) مذكراته فيقول:

كانت الهزائم الإيطالية المنكرة تتعلق بمعنوياتهم، فهى قد فقدت كل ثقة لها فى سلاحها، كما تعرضت لمركب نقص خطير بقى مسيطرًا عليها طيلة الحرب، وهو أن الحكومة الفاشية لم تعزز قواتها فى شمال أفريقيا بالعتاد اللازم، ومن الناحية النفسية نجد أنه من سوء الحظ أن تنتهى أولى معارك الحرب بمثل هذه الهزيمة ا لمنكرة، التى تدفع بالرجال إلى فقدان الثقة بأنفسهم.

***

الفصل السابع
المهمـــة الجديـــدة

* يقول رومل عن تلك الأحداث

فى يوم 6 فبراير، أبلغنى الفيلد مارشال (فون براد شيتش) بمهمتى الجديدة بعد تأزم الموقف بالنسبة لحلفائنا الإيطاليين فى شمال أفريقيا، ولذلك اتجهت النية لإرسال فرقتين ألمانيتين، إحداهما مدرعة والأخرى خفيفة، لمساندتهم فى ليبيا، وكان على أن أتولى قيادة فيلق أفريقيا الألمانى، وأن أسافر فى أقرب فرصة إلى ليبيا لاستطلاع الأرض، على أن تصل طلائع القوات الألمانية إلى أفريقيا فى منتصف شهر فبراير، بينما سيتم تحرك الفرقة الخامسة الخفيفة فى منتصف أبريل والفرقة 15 بانزر فى نهاية مايو.

وقد اشترطت القيادة الألمانية لتقديم هذه المساعدة، أن تتعهد الحكومة الإيطالية بالدفاع عن طرابلس فى منطقة خليج (سبرته) على خط يتجه نحو الجنوب بالقرب من البوابات، وذلك لتأمين الأراضى اللازمة لاستخدام الطيران الألمانى فى أفريقيا، وكانت القوات الإيطالية المحملة فى شمال أفريقيا ستوضع تحت قيادتى.

فى صباح يوم 11 فبراير، قدمت نفسى للجنرال (جازونى) رئيس أركان القيادة العليا فى روما، حيث عرضت عليه خطة الدفاع من طرابلس إلى منطقة خليج (سبرته) وقد وافق على ذلك، وصدرت التعليمات للجنرال (روانا) رئيس أركان الجيش الإيطالى، بمرافقتى إلى ليبيا، وعند العصر

طرت إلى صقلية حيث قابلت الجنرال (جايسلر) قائد الفيلق العاشر الجوى الألمانى، وكانت آخر الأخبار الواردة من أفريقيا سيئة للغاية، فقد استولى (ويفل) على (بنغازى) ودمر آخر فرقة مدرعة للإيطاليين جنوبى المدينة، وكان على وشك الدخول إلى طرابلس، ولن تتمكن القوات الإيطالية من المقاومة لمدة أكثر، ولما كانت أولى الفرق الألمانية لن يتم تجهيزها فى أفريقيا إلا فى منتصف شهر أبريل، لذلك فإن مساعدتها ستصل متأخرة وغير ذات قيمة إذا ما استمر العدو فى تقدمه.

وعليه فقد طلبت إلى الجنرال (جايسلر) أن يهاجم ميناء (بنغازى) فى نفس الليلة ويرسل بقاذفته فى الصباح لمهاجمة القوافل البريطانية جنوبى غربى المدينة، ولم يوافق (جايسلر) فى أول الأمر، ولم أصبر على هذا، فاتصل العقيد (شماندت) بمقر قيادة الفوهرر وتلقى تعليماته بالموافقة، وبعدها بساعات قامت أولى القاذفات الألمانية فى مهمتها لضرب قوافل التموين البريطانية المتجهة إلى (بنغازى).

وفى الصباح، اتجهت مجموعتنا الاستطلاعية جوًا من صقلية إلى طرابلس، وعندما قدمت نفسى للجنرال (جاريبولدى) الذى تسلم القيادة من المارشال (جرازيانى)، وأعلمته بمهمتى، لاحظت أن حماسه فاترًا أثناء شرحى لخطة الدفاع عن خليج (سبرته)، وبدا لى أنه لم يقتنع، فقد كان منهارًا للغاية بسبب الهزيمة، فضغطت عليه بقدر ما أستطيع وأفهمه أننا لن نتمكن من مساعدتهم ما لم يصمدوا فى الدفاع عن (سبرته).

وبعد حثى للإيطاليين، قاموا فى 14 فبراير بتحريك أولى فرقهم نحو (سبرته)، وفى نفس اليوم وصلت إلى ميناء طرابلس أولى الوحدات الألمانية، ونظرا لخطورة الموقف طلبت منهم الإسراع بالنزول والاستمرار ليلاً على أضواء المصابيح، وكان على أن أقبل المخاطرة للتعرض بكل بساطة لهجوم جوى للعدو.

ولكن أظهر بمظهر قوى، أصدرت أوامرى للورش بصنع عدد من الدبابات الهيكلية حيث حملتها على سيارات فولكسواجن، وكانت تبدو حقيقية بالفعل.

وفى 17 فبراير، زاد نشاط العدو للغاية وانتابنى القلق من أن يستأنف هجومه على طرابلس، وزاد من هذا الشعور عندما تأكدنا فى 18 فبراير من وجود وحدات بريطانية جديدة بين (العقيلة) و(أجدابية)، ولكى أشعرهم بنشاطنا قررت دفع الكتيبة الثالثة استطلاع للأمام ومعها كتيبة سانتا ماريا والكتيبة 37 المضادة للدبابات إلى المنطقة المحيطة (بالنوفيلية) للاتصال بالعدو.

وفى 24 فبراير حدث أول صدام بين القوات الألمانية والبريطانية فى أفريقيا ودمرنا للعدو عربتى استطلاع وعربة نقل وسيارة وأسرنا ثلاثة جنود بريطانيين من ضمنهم ضابط، ولم تحدث بيننا أى خسائر، وفى نفس الوقت استمر تحرك باقى الفرقة الخامسة الخفيفة إلى الجبهة حسب الخطة.

فى هذه المرحلة يتمكن العدو من وقف إمداداتنا، وفى 11 مارس تم إنزال الألاى الخامس فى طرابلس، وفى 13 مارس نقلت مقر قيادتى إلى مسراته وذلك للاقتراب من الجبهة، وكان هدفى أن أطير إليها وبرفقتى رئيس عملياتى، ولكن بعد إقلاعنا صادفتنا عاصفة رملية فأجبرت الطيار على العودة، فاضطررت إلى الاستمرار فى رحلتى إلى مطار مصراته بالسيارة، وأدركنا أننا لم نقدر قوة هذه العاصفة، فقد حجبت سحب التراب الأحمر الضخمة الرؤية تمامًا وجعلت السيارة تكاد تزحف.

وفى 19 مارس سافرت بالطائرة إلى مقر قيادة (هتلر) لأقدم له تقريرًا كاملا وأتلقى التعليمات منه، وهناك أنعم على الفوهرر بوسام أوراق الغار للصليب الحديدى، وذلك لجهودى أثناء عمليات الفرقة السابعة البانزر فى فرنسا، وأبلغنى القائد العام للقوات البرية عدم توجيه ضربة حاسمة

فى الوقت الحاضر فى أفريقيا، وعلينا ألا نتوقع أى مدد إلا فى نهاية مايو وبعد وصول الفرقة الخامسة عشر بانزر حيث يمكن مهاجمة العدو وتدميره حول (إجدابيا) وربما يمكن الاستيلاء على (بنغازى)، وأوضحت له عدم إمكان الاستيلاء على (بنغازى) وحدها دون احتلال (برقة) بأسرها، ولا يمكن أيضا الاحتفاظ بمنطقة (بنغازى) بدون ذلك.

*** ويواصل رومل حديثه قائلاً:**

- كنت قد أمرت الفرقة الخامسة الخفيفة قبل سفرى بالاستعداد للهجوم على (العقيلة) والاستيلاء على مطارها وحصنها الصغير ثم طرد حاميتها الحالية، وقد قامت قوات مختلطة من الألمان والإيطاليين قبل ذلك بوقت باحتلال واحة (مرادة) الموجودة فى الجنوب، وكان علينا إمداد هذه القوة، ولكن قوات العدو فى (العقيلة) أزعجت قوافل تموينا، لذلك فبعد عودتى إلى أفريقيا، قامت الكتيبة 3 استطلاع فى ساعة مبكرة من يوم 24 مارس باحتلال الحصن ونقط المياه والمطار فى (العقيلة) وبعد الاستيلاء على (العقيلة) أبلغنا سلاحنا الجوى بأن نقط الإنذار البريطانية تنسحب نحو مضيق (مرسى البريقة).

- كان المضيق الواقع فى (مرسى البريقة) هو الهدف الأول لهجومنا الذى سيبدأ فى آيار ضد العدو حول (أجدابيا) وبعد انسحاب العدو من (العقيلة) احتل مواقع فى المرتفعات الحاكمة فى (مرسى البريقة) وجنوبى الملاحة فى بير (الصوير)، ثم بدءوا فى تدعيم مواقعهم، وعليه فكان أمامى إما أن أنتظر بقية قواتى التى ستصل فى نهاية مايو، وهذا يعنى فسح المجال أمام العدو لتحصين مواقعه لدرجة أنه يصبح من الصعب طرده منها، أو أن أقوم بالهجوم على الفور بالقوات المحدودة المتوفرة لدى فأستولى على موقع (مرسى البريقة) قبل أن يتم تجهيزه،

وقررت الهجوم فورًا، وتحركت قواتنا فى 31 مارس ضد المواقع البريطانية فى (مرسى البريقة)، ودارت معركة وحشية فى معاطن (جيوفر)، ثم قامت قوات الفرقة الخامسة الخفيفة بعد الظهر بمهاجمة مواقع (مرسى البريقة) نفسها التى دافع عنها البريطانيون بشدة ولم يلبث أن توقف هجومنا.

وفى ساعة متأخرة من الليل، دفعت الكتيبة المزودة بالمدافع الرشاشة الثامنة عند هذه النقطة حيث قامت بهجوم جرىء عبر الكثبان الرملية.

وتمكنت من دفع العدو إلى الوراء نحو الشرق، واستولت على مضيق (مرسى البريقة)، وفى أول أبريل، أصدرت الأمر لقواتى بالتجمع فى (مرسى البريقة) ومعاطن (جيوفر).

وأظهرت تقارير السلاح الجوى ودوريات الاستطلاع، نية العدو بالتراجع، فقررت أن أغتنم هذه الفرصة، فأصدرت أوامرى بالهجوم على (أجدابيا) والاستيلاء عليها، وهكذا قامت الفرقة الخامسة الخفيفة متقدمة على جانبى الطريق الساحلى، وبعد معركة قصيرة استولت على (أجدابيا) فى عصر اليوم ذاته، ثم اندفعت قواتنا الأمامية بسرعة إلى منطقة زيتونة، وفى الوقت نفسه اصطدمت فرقة البانزر بالدبابات البريطانية حيث دارت معركة قصيرة وأسفرت النتيجة عن احتراق سبع دبابات للعدو، ولم نخسر نحن سوى ثلاثة، وعند حلول الظلام استولينا على الأرض المحيطة بأجدابيا ولمسافة 14 ميلا نحو الشرق ومن ثم لحقتنا القوات الإيطالية.

- كان واضحًا أن البريطانيين كانوا يريدون تفادى هذا الاشتباك وأى اشتباك مهما كان، لذلك عزمت على الانطلاق فى عصر هذا اليوم فى أعقاب العدو والاستيلاء على (برقة) كلها بضربة واحدة، فقمت بإرسال

مقدمة فرقة آريتى المدرعة الإيطالية إلى (بنغازى)، وأمرت بدفع كتيبة الاستطلاع للأمام على الطريق الرئيسى إلى (بنغازى).

وفى المساء ذهبت لأراقب سير الأمور فى جبهة الكتيبة الثالثة والتى تقدمت نحو (بنغازى) وعندما لحقت بها فى منطقة (مجرون) أخبرنى (فون ويخمار) أنه لم يصطدم حتى الآن مع أى قوات بريطانية، وقد أخبره قسيس إيطالى قادم من هناك بأن الإنجليز أخلوا المدينة بالفعل، وبناء على طلب (فون ويخمار) أرسلت الكتيبة المذكورة لاحتلال (بنغازى).

- كنت منذ البداية قد عزمت على الحصول على أكبر قدر ممكن من الحرية الاستراتيجية والتكتيكية، ولذلك قررت ألا أتخلى عن هذه الفرص الذهبية وأن أستغلها، وكان الجنرال (جاريبولدى) القائد العام الإيطالى لا يريد أن يتصرف قبل أن تصله أوامر من روما، وهذا يعنى ضياع الوقت الثمين بدون أن نفعل شيئًا، لذلك قررت عدم قبول مثل هذا الموقف، فأخبرته بأنى سأستمر فى العمل الذى أراه مناسبًا وتحت أى ظروف، وقررت التصرف بنفسى بالأسلوب الذى أتبعه حتى هذا الوقت، وفى هذه اللحظة وصلتنى رسالة من القيادة العليا الألمانية تمنحنى الحرية الكاملة فى اتخاذ القرارات اللازمة، وأدى هذا إلى الوصول إلى النقطة الحاسمة وبذلك انتهت المناقشة فى الاتجاه الذى أردته لها.

- أصدرت تعليمات للجنرال (فون برتيوتيز) قائد الفرقة 15 بانزر، بتولى قيادة قوة مطاردة لمتابعة الإنجليز إلى (طبرق)، ووضعت تحت قيادته كتيبة الاستطلاع الثالثة وكتيبة المدافع الثامنة والكتيبة 605 المضادة للدبابات، وكان استيلائى على (برقة) قد أصبح تامًا، ولكنى كنت لا أزال أعتقد أنه لابد من مطاردة العدو، لأن استمرارنا فى الضغط عليه سيضطره للاستمرار فى الانسحاب.

فى 9 أبريل، وصل تقرير مفاده أن العدو حشد قوات كبيرة حول (طبرق) وهو يقوم بتحميل المعدات فى عشر سفن موجودة في الميناء، ولسوء الحظ كانت طائراتنا مشغولة للغاية ولن يتمكن سوى عدد بسيط من المشاركة بالمعركة.

وعند الظهر وصل قائد فرقة برسيكا فأخبرته بنواياى، المتضمنة الهجوم على (طبرق) من الجنوب بفرقة بريسكيا ثم يليها فرقة ترينتو لإبقاء قوات العدو فى أماكنها مع إثارة سحب كثيفة من الغبار، بينما تقوم الفرقة الخامسة الخفيفة بالالتفاف من جنوب (طبرق) عبر الصحراء لمهاجمتها من الجنوب الشرقى.

وعند العصر وصلت ومعى الدينجر إلى (التميمى)، حيث تحتل قواتنا الأمامية مواقعها، حيث أطلعت الجنرال (فون بريتوينز) على خطة الهجوم على (طبرق).

وفى نفس الوقت قدرت أن الفرقة الخفيفة تحركت بالفعل صوب التميمى، وسرت فى اتجاه المخيلى لمقابلة الفرقة الخامسة الخفيفة، ولكن بعد أن اجتزنا 30 ميلا ضربتنا عاصفة رملية أجبرتنا على العودة إلى (درنة).

وانتظرنا هدوء العاصفة ثم أقلعنا مرة أخرى، فوجدنا الفرقة الخفيفة لا تزال فى مكانها، فأصدرت أوامرى للفرق بالتحرك عند المساء عبر (التميمى) على أن تصل عند الفجر إلى منطقة (الغزالة) التى اخترتها لتهجم منها هذه الفرقة.

وفى العاشر من أبريل تحركت باتجاه (طبرق)، حيث وجدت الكتيبة الثالثة استطلاع على مسافة تبعد 30 ميلا غربى الحصن، ولسوء الحظ ظهر أنها لم تبدأ بعد التفافها نحو اليمين للقيام بهجومها، وقد أصدرت أوامرى للجنرال (فون بريتوينز) بالهجوم فورًا بمحاذاة الطريق المؤدى إلى (طبرق) ثم تحركت مرة أخرى نحو (طبرق)، فوجدت الوحدات القائدة من الكتيبة الثامنة مشتبكة مع العدو على مسافة عشرة أميال من (طبرق)، ولكن النيران الشديدة للمدفعية البريطانية الموجودة فى طبرق عطلت تقدمها.

وتحركت جنوبًا فى عربتى المدرعة، ماموث، واتجهنا شرقًا للاقتراب من طريق (طبرق العضم) وقد لاحظنا تقدم الدبابات البريطانية والسيارات المدرعة على مرتفع، وظهر لنا أن الكتيبة الثالثة لم تحتل العضم بعد، بينما كانت المدفعية البريطانية تضرب بشدة وحدات الفرقة الخامسة الخفيفة الواقفة على الطريق، وهناك قابلت الكونت (شويرين) حيث أصدرت له أمرًا بالاقتراب من شرق (طبرق) لمنع الإنجليز من اختراق الحصار ثم رجعت إلى(عكرمة) لإحضار قوات أخرى، فأرسلت فرقة البانزر لمهاجمة (طبرق) من الجنوب الشرقى.

وفى عصر هذا اليوم، سقطت (العضم) فطلبت من الفرقة الاستمرار فى المطاردة إلى (البردية)، بينما كانت القوات الأخرى تصل تباعًا، وفى يوم 11 أبريل تم حصار (طبرق) وبدأ الهجوم بالطائرات المنقضة على مواقع العدو الدفاعية، والتى كانت مجهولة لدينا.

وفى 12 أبريل استولينا على (البردية) بينما وصلت إلينا قوات أخرى، فقررت البدء فى أول هجوم على الحصن فى عصر هذا اليوم، وفى نفس الوقت تسلمت فرقة بريسكيا الناحية الغربية من (طبرق) وبدأت الهجوم فى عصر هذا اليوم.

وبدأت الفرقة الخامسة الخفيفة هجومها، ثم اتجهت شمالاً فى (الماموث) خلف مدرعاتى بينما كانت مدفعية العدو تقصف منطقة تقدم مدرعاتنا، ولكنها لم تكبدنا سوى خسائر بسيطة، وعند وصول فرق البانزر للثغرة توقفت لتعرضها لنيران شديدة من المدفعية وأخيرًا توقفت المدرعات أمام خندق مضاد للدبابات، وبعد ذلك توقفت جميع المدرعات، فقد اتضح لنا أن دفاعات (طبرق) كانت ممتدة فى جميع الاتجاهات أكثر مما قدرنا، وحتى ذلك الوقت لم نحصل على تخطيط

لمواقع (طبرق) الدفاعية الموجودة فى حوزة الإيطاليين.

وقررت أن أحاول من جديد خلال أيام قليلة وذلك عندما يصلنا مزيد من المدفعية وفرقة آريتى المدرعة، وبذلك لا أترك للعدو أى فرصة لتدعيم دفاعاته.

*** ويواصل رومل حديثه قائلا:**

واتضح لى بعد أن فشلت الفرقة الخامسة فى هجومها على (طبرق) أنها فقدت ثقتها فى نفسها وسادتها روح التشاؤم.

ولم يصلنى أى خبر عن فرقة آريتى المدرعة، فقررت أن أعود لإحضارها بنفسى، ورأيت مقدمة هذه الفرقة على مسافة 22 ميلاً غربى (العضم) فأمرت قائدها الجنرال (بالداساى) بحشد قوته فى المنطقة شمالى (العضم) وبعد ذلك بدأت الكتيبة 8 هجومها وكان هدفها تدمير الخندق المضاد للدبابات وعمل رأس جسر داخل النطاق الدفاعى البريطانى، بينما كانت المدفعية الألمانية والإيطالية تقصف بمهارة، وقامت مدفعية الكتيبة الثالثة عشر المضادة للطائرات بقصف تجمعات العدو مباشرة، وقد نجحت بذلك نجاحًا باهرًا.

وفى نفس الوقت علمت باستقرار الوضع فى مواجهة (السلوم)، فاستولينا على (السلوم) و(كابتزو)، وكان البريطانيون فى حالة سكون شبه تام.

وحددت يوم 14 أبريل لبدء هجوم الفرقة الخامسة الخفيفة، وأصدرت تعليماتى لجراتى وللكتيبة الثامنة عشر المضادة للطائرات بالعمل فى المعاونة القريبة للفرقة الخامسة الخفيفة.

وبدأ الهجوم بمساندة قوية من المدفعية وفى الوقت المعين بكل دقة، وبعد قليل أخطرنا (بوناش بأنه يتقدم بدرجة معقولة، ثم رجعت إلى رئاسة الفيلق فوجدت تقريرًا من الفرقة الخامسة الخفيفة مفاده أن هجومها قد توقف لأن اختراقها كان على جبهة ضيقة فى خطوط الأعداد، وبعدها

بفترة قصيرة وصل الجنرال (سترايخ) والعقيد (أولبريخ)، والذى قال إنه وصل بالفعل بمدرعاته إلى نقطة تبعد ميلين ونصف جنوبى المدينة، ولكنه تعرض هناك لقصف شديد من المدفعية البريطانية فاضطر إلى الانسحاب إلى خط بمحاذاة رئاسة الفيلق، وقال إن عددًا كبيرًا من المشاة قد أصيب، فأمرته بالتقدم فى الحال لفتح ثغرة فى خط الأعداء لتخليص المشاة، وقررت بدء الهجوم بعد وصول فرقة آريتى، ولسوء الحظ اتضح أنها لم تفعل أى شىء، فحثثتها على التحرك بأقصى سرعة.

*** ويواصل رومل حديثه قائلاً:**

- وعدت عند الظهر، فعلمت أن الفرقة الخامسة الخفيفة لم تفعل شيئًا وذلك لشدة نيران العدو المركزة عليها، وتحت هذه الظروف لم يكن أمامى إلا وقف الهجوم على (طبرق) ثم أحاول الاتصال بكتيبة (بوناث) لإخراجها من مأزقها.

ثم ذهبت إلى فرقة آريتى وأبلغتهم قرارى الأخير، وأمرتهم باحتلال القطاع جنوب الفرقة الخامسة الخلفية، ورافقتهم بنفسى، وقد علمت أن جنوب شرق قصر (الجلخا) قد قصفته المدفعية البريطانية الموجودة فى (طبرق) ودبت الفوضى بشكل يفوق الوصف، وكان الظلام على وشك الحلول لذلك لاقى قائد الفرقة صعوبات جمة أثناء محاولته السيطرة على وحداته وتحريكها إلى مواقعها الجديدة.

ولم نتمكن من الاتصال مع كتيبة (بوناث)، وفى ذلك الوقت كان القسم الأكبر من الكتيبة قد قضى عليه، وكان المقدم (بوناث) نفسه قد لقى مصرعه فى هذه المعركة.

وكان هدفى بعد ذلك الاستيلاء على (التل) و(رأس المدور) مستخدمًا فى ذلك قسمًا من فرقتى آريتى وترينتو وعدد من السرية الألمانية وبمساندة قوية من المدفعية.

وفى يوم 16 أبريل دفعت بكتيبة مدرعة من فرقة آريتى لمهاجمة التبة 187، وتقدمت على يسار الهجوم، وبدلا من أن يتوقف الإيطاليون جنوبى التبة وينزلوا ليستكشفوا الأرض أمامهم، اندفعوا إلى أعلى نقطة فى التبة 187 حيث توقفوا هناك، ولم يمض أكثر من دقائق حتى بدأت المدفعية بقصف التبة، فانسحب الإيطاليون بأقصى سرعتهم ليتوقفوا فى الوادى بعد أن سادت بينهم الفوضى والارتباك، فحاولت إقناع قائد الدبابات الإيطالى بالتقدم إلى رأس المدور فى تشكيل مفتوح ولكننى لم أنجح.

وفى هذه الأثناء، كان الملازم (برندت) يراقب سير المشاة الإيطالية، الذى تم فى بداية الأمر بنظام ممتاز، ولكن الإيطاليين تحولوا فجأة وهربوا فى فوضى كبيرة نحو الغرب، فأمرته باللحاق بهم لمعرفة سبب هذه الفوضى، وبعد نصف ساعة ظهر (برندت) وقال لى إن أحد الإيطاليين أخبره أن العدو هاجمهم بالدبابات، واضطررت إلى التحرك ومعى ثلاثة مدافع مضادة للدبابات لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ولم أتمكن من إقناع رجال الدبابات الإيطالية بمرافقتنا، ولكن هذه المدافع نجحت تحت قيادة (برندت) فى تدمير عدد من حاملات البرن البريطانية.

أما الكتيبة الإيطالية التى لم يكن بحوزتها أى أسلحة مضادة للدبابات قد سقطت فى الأسر بالكامل فى ذلك الوقت، وقد نجح مساعدى الرائد (شريبلر) فى الإفلات من الأسر ثم قام باحتلال المرتفعات حول (عكرمة) مع ما تبقى من الإيطاليين، فأرسلت إليه سريتين من المشاة لتعزيز قواته.

وقررت مهاجمة (رأس المدور) لأن البريطانيين بتحكمهم فى هذه النقطة يستطيعون تهديد خطوط مواصلاتنا عبر (عكرمة) وعليه قمت بمحاولة أخرى فى يوم 17، ولم ينجح الهجوم مرة أخرى لأن القوة المهاجمة تجاهلت تعليماتى، والتى تقضى بالتقدم من مانع طبيعى إلى

آخر ث تنتظر فى كل مرة حتى تعاونها نيران المدفعية على التقدم، ولكن قادة السرايا تجاهلوا هذه التعليمات واندفعوا بغباء عنيد نحو العدو.

وأخيرًا ظهر لنا بوضوح أنه لا يوجد أى أمل فى اختراق مواقع العدو الموجودة فى مواجهتنا وذلك لحالة الإيطاليين السيئة فى التدريب ومعداتهم القديمة العديمة القيمة، فقررت إيقاف الهجوم لحين وصول قوات أكبر.

ويوم 19 أبريل تحركت (للبردية) ووجدت أن قواتى لم تحتل الحصن بعد، وهناك قمت بتقليد المقدم (فون ويخمار) صليب الفارس، ثم أصدرت أوامرى لسرية ألمانية باحتلال (البردية) على الفور، وقد سقط الحصن بالكامل وتم أسر 56 فردًا وفريق التدمير الذى أرسله الإنجليز للحصن فى هذه الليلة.

❖ ويواصل رومل حديثه قائلاً:

- وأثناء عودتنا، وعلى مسافة حوالى عشرة أميال غرب (البردية)، تعرضنا لهجمات من الطائرات البريطانية مرتين، وفى هذه الليلة قررت العودة إلى مقر قيادتى، فتحولت جنوبًا قبل أن أصل إلى (طبرق) لأتخطاها عبر الصحراء.

وكان الظلام حالكًا، وحاولنا الاستعانة بالنجوم لتحديد مكاننا، ولكن الغيوم غطت السماء فاضطررنا للتوقف فى مكاننا بقية الليل لحين حلول الصباح.

- وأخيرًا وصلت من القيادة العليا الإيطالية خطط الدفاع عن طبرق، وكانت تشمل خرائط مفصلة عن مواقع التحصينات ورسومات تبين أماكن خنادق الدفاع، وكان كل هدفى فى هذا الحين سحب القوات المحملة التى تحاصر (طبرق) لاستغلالها فى المعارك المتحركة، وعليه طلبت من القيادة العليا الإيطالية إرسال فرقتين مشاة إضافيتين.

وأخذت أعمل فى الأيام التالية فى خطة الهجوم على (طبرق) وقررت وضع الجزء الأكبر من فرقة بريسكيا فى مواقع ثابتة على الجبهة

الشرقية (لطبرق)، وبهذا أتمكن من سحب الكتيبة الثانية مدافع ماكينة وأستغل جزء من فرقة ترينتو فى احتلال (البردية) و(السلوم) إذا أمكن، وبذلك أخلى كتيبة كنابى الألمانية، وكان سيقوم بالهجوم الرئيسى الفرقة الخامسة عشر بانزر مع تدعيمها بوحدات من فرقة آريتى المدرعة، وكان محور الهجوم الرئيسى سيكون عبر رأس المدور إلى داخل الدفاعات الثابتة، وأثناء الهجوم الرئيسى تقوم الفرقة الخامسة الخفيفة بهجوم ثانوى على الجبهة الجنوبية الشرقية، وقررت القيام بهذا الهجوم فى نهاية أبريل أو فى أوائل مايو.

فى صباح 22 أبريل، اجتاح العدو مواقع الكتيبة فابريس فى التبة 201 ثم تقدم نحو (عكرمة) فأنذرت الفرقة الخامسة عشر بانزر على الفور، وأمرتها باحتلال الطريق الرئيسى شرقى موقع صيانة الطريق رقم 31، وبعد ذلك بوقت قصير وصلت أنباء تفيد بأن هناك اشتباكًا بالمدافع الرشاشة أمام عكرمة.

وعليه انطلقت إلى هناك بأقصى سرعتى، ومررت فى الطريق بالكتيبة 605 المضادة للدبابات فأخذتها معى، وعند وصولى علمت بأن العدو أسر بالفعل قيادة فابريس، بينما هاجمت ستة دبابات بريطانية مواقع المدفعية الإيطالية ودمرت المدافع وأسرت رجالها وقد عدلت خطتى، التى كانت تتضمن الهجوم بالفرق الخامسة الخفيفة من الجنوب الشرقى على (طبرق)، لأن الفرقة لم تكن لديها الميل لهذه العملية بسبب الأرض المفتوحة التى سيتم الهجوم فيها وكانت خالية من السواتر.

رومل يوقف القتال:

فى حوالى الساعة السادسة من يوم 30 مايو، بدأ الهجوم على (رأس المدور) بواسطة طائراتنا المنقضة، وكان الهجوم على خط الدفاع

الخارجى قد نجح نجاحًا تامًا، فأمكننا اختراق خط العدو إلى عمق وصل لميلين شمال وجنوب (رأس المدور) مباشرة.

وفى حوالى الساعة التاسعة، هوجمت التبة الرئيسية فى (رأس المدور) من الخلف وسقطت فى يد كتيبة (فويجستبرجر)، وأمرت فرقة (آريتى) بالتحرك ليلاً للاقتراب من مجموعة (كيرشهايم)، وفى صباح الأول من مايو، تحركت شرقًا نحو رئاسة (كيرشهايم) فقابلت جزءًا من فرقة (آريتى) وكان المفروض أن تكون قد احتلت بالفعل المواقع التى سقطت فى أيدينا قبل ذلك، وعندما قامت المدفعية البريطانية بضرب المنطقة كلها، زحف الإيطاليون تحت عرباتهم وفشلت كل المحاولات التى بذلها ضابطهم لإخراجهم من تحت العربات.

وبعد فترة تحركت إلى منطقة الهجوم، وركبت فى المرحلة الأولى وترجلت فى المرحلة الأخيرة وذلك لأكون فكرة كاملة عن الموقف، وعند وصولى أصدرت أوامرى باحتلال المواقع التى سقطت فى أيدينا على الفور لتأمين الجبهة ضد أى مفاجآت غير سارة.

ولكن فى اليوم التالى، 2 مايو، اتضح لى أننا لسنا على درجة كافية من القوة للقيام بالهجوم الكبير الذى سيؤدى إلى سقوط الحصن، ولم يبق أمامى سوى الاكتفاء بما حققته بالفعل، وهو القضاء على مواقع العدو فى (رأس المدور) التى تهدد خطوط مواصلاتى.

معركة الحدود:

بعد أن توقفت عملية حصار (طبرق) قررت الحفاظ بمواقعنا فى منطقة (السلوم)، فقمت بتوزيع الوجبات للقوات الألمانية الإيطالية فى شمال أفريقيا.

وأصدرت تعليماتى بتنظيم خط دفاعى عند (الغزالة) لتكون على أهبة الاستعداد، وفى الساعات الأولى من صباح يوم 15 مايو، قام

البريطانيون بهجومهم على قواتنا المترجلة بالقرب من (السلوم) كما هاجموا مواقعنا القوية فى ممر (حلفاية) ثم تقدمت المدرعات البريطانية بعد ذلك فى منطقة (حباطه) حيث انتشرت على طول الحدود ثم اتجهت إلى الشمال الغربى، ثم شمالاً صوب (كابتزو) وتكبدت قواتنا خسائر جسيمة، وارتدت بانتظام تحت ضغط العدو نحو الشمال.

وأرسلت على الفور كتيبة مدعمة بالمدفعية المضادة للطائرات تحت قيادة المقدم (كرامر) لمساعدة (هيرف)، وكان على قوتى (هيرف) و(كرامر) الالتقاء ليلة 15 – 16 مايو غربى (سيدى عزيز) وذلك لمنع الإنجليز من تحقيق هدفهم وهو القضاء على قوة (هيرف).

وفى الليل دفعت قوة (هيرف) نحو قوة (كرامر) لمنع العدو من اصطياد القوتين على انفراد فى الصباح، ولكن القوتين فشلتا فى التقابل، وفى صباح يوم 16 مايو، وصل (كرامر) بقوته إلى منطقة (سيدى عزيز) فأوقف العدو الهجوم وانسحب نحو الجنوب.

رومل يعيد الاستيلاء على الحلفاية:

وفى الأيام القليلة التالية، انسحب الإنجليز إلى داخل الحدود المصرية، وتجمد الوضع مرة ثانية، أما حاميتنا فى (نقب الحلفاية) فقد دمرها العدو واستولى عليها، وفى يوم 18 مايو عدنا إلى موقعنا السابق فيما عدا هذه النقطة.

وبعد 17 مايو، راح الإنجليز يحصنون مواقعهم فى (حلفاية) مع نشر مجموعات قتال قوية مكونة من الدبابات والمدفعية والمدافع المضادة للدبابات فى الأماكن التى استولوا عليها، وبما أننى كنت غير مستعد لإبقاء (نقب الحلفاية) فى يد العدو، فقد أصدرت تعليماتى لقوة (هيرف) بوضع خطة للهجوم المضاد لاستعادة (النقب).

وبعد أن قمنا بدعم قواتنا فى منطقة (السلوم – الحلفاية – البردية) وأخذنا نبنى التحصينات فى منطقة ممر (الحلفاية) بأقصى سرعة، وأقمنا عدة نقط قوية على طول الحدود المصرية، وأثناء تفتيشى فى منطقة الدفاع فى (البردية) عثرت على كميات ضخمة من العتاد المتروك فى المواقع، وقد تركها جيش (جرازيانى) أثناء انسحابه، وكان هذا العتاد فى حالة ممتازة ومعد للاستعمال، فأصدرت أوامرى بجمع كل المدافع الإيطالية المهجورة واستخدامها فى تقوية الجبهة فى منطقة (السلوم – الحلفاية – سيدى عمر).

كنت قلقًا جدًا للموقف الاستراتيجى الصعب الناجم عن واجبنا المزدوج فى الحفاظ على حصار (طبرق) والاستعداد لمواجهة الهجوم البريطانى الرئيسى الذى سيجرى من قواعدهم فى مصر، إلا أننا كنا على استعداد لبذل أى مجهود لطرد الإنجليز من (طبرق) وطالبت بإرسال غواصات ألمانية وزوارق طوربيد لتعمل ضد المواصلات البحرية الإنجليزية إلى (طبرق).

الفصل الثامن

معركـــة الســـلوم

يقول روميل عن معركة السلوم:

فى بداية شهر يونيو، كانت الدلائل تشير إلى أن هناك هجومًا بريطانيًا كبيرًا متوقعًا على جبهتنا فى طبرق، وكان من المنتظر أن يبدأ هذا الهجوم فى منتصف الشهر.

وفى يوم 14 يونيو أصدرت أمرًا بتحريك عدة وحدات من الفرقة الخامسة الخفيفة وبعض الوحدات الإيطالية إلى مواقعها الجديدة، وكانت تعليماتى تقضى بأن تكون على استعداد للتدخل فى جبهة (السلوم).

وحدث هجوم العدو فى 15 يونيو، وتقدم العدو على جبهة واسعة فى كل من السهل الساحلى وأعلى الهضبة، فاضطرت نقطنا الخارجية إلى التراجع باتجاه الجنوب الشرقى وإلى الجنوب من السلوم، وقد بدأ الهجوم بالدبابات على (كابتزو) وكانت أوامرى للفرقة 15 بانزر بألا تقوم بهجومها المعاكس إلا بعد جلاء الموقف، وفى نفس الوقت كانت الفرقة الخامسة الخفيفة قد وصلت وحداتها المتقدمة إلى جنوب (جمبوت).

وكان العدو يحشد قوات كبيرة بين (سيدى عمر) و(كابتزو) للقيام بهجوم مركز نحو الشمال للقضاء على الفرقة 15 بانزر، وحتى أكون مستعدًا لأى احتمالات، أمرت حامية البردية باحتلال المداخل الشرقية والغربية للمدينة، ولسوء الحظ لم تكن هناك قوات كافية لاحتلال دفاعات البردية، وفى هذه الأثناء قام العدو بهجمات متعددة على نقب

الحلفاية من الأمام والوراء محاولاً فتح الطريق، ولكن الرائد (باخ) ورجاله قاتلوا ببسالة، وفى وقت قصير كانت القوة البريطانية تشكو من خطورة موقفها وفداحة خسائرها.

وعند العصر، طوق البريطانيون (كابتزو) وبدأ فى الهجوم على الجبهة الجنوبية للبردية، وفى وقت متأخر من الليل اقتحم البريطانيون (كابتزو) حيث دارت معركة عنيفة بين المدرعات، اشتبك فيها 80 دبابة من الفرقة 15 بانزر مع حوالى 300 دبابة بريطانية، وكانت تهاجم بعناد فى اتجاه الشمال.

يقول رومل:

أصدرت الأمر إلى الفرقة 15 بانزر وكتيبة من الفرقة الخامسة الخفيفة باحتلال المواقع أثناء الليل جنوبى البردية والقيام منها بهجوم معاكس نحو الجنوب، ثم أصدرت أوامرى للقوة الأساسية للفرقة الخامسة الخفيفة بالهجوم فى الصباح من نقطة قرب (سيدى عزيز) إلى (سيدى سليمان) للوصول إلى (نقب الحلفاية) وبذلك يتم عزل الإنجليز عن قواعدهم فنكرههم على الانسحاب، بينما تتقدم فى الفجر الفرقة 15 بانزر جنوبًا على جانبى (كابتزو) لتجميد القوة البريطانية الأساسية.

وقد شنت الفرقة 15 بانزر هجومها على (كابتزو) حيث نشبت معركة عنيفة بين الدبابات، وبعد قليل أخبرتنى الفرقة 15 المدرعة أنها اضطرت لوقف القتال والهجوم على (كابتزو) بينما ظل العدو ثابتًا لا يتزعزع ولم يبق من الـ 80 دبابة التى دخلت بها الفرقة المعركة إلا 30 فقط، أما الباقى فقد احترق فى ميدان المعركة.

اشتبكت الفرقة الخامسة الخفيفة أثناء سيرها نحو (سيدى سليمان)، باللواء السابع المدرع البريطانى فى المنطقة غرب سيدى عزيز وأسفرت

المعركة عن نجاح الفرقة الخامسة الخفيفة فى شق طريقها إلى منطقة شمال شرق (سيدى عمر)، حيث تابعت تقدمها نحو (سيدى سليمان)، وكانت هذه هى نقطة التحول فى المعركة فعلى الفور أمرت الفرقة 15 بانزر بالخروج بكل دباباتها من المعركة مع ترك أقل قوة تستطيع المحافظة على المواقع شمالى (كابتزو) والتقدم على الجناح الشمالى للفرقة الخامسة الخفيفة نحو (سيدى سليمان).

وبدا أن العدو ليس على استعداد لترك زمام المبادرة يفلت منه بهذه السهولة، فقد حشد أغلب مدرعاته شمالى (كابتزو) ليشن هجومًا قويًا فيخترق خطوطنا فى الشمال عبر الفرقة 15 بانزر، ولكى أفرق على العدو أسلوب القتال الذى أريد أمرت الفرقة الخامسة الخفيفة والفرقة بانزر ببدء هجومها على (سيدى سليمان) قبل أن يبدأ العدو هجومه.

وقررت تضييق الخناق عليهم وذلك بالاستمرار فى التقدم إلى (حلفاية)، فأصدرت أوامرى للفرقتين الخامسة الخفيفة و15 بانزر بالتوجه إلى (حلفاية) ومنع أى محاولة تقوم بها المدرعات البريطانية للاختراق نحو الشمال، وكان البريطانيون يقاسون من أزمة حادة فى الوقود والذخيرة فقررت إكراههم على القتال فى مواقع ثابتة حيث أستطيع تدمير قواتهم وبعد قليل أضرم العدو النيران فى مخازنه الموجودة فى (كابتزو) وانسحب تاركًا العربات المهجورة تملأ الصحراء لنفاد وقودها.

ووصلت الفرقتان الخامسة الخفيفة و5 بانزر إلى (نقب حلفاية) واستمرت معركة السلوم ثلاثة أيام، انتهت بانتصار كامل لنا، وقد خسر البريطانيون أكثر من 220 دبابة، كما أن خسارتهم فى الأفراد كانت هائلة، أما قواتنا فقد خسرت 25 دبابة.

ويواصل رومل حديثه قائلاً:

كانت النقطة الحرجة فى هذه المعركة هى (نقب الحلفاية) وقد دافع عنها الرائد (باخ) ورجاله ضد الهجمات العنيفة للعدو، كما أن كتيبة مدفعية الرائد (باردى) قامت بأعمال مجيدة خلال هذه المعركة، وبذا أظهرت أن القوات الإيطالية يمكنها أن تقاتل ببسالة عندما تكون قيادتها جيدة.

وفى المنطقة شمالى (سيدى عمر) فشلت الوحدات المدرعة فى منع تقدم الفرقتين الخامسة الخفيفة والخامسة عشر بانزر، ويرجع ذلك للتعاون الرائع بين قواتنا المدرعة والمدفعية المضادة للدبابات والمضادة للطائرات، لذلك أمكن تدمير العدو بسهولة.

وقد ساهمت الحاميات التى تدافع عن النقط القوية فى السلوم بنصيب كبير من انتصارتنا فبعضها نجح فى صد كل هجمات الأعداء، بينما قاتل البعض حتى آخر طلقة وآخر رجل.

وكان المفروض زيادة العناصر الألمانية إلى أربع فرق ميكانيكية والإيطالية إلى فيلق مدرع بالإضافة إلى فرقتين أو ثلاثة محملة، ولو وصلت هذه النجدات إلى أفريقيا فى خريف عام 1941 مع ضمان إمدادها وتموينها، لاستطعنا صد هجوم الإنجليز فى الشتاء الذى تم فى (برقة) وكنا سنصبح بعد ذلك على درجة من القوة تكفى لأن نتمكن من تحطيم الإنجليز فى (مصر) فى ربيع عام 1942، وبعدها نتقدم إلى (العراق) ونعزل بذلك (الروس) عن (البصرة)، وكان هذا سيمثل ضربة استراتيجية قاصمة لخطط روسيا وإنجلترا معًا، وقد وصلتنى أولى التهانى بترقيتى إلى رتبة جنرال البانزر.

الفصل التاسع
عمليات روميل في أفريقيا

هذا الفصل لم يكتبه روميل ولكنه تعليق على أحداث الحرب خلال شتاء 1941ـ1942:

يقول الفريق فرينز بايرلاين القائد الألماني الذي عاصر روميل:

لسوء الحظ لا توجد سلسلة متكاملة من كتابات «روميل» عن مرحلة الحرب في أفريقيا خلال شتاء -1941 1942، وبدون الاستناد لهذه الفترة لا يمكن تقدير المشاكل التكتيكية والإستراتيجية في أفريقيا ومقدرة «روميل» في القيادة، ولذلك رأيت من الضروري تلخيص العمليات من المصادر المتوفرة عنها.

في ربيع عام 1941، ذهل العالم كله من العمليات الألمانية الإيطالية في أفريقيا والتي أسفرت عن استيلاء الألمان على «برقة» واستطعنا الأحتفاظ بالمواقع الإيطالية المستردة بالرغم من الهجمات الشديدة من العدو، ودعمنا الدفاع عنها بإنشاء خط دفاعي ممتد من «السلوم» إلى «البردية»، ولكن من ناحية ثانية فشلنا في الاستيلاء على «طبرق» بالرغم من كل الجهود التي بذلناها، وقد تم خلال شهر سبتمبر تقوية جبهة الحصار حول «طبرق» مع تحديد نقطة لبدء عمليات الهجوم، واستلزم ذلك زيادة التحركات البحرية الإيطالية عبر البحر الأبيض إلى أفريقيا لنقل الأسلحة والمعدات اللازمة للهجوم، وكعادتهم ظل الإيطاليون دون المستوى المطلوب، وقد نجم عن ذلك أنه في نهاية

سبتمبر وصلت ثلث القوات والإمدادات التي كنا نحتاجها، وكانت هذه عقبة مرعبة في سباقنا مع العدو بالنسبة للوقت، فاضطررنا لتأجيل هجومنا على «طبرق» إلى شهر أكتوبر.

وبما أن الوقت كان ضيقاً، اضطر «رومل» في بداية أكتوبر إلى إعلام القيادة العليا بأن لديه قوات كافية للهجوم، ولكن القيادة العليا لم تدرك قيمة عامل الوقت ولم تتفهم وجهة نظرنا، لذلك كانت غير مطمئنة لقرارنا، ولقد لفتت نظرنا إلى التفوق الجوي البريطاني واقترحت تأجيل الهجوم للسنة القادمة، ولم يوافق «رومل» على ذلك وأجابهم بأن أي تأجيل سيؤدي على قلب ميزان القوى لغير صالحنا، ولذا فإن الهجوم أصبح حيوياً ويجب أن يتم في أقرب وقت ممكن، فوافقت القيادة العليا على القيام بالعملية في موعدها المحدد، وفي هذا الوقت كانت قوة «رومل» المدرعة مؤلفة من 260 دبابة المانية و154 دبابة إيطالية.

الإغارة داخل الحدود المصرية:

وجد «رومل» من الأفضل مفاجأة العدو بالانطلاق لمساعدة جبهته في «السلوم»، وفي نفس الوقت يوجه ضربة إلى أكثر أجزاء العدو حساسية وهي خطوط مواصلاته الحيوية، وعليه تقدم فيلق أفريقيا ومعه فرقة آريتي عبر الصحراء نحو «سيدي عمر»، وبعد سير سريع وصلها في المساء، وقاد «رومل» الفرقة 21 بانزر في خط مستقيم عبر الفرقة الرابعة الهندية إلى منطقة سيدي سليمان لإغلاق ممر «حلفاية»، وأمر الفرقة 15 بانزر بالهجوم على «سيدي عمر»، وكان على إحدى وحدات القتال المختلطة الاستيلاء على مركز التموين في «مادلينا» بينما تقوم المجموعة الأخرى بتدمير المعسكرات المحيطة «بحباطة».

وفي وقت متأخر من يوم 24 نوفمبر، تحرك «رومل» إلى الفرقة 21

بانزر وقادها بنفسه إلى مواقع العدو في «نقب حلفاية».

أما الفرقة 21 بانزر فلم تنفذ التعليمات الصادرة لها، لحدوث خطأ، فقد أصدر أركان حرب الجيش الموجود في المؤخرة أوامره بالتقدم شرقاً، وتقدمت الفرقة من مواقعها في «نقب الحلفاوية» إلى «كابتزو» حيث اشتبكت في قتال عنيف وغالي الثمن مع النيوزيلنديين، وقد فشل الهجوم الذي قامت به وحدات فيلق أفريقيا على «سيدي عمر».

ويعلق ليدل هارت فيقول:

أوشكت ضربة «ومل» الجريئة أن تحسم المعركة وتؤثر على نفسية القائد البريطاني، فالهزيمة الساحقة التي أصابت مدرعاته في المعركة حول «سيدي رزق» جعلت كاننجهام يفكر في التخلي عن الهجوم والانسحاب عبر الحدود ليعيد تنظيم قواته، ولكن ميله للانسحاب لم يرض «أوكلنك» الذي قدم في هذه اللحظة بطريق الجو من القاهرة.

وفي اليوم التالي، قام «رومل» بهجومه الإستراتيجي بفيلق أفريقيا، ونشر الذعر والفوضى عند ظهوره فجأة في المناطق الخلفية، وهذه الأنباء الخطيرة زادت من مخاوف «كاننجهام» بالطبع ولو أن قرار الانسحاب تم لحققت ضربة «رومل» هدفها.

ولكن في يوم 26 قرر «أوكلنك» الاستمرار في الهجوم وعين ريتشي قائداً جديداً للجيش الثامن بدلاً من «كاننجهام».

وفي صباح يوم 24 نوفمبر، أخطر «رومل» رئيس عملياته المقدم «ويستفال» بقراره في الهجوم إلى «سيدي عمر»، وحاول ويستفال الاعتراض لافتا نظر «رومل» بخصوص الإنجليز الذين كانوا يعيدون حشد قواتهم جنوبي «بير الجوبي»، ولكن «رومل» لم يترك أي مجال للنقاش وانطلق بسيارته إلى «سيدي عمر» بصحبة الجنرال جاوزي رئيس أركان حربه.

وعندما تقدم الإنجليز، بعد أن تولى «أوكينلك» القيادة ونظم قواته من جديد، وهاجموا المنطقة العزلاء تقريباً في «سيدي رزق»، وقام «ويستفال» بمحاولات يائسة للاتصال «برومل» كما أرسل عدة طائرات للبحث عنه، ولكنها لم تجده، وعندما أصبح الموقف متأزماً جنوب «طبرق» قرر ويستفال أن يتولى القيادة بنفسه، فقرر استدعاء الفرقة 21 بانزر إلى «سيدي رزق».

وبالرغم من أن الفرقة السابعة المدرعة البريطانية والفرقة الأولى لجنوب أفريقيا قد أصيبنا بخسائر باهظة إلا أن بقية الفرق وحامية «طبرق» بقيت كلها سليمة ونشطة، لذلك اضطر «رومل» للتخلي عن عملياته ضد مراكز الإمداد في «مادلينا» و«حباطة».

وحشد «رومل» جميع قواته الخفيفة الحركة ضد فرق النيوزيلنديين، وفي يوم 25 نوفمبر نشبت معركة عنيفة في «طبرق»، حيث وقعت قواتنا الساترة بين قبضتي كماشة أحدهما قادم من الجنوب الشرقي والآخر من داخل الحصن نفسه، واستطاعت مجموعة «بوتشر» ضد معظم هذه الهجمات بكل قواتها وأمكن إيقاف اختراق العدو بواسطة هجوم إيطالي مضاد، ونظراً لحراجة الموقف، اضطر «رومل» لإيقاف عملياته على جبهة السلوم وعاد بكل فرقة سريعاً إلى مركز المعركة في طبرق.

وفي يوم 28 نوفمبر، كانت الفرقة 21 بانزر تسابق الريح على جانبي الطريق الساحلي إلى «جمبوت» لتصل إلى المنطقة جنوبي زعفران، بينما تحركت الفرقة 15 بانزر على «مدق كابتزو») والتي كانت أطرافها مهددة دوماً بالقوات المعادية الخفيفة الحركة، وبعد أن تمكنت الفرقة من شق طريقها قتالاً عبر الهضبة وجدت نفسها مرة ثانية عند حلول المساء في أرض معاركها القديمة في «سيدي رزق».

وأصدر «رومل» تعليماته للجنرال «كرooيل» لعمليات اليوم التالي، وكانت

الخطة تقضي بمحاصرة الفرقة النيوزيلندية التي تمكنت من الاتصال بحامية «طبرق»، وذلك بتضييق حلقة الحصار حول «طبرق» مرة أخرى، وحشد كل إمكانياته من التشكيلات لهذه العملية وركز كل ثقله في الهجوم على الجناح الغربي لمنع النيوزيلنديين من الانسحاب إلى «طبرق».

وقامت الفرقة 21 بانزر بتضييق حلقة الحصار من الشرق بقيادة الجنرال «فون رافنشتين»، الذي وقع في قبضة النيوزيلنديين، وفي نفس الوقت دافعت الفرقة عن نفسها من الجنوب تجاه الهجمات العنيفة للعدو، وفي نفس المساء تحركت الفرقة 15 نانزر شمالاً واحتلت «تبة الدودة» الهامة، ولكنها خسرتها مرة ثانية أثناء الليل.

وفي صباح الثلاثين من نوفمبر، دفع العدو بقوات مدرعة ضخمة ومعها حشود من المشاة حيث هاجم ستارتنا الجنوبية، واستطعنا صدها على طول الخط، ولكن الفرقة 15 بانزر فشلت في احتلال «بلحامد» أو الاتصال بالفرقة 90 الخفيفة، مما كان سيؤدي إلى عزل حامية «طبرق» من جديد، ولم نتمكن من إغلاق حلقة الحصار إلا في اليوم التالي عندما هجمنا بعنف بعد أن أوقفنا كل الهجمات من الجنوب والشرق وقد نتج عن هجومنا هذا تدمير القسم الأكبر من الفرقة النيوزيلندية، وبذا أصبحت الحامية الإنجليزية في «طبرق» منعزلة تماماً، يضاف إلى ذلك أن العدو تكبد خسائر بلغ من شدتها انه فكر في الانسحاب من المعركة مؤقتاً.

ولم يكن في وسع «رومل» أن يعطي قواته فترة من الراحة التي كانت بحاجة لها، لأن جبهته في «السلوم» كانت تقاتل باستماتة للدفاع عن نفسها ضد الهنود، كما أن خط إمدادها كان مهدداً باستمرار، كذلك «البردية» كانت في موقف خطير للغاية، لذلك أرسل مجموعتي قتال مختلطتين من فيلق أفريقيا على «مدق كابتزو» والطريق الساحلي لفتح طرق المواصلات،

ثم وضع القسم الأكبر من القوات الألمانية والإيطالية الميكانيكية جنوبي شرقي «طبرق»، ومن هناك يمكنها الراحة ثم الذهاب بسرعة إما إلى الجبهة في السلوم أو إلى الجنوب ضد القوة الرئيسية الإنجليزية.

وأعادت تشكيلات العدو تنظيمها حيث حشدت قواتها على جانبي «مدق العبد» تغطيها ستارة ضخمة من السيارات المدرعة على الخط الممتد من «سيدي مفتاح» إلى «كابتزو».

وأثناء القتال العنيف الذي دام فترة ما بين 18 نوفمبر وأول ديسمبر، تمكنا من تدمير 814 مركبة قتال مدرعة وسيارة مدرعة للعدو، كما أسقطنا 127 طائرة، ويزيد عدد الأسرى على 9000 من بينهم ثلاثة جنرالات.

لقد فشل هجوم مجموعتي قتالنا المختلطتين على البردية والسلوم، وفي الرابع من ديسمبر علمت رئاسة الجيش بالوضع الحقيقي لموقف العدو، فقد كان يحشد قوة جديدة حول «بير الجوبي» وذلك للالتفاف حول جبهتنا والوصول إلى مؤخرتنا فيتم بذلك حلقة الحصار حول «طبرق تماماً»، وقرر «رومل» أن يقاتل هذه الفرقة بكل ما لديه من إمكانيات قبل أن تكتمل استعداداتها.

وكانت قواتنا قد أصبحت أضعف من أن تتمكن من الاستمرار في حصار «طبرق»، وأمر «رومل» بالاستعداد للتخلي عن الجزء الشرقي من جبهة الحصار، فتحرك فيلق أفريقيا غرباً عبر الممر ما بين «الدودة» و«سيدي رزق» إلى منطقة تجمعه في «العضم»، وكان الهجوم على الهجوم على بير الجوبي سيتم بمعاونة الفيلق الإيطالي الميكانيكي الذي كان يقترب من الشمال الشرقي، لكن حالة الإيطاليين لم تسمح لهم بالهجوم، لذلك أصبح على فيلق أفريقيا أن يهجم منفرداً، وقد قام بالهجوم بالفعل في منتصف يوم 5 ديسمبر، وقد اصطدم الفيلق بلواء الحرس الإنجليزي، ثم بعد ذلك

اصطدم بلواءات الفرقة السابعة المدرعة التي استعادت قواها، وبالرغم من ذلك فقد وصل الفيلق عند حلول الظلام إلى نقطة تبعد حوالي 10 أميال من «بير الجوبي»، وقام الإنجليز بهجوم من داخل «طبرق» فاستولوا على «خط التباب» الممتد من «الدودة» إلى «بلحامد»، فاضطررنا في النهاية إلى التخلي عن القطاع الشرقي من جبهة الحصار حول «طبرق».

ويعلق ليدل هارت فيقول:

ونظراً لتفوق العدو الكبير بالإضافة إلى حالة الإرهاق المسيطر على أفراد جيشنا، قرر «رومل» التخلي عن «طبرق» نهائياً والقتال في معركة انسحاب، نحو مواقعه في الغزالة.

الانسحاب من برقة:

وفي ليل 7، 8 ديسمبر، تخلص فيلق أفريقيا والفيلق الإيطالي من براثن العدو مع احتفاظهما بالجبهة الغربية لحلقة الحصار حول «طبرق»، وكانت قد وصلت وحدات من الفيلق 21 الإيطالي المشاة والفرقة 90 خفيفة إلى موقع الغزالة.

وكانت جبهة السلوم التي أصبحت بعيدة 120 ميلاً عن القوة الرئيسية، ماتزال صامدة بالرغم من عدم تمكننا من تزويدهم بالمؤن والذخيرة.

وانسحبت قواتنا ببطء، واشتبكت في عمليات محدودة، وقد بلغت في بعض الأحيان درجة كبيرة من الخطورة ولكنها تمكنت من الوصول إلى خط الغزالة يوم 12 ديسمبر دون أن يتمكن العدو أثناء الانسحاب من عزلها، أو إنزال الخسائر الكبيرة بها.

وفي 13 ديسمبر، قامت مشاة العدو بهجوم قوي واخترقوا الفيلق 20 الإيطالي الميكانيكي ووصلت قوات استطلاع العدو إلى «بير تمراد» وراء جبهتنا باثنى عشر ميلاً.

وفي مساء 16 ديسمبر، بدأ فيلق أفريقيا والفيلق الإيطالي الميكانيكي بقيادة الجنرال «كروويل» انسحابهما عبر الحافة الجنوبية لجبال «برقة» إلى «الأبياري»، بينما تحركت التشيكلات الإيطالية المترجلة انسحابها عبر برقة على الطريق الساحلي، وانسحبنا نحو «إجدابية».

وصول قافلة إيطالية تحمل الإمدادات لرومل:

وبحلول عيد الميلاد، كان التراجع إلى إجدابية قد تم دون أن يتمكن العدو من استغلال فرصة واحدة من الفرص العديدة التي سنحت له لتطويق القوات الألمانية.

واحتلت القوات الألمانية والإيطالية عبر المحملة خطاً دفاعياً بني على عجل إلى جانبي المدينة، بينما احتل فيلق أفريقيا والفيلق الإيطالي مواقعه حول إجدابية للدفاع الخفيف الحركة، وكان هناك انتصار واحداً كبير يمكن تسجيله قبل نهاية الانسحاب.

ففي 19 ديسمبر، وصلت إلى بنغازي قافلة بحرية من إيطاليا تحمل سريتي بانزر ومدافع وإمدادات، وكانت هذه أول السفن التي تصل منذ بدء الهجوم الإنجليزي في منتصف نوفمبر يحمل أسلحة.

لم يكن معقولاً أن نبقى في «أجدابية» وقتاً طويلاً بالنظر لحالة قواتنا وخاصة القوات الإيطالية، بالإضافة إلى العيوب التي تعاني منها شئوننا الإدارية، فقد كان علينا الاكتفاء بالقتال في عملية تعطيلية هناك، ثم الانسحاب إلى «مرسى البريقة» بالقوة الرئيسية عندما يحين الوقت المناسب.

في 27 ديسمبر، قام اللواء 22 المدرع البريطاني بالتقدم عبر «الحسيات»، بينما قامت قوات أخرى بشن هجوم على إجدابية، وبعد قتال عنيف بين المدرعات دام ثلاثة أيام تم تطويق العدو اضطر للقتال في جبهة معكوسة، ولكننا تمكنا من تطويقه في جميع الأنحاء.

ونتيجة لهذه الهزيمة انسحبت نحو الشمال فئات من مجموعة المعاونة ولواء الحرس التي هاجمت مواقعنا قبل ذلك، وبذا زال الخطر المباشر على مواقعنا في «إجدابية» واستغل «رومل» فترة الجمود هذه لإخلاء الموقع على الفور، وانسحب على عدة مراحل بدون أي اشتباك مع العدو إلى خط «مرسى البريقة».

وبينما كانت تسير هذه العمليات بنجاح، أخذ الموقف في جبهة الحلفاية والبردية في التدهور، وبالرغم من الدفاع المستميت للحاميات التي أصبحت بعيدة عن القوات الرئيسية 450 ميلاً.

وفي 30 ديسمبر، شن العدو هجوماً عنيفاً على «البردية» تسانده مدفعية قوية والطائرات والبحرية، وتمكن من اختراق مواقعنا على جبهة واسعة، وقد أدى هذا إلى سقوط آخر مخازن الذخيرة في أيدي العدو، ولذلك قام القائد، بعد حصوله على موافقة الجيش، بطلب شروط الاستسلام.

أما في منطقة «حلفاية» فقد صمدت الحامية حتى يوم 17 يناير، ولكنها سرعان ما اضطرت للاستسلام حين نفدت منها الذخيرة وانعزلت عن منابع الماء.

الهجوم المعاكس:

في 5 يناير، وصلت قافلة بحرية سالمة إلى طرابلس حاملة 55 دبابة و20 سيارة مدرعة وبعض المدافع المضادة للدبابات، وإمدادات أخرى مختلفة، وبدأ «رومل» على الفور التفكير في الهجوم مرة أخرى، كما لو كانت خطته لاستعادة «برقة» جاهزة بالفعل.

وفي يوم 20 يناير، كان لدى فيلق أفريقيا 111 دبابة جاهزة للعمل في الجبهة و28 في المؤخرة، كما أن الإيطاليين جهزوا 89 دبابة، فقام «رومل» بهجومه المضاد حسب الخطة.

وفي يوم 22 يناير، سقطت «أجدابية» وانسحب العدو في فوضى، ثم اندفع فيلق أفريقيا إلى الخط الممتد من «عنتبلات» إلى «ساونو»، حيث طوق مجموعة القتال التابعة للفرقة الأولى المدرعة الإنجليزية، وخسرت هذه الفرقة 117 دبابة وسيارة مدرعة و33 مدفع وعربات عديدة وآلاف من الأسرى.

ولكن عملية التطويق لم تتم كاملة فتمكن قسم كبير من العدو من الإفلات في اتجاه الشمال، وأثناء مطاردتنا لهم إلى «مسوس» دمرنا 98 مركبة قتال مدرعة و38 مدفعاً في هجوم عنيف، ثم سقطت قاعدة «ساونو» وبها كميات ضخمة من العتاد والحرس في أيدي فيلق أفريقيا، واستطاعت القوات الألمانية وحدها استرداد «برقة».

رومل يستولى على بنغازي:

لم يستطع «رومل» المجازفة بالاستمرار في المطاردة إلى «المخيلي» لأن خطوط مواصلاته كانت معرضة للتوقف من منطقة «بنغازي» التي كانت لاتزال في أيدي العدو، ولذلك قام بهجوم مفاجئ في 28 يناير على «بنغازي» نفسها، وقد تم عزل الحصن أولاً من الشمال ثم من الجنوب، وقد تم الاستيلاء عليه في اليوم التالي، واستخدمنا الكميات الكبيرة من العربات والأسلحة والعتاد التي وقعت في أيدينا لتسليح وتحميل عدة وحدات.

وبعد هذا النصر، قرر «رومل» البدء في ضربة بعيدة المدى في اتجاه الشرق، وذلك بدفع مجموعتي قتال مختلطتين للهجوم بالمواجهة في «برقة»، وقد أعادت المجموعتان احتلال هذه المنطقة الشاسعة يوم 6 فبراير، استثناء منطقة منطقة «ماروماريكا» في الشرق.

وهكذا استطاع العدو أن يعيد القسم الأكبر من قواته سالمة إلى المنطقة الممتدة ما بين الغزالة وبير حكيم وطبرق، حيث بدأ في إنشاء سلسلة من التحصينات الدفاعية، ولجأ جيش المحور هو الآخر

للدفاع، حين احتل مواقعه على الحافة الشرقية «لبرقة» بين «المخيلي» و«تمراد»، ووزعت التشكيلات الميكانيكية الألمانية والإيطالية وراء الجبهة لاستخدامها في الواجبات المتحركة.

وقد أنهت هذه الإجراءات حملة الشتاء، وبدأ الطرفان في الاستعداد للمعركة الحاسمة المنتظرة في الصيف.

* * * *

الفصل العاشر
الهجوم على بير حكيم ومعركة طبرق

يقول روميل في هذا الفصل:-

بعد استعادة برقة في أوائل 1942 ظهرت مصاعب جسيمة تتعلق بالإمداد والتموين، وكان الخطأ في هذا يعود إلى سببين أولهما عدم اكتراث القيادة العليا الألمانية للعمليات في أفريقيا، بجهلها مقدار أهميتها العظمى، وثانيهما الطريقة الضعيفة التي اتبعتها البحرية الإيطالية في معاركها ضد الأسطول البريطاني، كما أن الطائرات البريطانية كانت ترهقنا باستمرار. وفي مارس عام 1942، وصل 18 ألف طن فقط من مستلزمات الإمداد لجيش البانزر (فرق المدرعات الألمانية) في أفريقيا البالغة 60 ألف طن شهرياً، ولكن الموقف تبدل بسبب مجهود الفيلد (مارشال كسلرينج)، الذي تمكن سلاحه الجوي من السيطرة فوق أجواء البحر المتوسط في ربيع العالم ذاته، ومكننا هذا المجهود من زيادة كمية شحنات العتاد المرسلة إلى طرابلس وبنغازي ودرنه، وبعد ذلك بدأ تدعيم وتسليح القوات الألمانية والإيطالية بأقصى سرعة. ومع كل ذلك، فقد كان واضحاً أن إمدادات الجيش الثامن البريطاني كانت تصله بأسرع منا.

خطة الهجوم لمعركة الغزالة:

كانت العملية الأولى للهجوم هي الهجوم بالمواجهة بواسطة فرق المشاة الإيطالية عند خط الغزالة ضد الفرقة 50 البريطانية والفرقة الأولى لجنوبي أفريقيا 4، وقد جهزنا قوة كبيرة من المدفعية لمعاونة

هذا الهجوم، وكان من المقرر أن تتحرك المدرعات والعربات وراء الجبهة ليلاً ونهاراً لتوهم العدو أننا نحشد دباباتنا في هذه المواجهة.

وكان المفروض أن يؤدي هذا إلى أن تعتقد القيادة البريطانية أن هجومنا الأساسي يوجه إلى شمال ووسط خط الغزالة، وكنا نأمل أن نتمكن من إقناعهم بتجميع مدرعاتهم وراء موقع مشاتهم في هذا القطاع، حتى ولو فشلنا في إقناع البريطانيين بحشد دباباتهم كلها في هذا القطاع، فإننا كنا نأمل في إرسال ولو قسم من هذه المدرعات لتشتيت قوتهم الضاربة.

وقررت، بعد إمكانية تدمير القوات البريطانية في الجزء الشرقي من برقة أن نستولي على «طبرق» بسرعة، ولكن «الدوتشي» قيد طريقتي في العمل بالمنطقة التي تحدها الحدود المصرية الغربية. وكان مفروضاً قبل بدء الهجوم، أن تقوم قوات المظلات الألمانية والإيطالية باحتلال «مالطة» ومعها قوات محملة جواً، ولكن لسبب أجهله تخلت القيادة عن هذه العملية، ورفض طلبي في الربيع السابق لقيام قواتي بهذه العملية.

واضطررنا أخيراً، خاصة بعد الزيادة الكبيرة في قوة الجيش البريطاني، أن أحدد يوم الهجوم في 26 أيار 1942.

الصراع لكسب المبادرة:

اتخذت معركة في الأسابيع الثلاثة الأولى شكلاً عنيفاً للغاية، وقد بدأت بداية سيئة بالنسبة لنا، ولكننا نجحنا في القتال الذي تلا هذا، بتحطيم التشكيلات البريطانية الواحد بعد الآخر بإتباع طريقة الهجوم على أهداف محدودة واللجوء في بعض الأحيان للدفاع.

كيف دارت معركة الغزالة:

في يوم 26 مايو، وبعد تمهيد عنيف من المدفعية، قامت فرق المشاة الإيطالية تحت قيادة الجنرال «كرورويل» بهجوم بالمواجهة على خط غزالة

محاولين خداع البريطانيين ليظنوا أنه هجومنا الرئيسي، فيدفعوا بمدرعاتهم إلى هناك، ولهذا الغرض ألحقت فرقة بانزر وفرقة من الفيلق 20 الإيطالي بكل من التشكيلين القائمين بهذا الهجوم، وكانت هذه الفرق المدرعة ستعود إلى تشكيلاتها الأصلية في مساء اليوم نفسه، ونتيجة لهذا انسحب العدو من النقط الخارجية، بعد مقاومة بسيطة، إلى خطوط المقاومة الرئيسية.

وفي نفس الوقت، كان على القوة الضاربة الرئيسية، المتكونة من فيلق أفريقيا والفرقة 90 الخفيفة والفيلق 30 الإيطالي، التجمع في المناطق المحددة لتجمعها، وفي المساء يتحرك قسم من هذه القوة نحو منطقة الهجوم الإيطالي، وبعد أن شوهدت، كما هو المقصود، بواسطة الاستطلاع الجوي المسائي البريطاني، عادت منطلقة بأقصى سرعتها إلى مناطق تجمعها مرة أخرى.

وفي المساء أمرت ببدء عملية فينيسيا، فتحركت عشرة آلاف مركبة تابعة للقوة الضاربة في ضوء القمر، وقبل أول ضوء بوقت قصير استرحنا لمدة ساعة على بعد حوالي 10 أو 12 ميلاً جنوبي شرقي «بير حكيم»، ثم تحركت القوة الكبيرة مرة ثانية في سحابة ضخمة من التراب والرمال واندفعت نحو مؤخرة البريطانيين، وبعد قليل أخطرتني الفرقة 90 الخفيفة بوصولها إلى العضم واستيلائها على الكثير من مخازن الفيلق 30 البريطاني.

وفي نفس الوقت اصطدم فيلق أفريقيا باللواء البريطاني الرابع المدرع واللواء الهندي الثالث المحمل على بعد ستة أميال جنوبي شرقي «بير الهرمات».

ولسوء الحظ قامت وحداتنا المدرعة دون معاونة المدفعية بالهجوم، ودمرت الدبابات من الجانبين بالمدافع المضادة، وأخيراً تمكنا من دفع البريطانيين إلى الوراء نحو «مدق العبد» ولكن بخسائر فادحة، ومع هذا فقد هاجمنا البريطانيون بعد ذلك بقليل للمرة الثانية.

وبعد ظهر هذا اليوم، وعلى بعد خمسة أميال شمالي شرقي «بير

الهرمات» وجنوبي مدق «كابنزو»، دارت معركة عنيفة بين الدبابات، واشتركت الفرقة البريطانية الأولى المدرعة في المعركة، وهاجمت وحداتها المدرعة القوية من الشمال الشرقي، وركزت نيرانها على فيلق أفريقيا ومدرعاته مع تدعيم قوي من المدفعية، ومرة أخرى تكبدت قواتي خسائر باهظة في الدبابات وعمت الفوضى بين عدد كبير من فرقنا التي لاذت بالفرار نحو الجنوب الغربي بعيداً عن مرمى المدفعية البريطانية، أما فيلق أفريقيا فقد حافظ على جبهته الدفاعية نحو الشرق، وفي نفس الوقت قاتل ليفتح طريقه نحو الشمال، ودارت المعركة بعنف حتى حلول الليل، وفي هذا الوقت كان فيلق أفريقيا قد وصل لنقطة تبعد ثمانية أميال جنوب وغرب «عكرمة»، ولكن لسوء الحظ أن معظم عرباته غير المدرعة انفصلت عن فرق البانزر، كما أن جزءاً من المشاة لم يتمكن من اللحاق بسيرها السريع.

ويواصل روميل حديثه قائلاً:

وعند استعادتي لسير العمليات في يومها الأول، تبين لي أن خطتي، للتغلب على القوات البريطانية وراء خط الغزالة، لم تنجح، وكان التقدم نحو الساحل قد فشل هو الآخر، وبذلك لم نتمكن من عزل الفرقة 50 البريطانية، والفرقة الأولى لجنوبي أفريقيا عن باقي الجيش الثامن، وكان السبب الرئيسي هو تقديري الخاطئ لقوة الفرق المدرعة البريطانية، وقد أدى ظهور الدبابة الجرانت، التي استخدمت في هذه المعركة للمرة الأولى، إلى تكبيدنا خسائر فادحة في دباباتنا، ونتج عن هذا أن أصبحت كل قواتي مشتبكة في قتال يائس ضد عدو فائق.

وكانت الخطة في اليوم التالي تقضي بحشد القوات للهجوم من الناحية الشمالية، وكنت قد عزمت على سحب الفرقة 90 الخفيفة، التي تتعرض لضغط شديد من العدو في منطقة «العضم» وإلحاقها

بفيلق أفريقيا في الغرب لزيادة قوتي الضاربة.

وفي فجر يوم 28 مايو، قمت باستطلاع المنطقة بمنظار الميدان لأرى ما يجرى في المنطقة المحيطة بنا، فإلى الشمال الشرقي منا رأيت قوات بريطانية تتحرك في اتجاه الشمال الغربي، وحتى ذلك الوقت لم نكن على اتصال بوحدات جيش البانزر المختلفة، وبعد الفجر بقليل بدأت الدبابات البريطانية بإطلاق نيرانها على نقطة مراقبتي وعرباتي، وتساقطت القنابل من حولنا وطار زجاج عربة القيادة، ولحسن الحظ تمكنا من الخروج من مرمى المدافع البريطانية، وفي الصباح ذهبت إلى الفيلق 20 المحمل الإيطالي وأمرتهم بالتحرك شمالاً في أعقاب فيلق أفريقيا.

ولم تتمكن الفرقة 90 الخفيفة من تنفيذ الأوامر بالسير إلى المنطقة شرقي فيلق أفريقيا وتدعيم قوته الضاربة، لأنها تعرضت لهجوم متتالي من قوات بريطانية كبيرة، ولكي تستطيع مواجهة هجمات العدو المنتظرة، اضطرت الفرقة لاحتلال خنادق في دفاع دائري على مسافة ستة أميال شرقي «الهرمات».

ولحسن حظنا، استطعنا في الصباح أن نكون جبهة دفاعية لحماية قوافلنا، وكانت الجبهة تتألف من عناصر من فيلق أفريقيا وتمتد إلى شمال شرقي «بير الهرمات».

وأصبح وضع فيلق أفريقيا خطيراً أيضاً، فقد حشد العدو جميع مدرعاته تقريباً شمالي «مدق كابتزو»، وأخذ يشن هجمات مستمرة على الفيلق، وقد وصلت الأخبار من «ويستفال» أثناء الصباح تقول عن اضطراره لإصدار أمراً للإيطاليين بمهاجمة خط الغزالة، حتى لا يتمكن البريطانيون من استخدام تشكيلاتهم الموجودة هناك في المعركة الدائرة عند مؤخرتهم، وقد أمكن للهجوم أن يتقدم بدرجة حسنة في

مواجهة مقاومة بريطانية ضعيفة.

في هذه الأثناء وصلت إشارة تحمل أنباء خطيرة، وهي أن قسماً من الفرقة 15 بانزر قد انسحب من المعركة لنفاذ ذخيرته، ولهذا فقد كان من الضروري أن نزودها بالإمدادات.

وفي وقت متأخر من عصر اليوم نفسه استطعنا أن نشق طريقنا بعدد كبير من العربات والمدافع المضادة للدبابات إلى تبة تبعد عشرة أميال شمالي «بير الهرمات».

وبعد حلول الظلام شققنا جنوبي غربي «بير الهرمات» حيث اجتمعنا بقواتنا وعلمنا أن البريطانيين أثناء غيابي قد اجتاحوا مركز قيادتي بعد أن استطاعت مجموعة حماية المركز أن تدمر عدداً كبيراً من الدبابات البريطانية، ولكن القوات البريطانية اندفعت نحوه واجتاحته وتابعت تقدمها إلى أن وصلت وحدات إمدادنا، وقد سببت فوضى كبيرة ودمرت عدداً من عربات الوقود والذخيرة، ولكننا نجحنا في استعادة السيطرة على الموقف، وكذلك استرداد مواقعنا القديمة مرة أخرى أثناء الليل.

وفي وقت متأخر من مساء هذا اليوم جهزت وقوات الإمداد لأسير بها بنفسي إلى فيلق أفريقيا في صباح اليوم التالي، ونظراً لكون الأرض منبسطة ولعدم وجود تبات يمكن استخدامها في الاستتار فقد كانت هذه الرحلة مخاطرة كبيرة.

ولكن لحسن الحظ، تمكنت الفرقة 90 الخفيفة من التخلص من البريطانيين في المساء وأن تحتل موقعاً قريباً من «بير الهرمات»، يضاف إلى هذا أن فرقة آريتي المدرعة وتحركت لسد الثغرة بين الفرقة 90 الخفيفة وفيلق أفريقيا، وهذه التحركات جعلت طرق قوات التموين أكثر أماناً.

وعند وصولنا لميدان المعركة علمنا أن فيلق أفريقيا قد هوجم مباشرة

من المدرعات البريطانية في الشمال والشرق، وكنا قد نجحنا في حشد قواتنا على جانبي مدق العبد وأنشأنا خطاً دفاعياً قوياً، ولكن القوات الألمانية الإيطالية كانت قد تكبدت خسائر كبيرة، وكان طريق إمدادنا قد أوشك أن ينفصل بفعل الوحدات المحملة البريطانية جنوبي «بير حكيم»، وكان هجوم المشاة الإيطالية على خط الغزالة قد فتح طريقه إلى المواقع الرئيسية للبريطانيين ثم توقف في مواجهة التحصينات الدفاعية القوية لهذه المواقع، وكان البريطانيون قد حشدوا لواءاتهم الثاني والرابع والثاني والعشرين المدرعين، كما انضم اللواء 201 الحرس إليهم ثم ألقوا بهذه القوة بأكملها عند جبهتنا في هجمات مضادة قوية.

عند الفجر من يوم 30 مايو، تحركت كل الفرق إلى مناطقها المعينة لها من قبل وأخذت مواقعها الدفاعية، وقد انطلق هذا الهجوم يوم 31 مايو، وشقت الوحدات الألمانية الإيطالية طريقها ياردة فياردة ضد أعنف مقاومة بريطانية يمكن تصورها، وكان الدفاع يدار بمهارة كبيرة وقد قاتل البريطانيون كعادتهم حتى آخر طلقة، كما أنهم استعملوا في هذه المعركة مدفعاً مضاداً للدبابات من عيار 57 مم للمرة الأولى، ومع كل هذا فعند حلول المساء كنا قد اخترقنا المواقع البريطانية بعمق.

وفي اليوم التالي كان المدافعون يتلقون آخر ضربتهم، فبعد هجمات عنيفة من طائراتنا المنقضة اندفعت المشاة مرة ثانية إلى مواقع البريطانيين، واجتحنا الدفاعات البريطانية بمشقة كبيرة وأخيراً في أوائل العصر كان الموقع كله في أيدينا، وتوقفت المقاومة البريطانية، وأسرنا في النهاية ثلاثة آلاف بريطاني، ودمرنا أو استولينا على 101 دبابة وسيارة مدرعة بالإضافة إلى 124 مدفعاً من جميع الأنواع.

وفي وقت متأخر من يوم أول يونيو، وبعد سقوط «غوط الأوالب»،

هاجمت وحدات الاستطلاع البريطانية الجبهة التي كانت تخفي مواقعنا في الشرق والجنوب الشرقي، وتبع ذلك ستارة عنيفة من المدفعية انصبت على نقطة ملاحظتي.

النصر في الصحراء:

ويواصل روميل سرد مذكراته قائلاً:

وفي ليل 1، 2 حزيران، تقدمت فرقتا 90 الخفيفة وتريستا للهجوم على «بير حكيم»، وقد عبرنا حقول الألغام دون خسائر تذكر وتمكنا من عزل الحصن من ناحية الشرق.

وبعد أن رفض قائد الموقع طلبنا بالتسليم بدأنا بالهجوم عند الظهر، فتقدمت فرقة تريستا من الشمال الشرقي والفرقة 90 الخفيفة من الجنوب الشرقي إلى المواقع والتحصينات وحقول الألغام التي كان الفرنسيون يدافعون عنها، وعند ضربنا التمهيدي للمواقع بدأت معركة شديدة الوحشية والقسوة واستمرت عشرة أيام كاملة، وقد توليت قيادة قوات الاقتحام بنفسي لمرات كثيرة، ولم أشاهد في أفريقيا قتالاً بهذه الشدة.

وقامت الطائرات الألمانية منذ يوم 2 يونيو حتى سقوط آخر المواقع الفرنسية في 11 يونيو، بألف وثلاثمائة غارة على «بير حكيم»، كما تعرضت المواقع الفرنسية للهجوم من الشمال بواسطة مجموعات قتال مختلطة تتبع تشكيلات متعددة، ومن الجنوب لهجمات الفرقة 90 الخفيفة، ثم توقف الهجوم المتتالي باستمرار في وجه النظام الدفاعي البريطاني البارع التصميم، المرة تلو الأخرى، وخلال الأيام القليلة الأولى لهجومنا على «بير حكيم» بقيت معظم القوات البريطانية في سكون عجيب، وكان تحركهم الوحيد في 2 يونيو ضد فرقة آريتي التي قاومت بعناد، وبعد هجوم مضاد من الفرقة 21 بانزر تجمد الموقف مرة أخرى.

وفي ليل 4، 5 يونيو حركنا الفرقة 15 بانزر إلى مواقع جنوبي «بير الهرمات» حتى نستطيع هناك أن نهجم في اتجاه الشمال الشرقي أو الجنوب الشرقي حسب اتجاه الهجوم البريطاني، وقد ظهرت أهمية هذا الإجراء في صباح يوم 5 يونيو.

فبعد ساعة من تمهيد عنيف بالمدفعية، تقدمت اللواءات المدرعة 2، 22 ومعها اللواءات العاشر الهندي، 201 حرس للهجوم على فرقة آريتي، وكإجراء خداعي أقاموا ستارة دخان وغلالة كثيفة من المدفعية في قطاع الفرقة 21 بانزر التي كانت مجاورة لآريتي وإلى الشمال منها، وبعد ذلك بوقت قصير شنوا هجوماً عند هذه النقطة أيضاً بواسطة اللواء الرابع المدرع والفرقة 42 دبابات لتشتيت قواتنا وتفريقها.

وانسحبت فرقة آريتي مواجهة ضغطاً عنيفاً من البريطانيين الذين كانت قواتهم في تلك المنطقة متفوقة على قواتنا بدرجة كبيرة، إلى أن وصلت المدرعات الإيطالية في انسحابها إلى خطوط مدفعية جيشنا، حيث توقف الهجوم البريطاني عند مواجهة النيران العنيفة، وفي هذه الأثناء تحركت الفرقة 8 البانزر إلى «بير الطمار» لتخفف من الضغط عن الإيطاليين.

ثم تحرك جيش البانزر من هذه المواقع بعد حماية جنبه الشمالي ليقوم بهجوم مضاد، واندفعت مجموعة قتال فولز تحت قيادتي، وقد وضعت على بُعد ستة أميال شمال شرقي «بير حكيم» كاحتياطي للجيش، وهاجمت مؤخرة البريطانيين عند جسر «الفرسان»، واندفعت الفرقة 15 البانزر إلى المعركة على يسارنا، وكان هدفها عزل القوات البريطانية من الجنوب، وعند المساء كانت توجد في ميدان المعركة أكثر من خمسين دبابة بريطانية محترقة.

وفي صباح اليوم التالي، تقدم الجزء الأكبر من الفرقة 21 البانزر

وشنت هجوماً في اتجاه الشرق، وأخيراً بدأ البريطانيون في التراجع ببطء بعد معركة الدبابات العنيفة، وقامت مجموعة قتال فولز بسد مدق «أنور بك» نحو الغرب، وبذلك دفعت بالوحدات البريطانية نحو نيران قوات المحور المهاجمة، وبعد مدة بسيطة تعرضت مجموعة فولز لهجوم عنيف من الشرق، وقد نجح العدو في الالتفاف من حولها نحو الجنوب فاضطررت للانسحاب أثناء الليل نحو «بير الهرمات».

ومرة ثانية، خاضت قوات المحور غمار المعركة ببراعة فائقة، أما البريطانيون فقد تعرضوا لضغط من ثلاث جهات وتكبدوا خسائر فادحة للغاية، وقد أسرنا أربعة آلاف جندي يتبعون غالبا للواءين 201 حرس و10 الهندي وذلك في يومي 5، 6، وبهذا نكون قد أبدنا بذلك اللواء 10 هندي الذي كان قد وصل أخيراً.

وفي يوم 6 يونيو استأنفت الفرقة 90 الخفيفة هجومها ضد قوات الجنرال «كوينج» ونجحت مقدمة القوات المهاجمة في الوصول إلى نقطة لا تبعد أكثر من نصف ميل عن مركز دفاعات «بير حكيم»، إلا أن الهجوم توقف هناك مرة ثانية، فقد فتحت على قواتنا عاصفة من النيران من النقطة المكشوفة الصخرية، واضطررنا في المساء لوقف الهجوم مرة أخرى، ولكننا ضيقنا الخناق أكثر على «بير حكيم» فاستطاعت قواتي صد الهجمات المضادة الضعيفة التي قام بها اللواء 7 المحمل البريطاني ضد الفرقة 90 الخفيفة لفك الحصار عن الحصن.

وفي هذه الليلة، فتحت الفرقة 90 الخفيفة الثغرات عبر حقول الألغام وظهرت عدة ممرات وتقدمت مجموعات الاقتحام تحت حجاب الظلام إلى مسافة الاقتحام بالفعل، وقد أمرت مجموعة قتال فولز بمعاونة هذا الهجوم.

وفي يوم 7 يونيو سُمع قصف عنيف من الجو والمدفعية واندفعت

المشاة نحو المواقع الفرنسية، وقد فشل هذا الهجوم هو الآخر تحت عاصفة من نيران الأسلحة بمختلف أنواعها.

وفي يوم 9 يونيو، سحبت مجموعة قتال أخرى من فيلق أفريقيا لمعاونة الهجوم على «بير حكيم»، ومنذ الصباح الباكر بدأت مشاتنا الهجوم في موجات على دفاعات العدو، وعند منتصف اليوم تقريباً، اشتركت الفرقة 90 الخفيفة في الهجوم بالفعل، وقد تكبدت مجموعات اقتحامنا خسائر كبيرة لتعرضها باستمرار لقصف الفرنسيين الذين قاتلوا باستماتة حتى النهاية، ومع هذا فقد وصلت مجموعات اقتحامنا لمسافة 220 ياردة من مركز الدفاعات.

وفي اليوم نفسه، حاول «ريتشي» القيام بهجوم خداعي ضعيف ضد وحدات الفرقة 90 الخفيفة الساترة جنوبي «بير حكيم» مستخدماً في ذلك بعض الكتائب المحملة وفرقة مدرعة من اللواء الرابع المدرع، ولكننا لم نجد أي صعوبة في صده.

وفي اليوم التالي، 10 يونيو، نجحت مجموعة قتال فيلق أفريقيا أخيراً تحت قيادة العقيد «باد» في اختراق مواقع العدو الأساسية شمالي «بير حكيم»، وقد رأت وحدات استطلاعنا قسماً من اللواء السابع البريطاني المحمل يتقدم نحو «بير حكيم»، ولكي أدعم موقفي ضد أي احتمال أمرت الفرقة 15 بانزر بالتقدم إلى «بير حكيم»، وتمكنت الغرفة 90 الخفيفة في الصباح الباكر من يوم 11 يونيو احتلال «بير الحكيم»، وقد سقط في الأسر حوالي خمسمائة فرنسي معظمهم من الجرحى.

وفي عصر يوم 11 يونيو، حركت قواتي من «بير حكيم» نحو الشمال لحسم المعركة بدون توقف، وفي المساء وصلت الفرقة 15 بانزر والفرقة 90 الخفيفة وكتائب الاستطلاع 3 و33 تحت قيادتي المباشرة

إلى منطقة تبعد من ستة إلى عشرة أميال جنوبي غربي «العضم»، وقام «ريتشي» بتحريك لوائه المدرع الثاني لمواجهة هذا الخطر من نقطة جنوب عكرمة إلى منطقة حول «بير ليفة»، وبعد معركة عنيفة مع حشود المدرعات البريطانية التي تساندها مدفعية قوية، نجحنا في الاستيلاء على المنطقة المحيطة «بالعضم» وجنوب مدق «كابتزو» قبل ظهر يوم 12 يونيو، وقد احتلت الفرقة 90 الخفيفة «العضم»، وتكبد البريطانيون خسائر فادحة في الدبابات وتركوا 400 أسير في أيدينا، وقد دافع اللواء 29 الهندي عن نفسه بعناد.

وفي صباح اليوم ذاته، تحركت مجموعة قتال من الفرقة 21 بانزر شرقاً، وبذلك ضغطت من الناحية الأخرى على المدرعات البريطانية التي أصبحت محصورة بين فرقتي البانزر الألمانيتين، وقام «ريتشي» بإحضار اللواء 22 مدرع من خط الغزالة إلى هذه المنطقة المزدحمة المحصورة، فأصبح استمرار هجوم الفرقة 15 بانزر في اتجاه الشمال الغربي مؤدياً إلى نتائج باهرة، وأصبحت المبادرة في أيدينا.

مذبحة الدبابات:

ويواصل روميل سرد مذكراته قائلاً:

وقد أمضيت اليوم التالي، 13 يونيو، مع فيلق أفريقيا، وكانت فرقته 15 بانزر تقوم بتطهير المنطقة الواقعة نحو الغرب، وفي الوقت نفسه كانت فرقتا تريستا وآريتي الإيطاليتين تقومان بدفع البريطانيين نحو المنطقة الواقعة شمال مدق «كابتزو»، وبدأت الفرقة 21 بانزر هي الأخرى في التقدم أثناء المساء واندفعت شرقاً خلال عاصفة رملية عنيفة حجبت الرؤية تماماً في بعض الأحيان، واستمرت مذبحة الدبابات البريطانية وتحطم ما بقي منها الواحدة تلو الأخرى في ميدان المعركة،

وكان عددها حوالي 120 دبابة، وانهالت النيران المميتة من نواحي متعددة على الفرق البريطانية المحشودة في مكان ضيق وبدأت قوتها في الاضمحلال تدريجيا، وخفت وطأة هجماتها المضادة بنفس النسبة.

وقررت بعد ذلك أن أدخل المعركة بكل قواتي الميكانيكية الألمانية والإيطالية في اليوم التالي أو الذي يليه محاولاً الوصول إلى البحر، وكان القصد من ذلك إعادة الفرق البريطانية المتمركزة عند خط الغزالة نحو الغرب وتدميرها، وكانت طائرات «كسلرينج» فوق قوافلهم باستمرار وكان اللهب يغطي الطريق الساحلي.

في 13 يونيو، كانت فرقتا فيلق أفريقيا متمركزتين غرب مدق «بير حكيم»، ومستعدتين للهجوم نحو الشمال، وكان على فرقتي آريتي وتريستا الإيطاليتين العمل بمثابة ستارة لجناحهما الشرقي المعرض، وتحركت الفرقة 90 الخفيفة نحو الشرق لتضع نفسها في وضع يسمح لها بتوجيه ضربة سريعة نحو مشارف «طبرق».

وفي الصباح التالي، 14 حزيران، تحركت فرقتا البانزر الألمانيتان نحو الشمال، وأمرت بالانطلاق بأقصى سرعة لأن العربات البريطانية كانت تتدفق بالآلاف نحو الشرق، وفجأة اصطدمنا بحزام عريض من الألغام، وأمرت آليات الاستطلاع على الفور بفتح ممرات في حقول الألغام، وفي نفس الوقت أمرت مدافعنا من عيار 170 مم بفتح نيرانها على الطريق الساحلي.

وفي وقت متأخر من عصر هذا اليوم، تحركت الفرقة 115 للهجوم على التبة 187، وبالرغم من نيران الدبابات البريطانية ومدفعيتها المضادة للدبابات فإن الهجوم تقدم تدريجياً، وبدأ دفاع العدو في الانهيار وازداد عدد الأسرى من الأعداء، وبحلول المساء وبعد قتال ناجح عنيف، وصلت فرقة البانز الألمانية إلى المنطقة غربي «عكرمة».

ولم تعد الفرقة الأولى المدرعة البريطانية في حالة تسمح لها بالاستمرار في القتال فاضطرت للانسحاب أثناء الليل في ميدان المعركة.

وفي نفس هذه الليلة، استطاعت وحدات من الفرقة 50 البريطانية أن تخترق جبهة الفيلق العاشر الإيطالي ثم هربت بعد ذلك نحو الجنوب.

وفي ساعات الصباح الأولى من يوم 15 يونيو، انطلقت وحدات الفرقة 15 بانزر عبر الطريق الساحلي نحو البحر، ولكن بالرغم من أوامري المشددة لهم، لم يتركوا على الطريق سوى سبع دبابات فقط لقطعه، وبالطبع لم يجد البريطانيون وحلفاؤهم الجنوب أفريقيين أية صعوبة في سحق هذه الدبابات القليلة واقتحام الستارة الضعيفة والإفلات من المصيدة، وبعدها بقليل أقفلنا هذه الثغرة نهائيا، وفي نفس الوقت بدأت الفرق الإيطالية ومعها اللواء الألماني عمليات المطاردة على الطريق الساحلي.

وكنت قد سحبت بالفعل الفرقة 21 بانزر من منطقة «عكرمة» في الصباح وأرسلتها شرقاً عبر «العضم» مع الفرقة 90 الخفيفة ومجموع استطلاع، ومرت مجموعة الهجوم المكلفة باجتياح موقع «العضم» بنقطتين قويتين في «البطرونة والحيطان» وهي في تشكيل المعركة وتُبودلت النيران بعنف بين دباباتنا ودبابات الهنود المدافعين عن الموقع، وفي هذا المساء تم اجتياح «بطرونة»، وقد سقط معها 800 أسير وعدد من المدافع والعتاد الحربي، وبالرغم من هجمات القاذفات البريطانية العنيفة وصلت الفرقة إلى «سيدي رزق» قبل حلول الليل، حيث توقف هناك التقدم مؤقتاً في مواجهة نيران كثيفة من البريطانيين، ولم تنجح الفرقة 90 الخفيفة في هذا اليوم بالرغم من محاولاتها المتكررة في الاستيلاء على «الحيطان» وهو الموقع الرئيسي في «العضم».

وفي هذه الأثناء انسحبت بقايا الجيش الثامن البريطاني إلى منطقة

الحدود المصرية، واتضح لي أن العدو كلف قوات «طبرق والحيطان» بالثبات لتعطيل قواتنا لحين إنشاء خط دفاعي جديد عند الحدود المصرية.

قررت في هذه المرة مهاجمة الحصن واقتحامه تبعاً للخطة التي كنت قد توصلت إليها قبل ذلك في عام 1941 والتي عرقلها هجوم «كننجهام».

وفي صباح يوم 16 يونيو، تحركت إلى الطريق الرئيسي الساحلي ثم عبرته نحو الغرب، وكان القتال في الغزالة قد توقف أخيراً حيث أسرنا هناك ستة آلاف بريطاني آخرين، وبعد ذلك بوقت قصير قابلت قواتي المتحركة شرقاً من خط الغزالة، وأصدرت لها أوامر بالاندفاع بأسرع ما يمكنها إلى الحافة الغربية «لطبرق»، وزودناها بالعربات لنقلها للجبهة بالدور، وكانت إعادة تجميع قواتي لحصار «طبرق» هي أهم نقطة في الوقت الحالي.

وكان الهنود لا يزالون صامدين في «الحيطان»، وفي 16 يونيو، لم تستطع الفرقة 90 الخفيفة أن توسع الاختراق في نطاق الدفاعات، والذي كانت قد مهدت له مجموعات الاقتحام في الليلة السابقة، واستسلمت بقية الحامية الهندية في «الحيطان» مساء 17 يونيو، وسقط في أيدينا خمسمائة أسير وكميات ضخمة من الذخيرة، وكانت حصون «الدودة وبلجامد» القوية قد سقطت قبل ذلك في أيدينا في اليوم السابق، وبمجرد سقوط الحيطان، أرسلت الفرقة 90 الخفيفة لمهاجمة النقط البريطانية القوية التي كانت لا تزال صامدة في نفس المنطقة، وتم محاصرتها ومن ثم اقتحامها ثم صار تحريك فيلق أفريقيا بأكمله ومعه فرقة آريتي نحو «جمبوت» والمنطقة الواقعة جنوبها، وكان السبب الرئيسي في هذه العملية كان للعمل ضد السلاح الجوي البريطاني الذي كان نشطاً بشكل خطير سبب ضرب مطاراته في الجبهة، وقررت طردهم من مطارهم في «جمبوت» وإخراجهم من المكان الوحيد الذي

يستطيعون منه التدخل في هجومي على «طبرق»، ولهذا فإن جيشي قد تحول شرقاً مرة أخرى، وقد تأخرت فرقة آريتي التي كانت أوامري لها تقضي بملازمتها لفيلق أفريقيا منذ البداية، وفقدت اتصالها مع باقي الوحدات، وبعد قليل تمكنا من الاتصال اللاسلكي مع فرقة آريتي وحركناها للانضمام إلى القوة الأساسية.

وفي هذا المساء، 17 يونيو، حولت الفرقة 21 بانزر إلى الشمال، وفي فجر يوم 18 يونيو، لاحت الطائرات البريطانية مرة ثانية فوق الفرقة 21 بانزر والتي كانت تتقدم شمالاً، وبلغنا الطريق وخط السكة الحديدية بعد الظهر، وقد عبرناه ودمرنا بعض وصلاته، وكانت الفرقة الرابعة قد أسرت أثناء الليل حوالي خمسمائة بريطاني وكان هذا العدد في زيادة مستمرة، وفي المطارات التي لم يتخل عنها البريطانيون، استولينا على خمس عشرة طائرة وكميات وافرة من الوقود والزيوت التي نفعتنا للغاية فيما بعد.

وانتهت عمليات التطهير للمنطقة ما بين «طبرق وجمبوت» في 18 يونيو، وانتهت أيضاً التحركات اللازمة لإتمام حصار «طبرق».

وتحرك فيلق أفريقيا إلى مواقعه الجديدة عصر يوم 19 يونيو، بينما تقدمت الفرقة 90 الخفيفة شرقاً للاستيلاء على مستودعات البريطانيين الواقعة بين «البردية وطبرق»، يضاف إلى ذلك أن فرقة بافيا وفرقة ليتوريو المدرعة، كانت وحداتها قد بدأت في الوصول، وكان عليها ستر الهجوم على «طبرق» من اتجاه الغرب والجنوب.

الاستيلاء على طبرق:

ويواصل روميل سرد مذكراته قائلاً:

بعد انتهاء القصف الجوي، تقدمت مشاة فيلق أفريقيا والفيلق العشرين الإيطالي للقيام بعملية الاقتحام، وكانت الممرات عبر حقول

الألغام قد تم تطهيرها في الليلة الماضية، وبعدها بساعتين كانت مجموعة الاقتحام الألمانية قد نجحت في دق إسفين داخل الدفاعات البريطانية، وهوجمت المواقع تباعاً بواسطة رجالي، وتم الاستيلاء عليها بعد قتال متلاحم وحشي عنيف للغاية.

وتمكن المهندسون من ردم أجزاء من الخندق المضاد للدبابات، وأصبح الطريق مفتوحاً، فأطلقت العنان لمدرعاتي.

وتقدمت برفقة مجموعة أركان حربي الميدانية، وعبرنا قطاع فرقة آريتي إلى قطاع الفرقة 15 بانزر، وبعدها بنصف ساعة عبرت الخندق المضاد للدبابات مع «بابرلاين» وقمت بالمرور على موقعين سقطا في أيدينا، وفي نفس الوقت، كان فيلق أفريقيا يتعرض للهجوم من خارج القلعة من الدبابات البريطانية، واندفعت نيران معركة عنيفة بين الدبابات اشتركت فيها مدفعية الطرفين، وتقدم الهجوم الألماني بالتدريج ووصل فيلق أفريقيا، بعد معركة قصيرة دمر فيها خمسون دبابة بريطانية، إلى مفارق الطرق عند «سيدي محمود» في حوالي منتصف اليوم، وأصبحنا مسيطرين على مفتاح «طبرق».

ثم صاحبت تقدم فيلق أفريقيا من مفارق الطرق، واندلعت النيران الشديدة على القوات المهاجمة من حصن «بيلاسترينو» والمنطقة المحيطة به وعدة أوكار على سفح الجبل، وبدأت عدة سفن بريطانية في التحرك إلى خارج الميناء، ويبدو أنها كانت تحاول ترحيل البريطانيين عن طريق البحر.

ووجهت المدافع على الفور نيرانها على هذه الأغراض، وتم إغراق ست سفن وتم التقاط أغلب الرجال الذين كانوا فوقها.

واستمر التقدم ووصلنا بعدها بقليل إلى المنحدر الذي يؤدي إلى الميناء، حيث ارتطمنا بنقطة بريطانية قوية، قاتلت بعناد وبسالة غريبة، وأخيراً نجح العريف «هوبر» ومعه ستة من رجال المدفعية المضادة للطائرات في

الاقتراب من الدشمة وقضى على حاميتها بواسطة القنابل اليدوية.

وعرضت «بيلاسترينو» الاستسلام في المساء، واقتحم رجالي حصن «سولارو» وأغرقوا زورقاً آخر بالمدفعية في الميناء، وعند حلول المساء كان ثلثا الحصن في قبضتنا، وكانت المدينة والميناء قد سقطت بالفعل في أيدي فيلق أفريقيا عصر هذا اليوم.

وفي الساعة الخامسة من يوم 21 يونيو، دخلت مدينة «طبرق»، وبعد ذلك تحركت على الطريق الساحلي نحو الغرب، وعرضت على قيادة اللواء 32 دبابات الاستسلام، وأدى هذا إلى سقوط ثلاثين دبابة بريطانية في حالة سليمة في أيدينا.

وأعلن الجنرال «كلوبر»، قائد الفرقة الثانية لجنوب أفريقيا وقائد حامية «طبرق»، استسلام حصن «طبرق».

وقد اعتبر سقوط «طبرق»، الذي تم دون تدخل من الخارج، نهاية القتال في الجزء الشرقي من «برقة»، واعتبر كل واحد من رجال فيلق أفريقيا يوم 21 يونيو ذروة نجاحنا في الحرب في أفريقيا.

* * * *

الفصل الحادي عشر

روميـل فـي مرسـى مطـروح

* يقول روميل في مذكراته:

كانت قولات تموييننا تجابه صعاباً جدية نتيجة لتقدمنا داخل مصر، وطلبت من «الدوتشي» بعد سقوط «طبرق» مباشرة برفع الحظر عن جريمة العمل لجيش البانزر والسماح لنا بالتقدم داخل مصر، وأخيراً أعطانا الإذن، وعليه أصدرت أوامري على الفور إلى التشكيلات المشتركة بالاستعداد للتحرك.

وقد بدأت قواتي التحرك شرقاً في يوم 22 يونيو، وقد عبرت بنفسي الحدود في يوم 23 يونيو خلف الفرقة 90 الخفيفة التي اندفعت مسافة طويلة للأمام.

وفي 24 يونيو تحركت مع قول الفرقة 90 الخفيفة وحثثتهم على زيادة سرعتهم أثناء التحرك، وكانت كل تشكيلاتي تتعرض باستمرار للهجوم الجوي العنيف، بينما كان سلاحنا الجوي يعيد تنظيمه في هذا الحين، وبذا لم يتمكن من استخدام مقاتلاته لعمل مظلة جوية فوق قولاتنا .

وفي صباح يوم 26 يونيو، استمرت أسراب الطائرات البريطانية في مهاجمتنا، ونجحت في تدمير قول إداري لنا، مما سبب نقصاً خطيراً لاحتياجات فيلق أفريقيا من البترول ولكن لوقت محدد .

وبالرغم من هذه الصعاب، نجحنا في هذا اليوم في الوصول إلى نقطة تبعد عشرة أميال جنوب غربي «مرسى مطروح»، وانسحبت من

هذه المنطقة بقايا الفرقتين المدرعتين البريطانيتين الأولى والسابعة وتركت وحدات الاستطلاع وحدها.

وقررت إجبار البريطانيين على الدخول في معركة في المنطقة المحيطة «بمرسى مطروح» والضبعة، حين أدمر جزءاً كبيراً من منشآتهم، ولتحقيق هذا الغرض وضعنا خطة لتطويق «مرسى مطروح» وحاميتها القوية بداخلها ثم اجتياحها بعد ذلك، ولكي نمهد لهذه العملية، كان من الضروري طرد المدرعات البريطانية للخلف بهجوم سريع نحو الشرق، وبذا نمنعها من التدخل بأي شكل في العمليات حول الحصن.

رومل يستولى على مرسى مطروح:

ويواصل روميل سرد مذكراته قائلاً:

ظهر لي في نفس اليوم، 26 يونيو، أن «ريتشي» ينوي محاولة الصمود في الخط الممتد في «مرسى مطروح» إلى «بير خالدة»، وقام الفيلق الأفريقي بطرد وحدات الاستطلاع البريطانية إلى داخل خطوطهم، ثم تحركت الفرقة 90 الخفيفة واخترقت الجزء الشمالي من الخط، وفي المساء وصلت للطريق الساحلي، في اندفاع خاطف، وأقفلته من الناحيتين، وبذا أمكن تطويق «مرسى مطروح» تماماً.

وفي هذه الأثناء ارتطم فيلق أفريقيا والفيلق العشرون الإيطالي بحشد من المدرعات البريطانية في المنطقة الواقعة شمال «خالدة»، وقامت الدبابات المتوسطة الأمريكية، التي وصلت حديثاً من مصر، بشن هجمات متكررة ضد تشكيلاتنا واستمرت المعركة حتى المساء وأسفرت عن تدمير ثماني عشرة دبابة أمريكية، ولكن افتقارنا للبترول والذخيرة منعنا بكل أسف من استغلال هذا النجاح.

وأمرت وحدات من فرقتي بريسكيا وباڤيا بالتحرك بأسرع ما يمكنها

الفصل الثالث عشر

معـــارك العلميـــن

يواصل روميل في مذكراته سرد معركة العلمين من بدياتها قائلًا:

ساد الهدوء في الجبهة بعد توقف هجومنا المؤقت على العلمين، وبعد أن صددنا هجوم العدو المضاد بنجاح، وقد حاول الطرفان استغلال الفرصة لإعادة تنظيم قواتهم، ومرة ثانية دخلنا في سباق استعدادًا للجولة التالية.

وقد توجهت كل مجهودات جيش البنزر إلى معاودة الهجوم بأسرع ما يمكن، وكان من الطبيعي ان يبذل الأمريكيون والانجليز جهـ[illegible] اوقف أى تقدم آخر لجيش البانزر نحو الإسكندرية، ولكن قوافلهم البحرية تستغرق من شهرين إلى ثلاثة أشهر لإتمام رحلتها من بريطانيا أو أمريكا حول رأس الرجاء الصالح إلى شمال أفريقيا. ولهذا فقد كان أمامنا أسابيع قليلة قبل وصول الإمدادات الضخمة، وكان ميزان القوى يميل نحو الأعداء بقوة، كما أن فرصتنا للقيام بهجوم مضمون النتائج ستصبح مستحيلة، لذلك عزمت على القيام بالهجوم لأسبق العدو، كما أن البريطانيين يقومون كل يوم بزرع ألغام إضافية أمام جبهتهم، وكنت قد قررت الالتفاف حول موقع العلمين، وهذا يتطلب أولًا اختراق القطاع الجنوبي من الجبهة البريطانية، لذلك فالصعاب التي ستواجه هذه العملية تتزايد.

وكان الاعتماد الوحيد في خطتنا هذه يقوم على السرعة والمفاجأة، وقدرت الموقف فتبين لي أنه في 20 اغسطس سيكون للبريطانيين 70 كتيبة مشاة و900 دبابة وعربة مدرعة وحوالي 550 مدفعًا مضادًا للدبابات جاهزًا للعمليات.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والجبهة وضرب

[illegible] الساحلية الواحد تلو الآخر. وكانت المياه

الساحلية معرضة أيضًا لنشاط السفن الحربية البريطانية، نظرًا لغياب

ويواصل روميل حديثه قائلا:

مدمرات الحراسة الإيطالية. وكانت معظم سفن التموين تضطر إلى

وبذلك أصبح في أيدينا آخر ميناء محصن في الصحراء الغربية،

الذهاب لبنغازي أو طبرق، مما فرض مجهودات مضنية على إمكانيات

وقد تكبد البريطانيون مرة أخرى خسائر فادحة، ومع هذا نجحوا في

نقلنا البحري، وزاد الأمر سوءًا أن «طبرق» تعرضت لهجوم قوي من

سحب أغلب مشاتهم للخلف نحو مواقعهم في العلمين، حيث كان العمل

القاذفات البريطانية في 8 اغسطس. وقلت قدرتها بنسبة وصلت إلى

في تجهيز المواقع الدفاعية يسير بأقصى سرعة منذ زمن طويل، وكان

20% بسبب تدمير رصيفها الرئيسي. وهكذا أصبنا بضربة شديدة.

الخط محتلا بالفعل بعدد من الوحدات الجديدة، وعليه فبعد سقوط

الإمدادات لا تصل لروميل:

«مرسى مطروح» مباشرة، دفعت قواتي على الفور مرة أخرى للوصول

ويواصل روميل حديثه قائلاً:

لخط العلمين واحتلاله قبل استكمال إعداده، وقبل أن تستطيع بقايا

[illegible] التي تصلنا لا تكاد تكفي

احتياجاتنا اليومية. [illegible]

[illegible] 64

[illegible] خاصة بها

وكانت على وشك الوصول. وبهذا أصبح نقلها عبئًا ثقيلًا على حملات

وفي حوالي منتصف اليوم، علمنا باللاسلكي أن البريطانيين كانوا

التشكيلات الأخرى.

يقومون بإخلاء «فانيش»، وأصدرت أوامري على الفور باللحاق بالبريطانيين

وكان في إيطاليا حوالي 2000 عربة جاهزة للشحن وبعضها ينتظر

منذ أكثر من عام ومعها 100 مدفع من جميع الأنواع، ولكن الشحن كان

وعلى مسافة عدة أميال جنوب شرق «الفوكه»، تعرضت الفرقة الخفيفة

يتم ببطء، كما كان لدينا 1000 عربة أخرى و120 دبابة تحت الطلب

فجأة لنيران المدفعية البريطانية من الجنوب الشرقي، ويبدو أن سيارات

في ألمانيا. وكان لدينا 17 ألف مقاتل ألماني في جيش البانزر شاركوا

الاستكشاف كانت تواجهنا، وطردت هذه السيارات بنيران من المدافع

التي احتلت مواقعها على الفور وفتحت نيرانها، وبعدها توقفت تدريجياً نيران المدفعية وببطء، ثم استمر التقدم ولكننا بعد ذلك بعدة أميال اصطدمنا بعدة أحزمة من الألغام رصت علىَ جانبي الطريق بين حقول الألغام الموجودة، وسمعنا ضجيج انفجار الألغام تحت عجلات عرباتنا، وبعد أن قمت بنفسي ومعي آخرون بإزالة الألغام تحرك القول مرة أخرى، وعند حلول الظلام، توقفنا على مسافة حوالي ستة أميال غربي «الضبعة».

وصول رومل على بعد مائة ميل من الإسكندرية:

ويواصل روميل مذكراته قائلاً:

وفي صباح 30 يونيو، وصلت بالفعل العناصر الأمامية من الفرقة 15 بانزر إلى نقطة بعد «الضبعة» بكثير، وسقطت غنائم ضخمة في أيدي فيلق أفريقيا ومن ضمنها بطارية بريطانية من عيار 150 مم، وقمنا باستخدامها على الفور ضد أعدائنا، ولسوء الحظ أن الإيطاليين تخلفوا مرة أخرى، ولم يصلوا إلى المنطقة الواقعة غرب العلمين إلا في حوالي منتصف الليل.

وفي «الضبعة»، وجدنا مخزن تعيينات ضخماً بجانب الطريق، وأقمنا القيادة في أحد أكواخه، ولكن هجمات القاذفات المقاتلة اضطرتني للتحرك نحو الشرق، بعدها بقليل ومرة أخرى سمعنا مدافع الطائرات البريطانية التي يبدو أنها قد استقرت في مطاراتها الجديدة، وعليه فقد انتقلنا مرة أخرى.

وتناقشت أثناء عصر هذا اليوم في هجومي المقبل على خط العلمين مع عدد من جنرالاتي وضباط أركان حربي، وقررنا بدء الهجوم في صباح اليوم التالي، وفي المساء أصبح واضحاً أننا لن نتمكن من تنفيذ خطتنا حسب التوقيت الموضوع لها لأن التشكيلات التي ستشترك فيه تعطلت بسبب البريطانيين المنسحبين ولصعوبة الأرض بطريقة لم نتوقعها.

* * * *

الفصل الثاني عشر
بدايـة المتاعـب

* **يقول روميل في مذكراته:**

أدت السلسلة من الاشتباكات التي مررنا بها إلى الوصول بقوة جيشي إلى حد كبير من الإنهاك، وبدأ احتياطينا من العتاد، بما في ذلك المغانم التي وقعت في أيدينا، في النفاد، ولم يصلنا أي إمداد سوى ثلاثة آلاف طن خلال شهر يونيو بدلاً من حاجتنا التي تبلغ 60 ألفاً من الأطنان.

ومن الناحية الثانية، كان البريطانيون لا يدخرون جهداً في السيطرة على الموقف، قد نظموا تحرك قوات جديدة إلى «خط العلمين» بسرعة مذهلة.

وفجأة تمكنت إدارة التموين في روما من شحن الإمدادات إلى تونس بكميات لم نرها من قبل في أفريقيا، ولكن الموقف كان قد فات لأن إمدادات العدو التي فاقتنا على الدوام قد زادت هي الأخرى زيادة ضخمة.

ولهذا السبب كان من الضروري أن نفعل كل ما بوسعنا لنقضي على البريطانيين في الشرق الأدنى قبل وصول أي شحنات كبيرة من الأسلحة المرسلة لهم من بريطانيا أو الولايات المتحدة، فنجم عن هذا أن دارت سلسلة من المعارك الضارية الدامية أمام العلمين خلال شهر يوليو، وكان أبرز مظاهرها ضربنا المستمر من السلاح الجوي البريطاني، وقد استطعنا الاستيلاء على عدة مواقع محصنة من خط العلمين، ثم تقدمنا إلى ما وراءها بضعة أميال نحو الشرق، ولكن بعد ذلك توقف هجومنا وتجمد الموقف، وقد فوجئنا بتشكيلات مدرعة بريطانية متفوقة للغاية

تنطلق نحو جبهتنا، وهكذا فإن فرصتنا الوحيدة في اجتياح بقايا الجيش الثامن واحتلال الجزء الشرقي من مصر قد تبخرت.

وفي أول يوليو، تأخر فيلق أفريقيا في القيام بهجومه على خط العلمين، مع أنه في بداية الأمر نجح هذا الهجوم في التقدم بسرعة.

وتحركت إلى الجبهة من نقطة قيادتي جنوبي «الضبعة» لمراقبة سير العمليات، وقد ذهبت أولاً إلى مقر قيادة فيلق أفريقيا، فأمرت مدفعية الجيش بقصف مواقع المدفعية البريطانية، وطلبت من السلاح الجوي الألماني أن يدخل المعركة بكل ما لديه من قوة، وبدأت نيران المدفعية البريطانية تقل تدريجياً، وأقمنا نقطة قيادتنا ذي التبة 31 على «مدق الإنذار»، وقد اصطدمت الفرقة 21 بانزر بنقطة قوية عند دير الشين تدافع عنها بعناد الفرقة الثامنة الهندية القادمة حديثاً من العراق.

ومرة أخرى، سببت لنا حقول الألغام العميقة صعاباً جمة مما أدى إلى توقف تقدم الفرقة واندلعت نار القتال بعنف، وأخطرتني الفرقة 90 الخفيفة أن هجومها قد ابتدأ، وتقدم الهجوم بسرعة في أول الأمر ثم توقف بعد ذلك أمام خط العلمين القوي التحصين.

رومل يحاول تطويق حصن العلمين:

ويواصل روميل سرد مذكراته قائلاً:

ولم تعاود الفرقة تقدمها إلا بعد أن نقلت محور هجومها إلى الجنوب، وكان هذا في حوالي منتصف اليوم، وشقت الفرقة طريقها ببطء إلى المنطقة الواقعة جنوبي شرقي العلمين، لوجود رمال ناعمة للغاية في هذه المنطقة، وهناك أقامت جبهة دفاعية نحو الشمال والجنوب، وبعد قليل جددت هجومها لإتمام الاختراق والوصول إلى الطريق الساحلي فيتم بذلك تطويق حصن العلمين، كما يتم تدمير حاميته أو إجبارها على

الهرب من المصيدة، وكان هذا يمثل خطراً مميتاً للبريطانيين، لذلك فقد استخدموا ضدنا كل مدفع متيسر لهم، وأمطروا هجومنا بوابل من القذائف، وأبطأ معدل الهجوم تدريجياً وأخيراً جمدت قواتنا أمام النيران المخيفة المنصبة من المدفعية البريطانية.

ووصلت إشارة عاجلة من الفرقة 90 الخفيفة تطلب مساندتها بقصف من المدفعية لنجدتها لأن مدفعية الفرقة لم تعد قادرة على عمل أي شيء، وأرسلت مجموعة قتال «كيهل» على الفور إلى الفرقة، وقد وصل تقرير من «نهرينج»، قائد فيلق أفريقيا، يقول إن فيلق أفريقيا تمكن من اجتياح الجزء الأكبر من النقطة القوية الهندية في «دير الشين»، وفي المساء كانت المعركة هناك قد انتهت، وأسرنا ألفين من الهنود واستولينا ودمرنا ثلاثين مدفعاً بريطانيا.

وفي وقت متأخر من اليوم نفسه، قررت وضع كل ما لدي لدعم الجنب الجنوبي للفرقة 90 الخفيفة، وانضممت إلى مجموعة «كيهل» ومعي مجموعة قيادتي الميدانية، وانصبت نيران المدفعية العنيفة على قولاتنا مرة أخرى، وتحت هذا الضغط المخيف من النيران توقف هجومنا.

وبالرغم من نيران المدفعية المضادة للطائرات العنيفة، عاودت قاذفاتنا المنقضة هجومها مراراً واندلعت النيران بسرعة في منطقة الهجوم، وقرب المساء خفت النيران البريطانية، فأمرت مجموعة قيادتي بالخروج من المنطقة بأسرع ما يمكنها والعودة إلى مقر قيادتي الأصلي، أما مجموعة «كيهل» فقد كان عليها أن تبقي من سيطرتها على المنطقة التي بلغناها.

وعند المساء، أمرت الفرقة 90 الخفيفة بالاستمرار في هجومها إلى الطريق الساحلي في ضوء القمر لأنني كنت أرغب في شق طريق إلى الإسكندرية عند هذه النقطة بأسرع ما يمكن، ولكن هجوم الفرقة

90 الخفيفة الليلي توقف بعد أن انهالت النيران الشديدة من المدفعية والمدافع الرشاشة على 1300 جندي هم كل ما تبقى من قوتها.

وفي الوقت نفسه، استمر فيلق أفريقيا في هجومه يوم 2 يوليو في اتجاه الشمال الشرقي، وكان هدفه اختراق طريق إلى الساحل على بعد حوالي ثمانية أميال شرقي العلمين ثم اقتحام الحصن ذاته، وقد انسحب البريطانيون في أول الأمر نحو الجنوب إلا أنهم بعد وقت قصير شنوا هجوماً عنيفا على جناحنا الجنوبي المكشوف، فسحبنا الفرقة 15 بانزر لتقابل هذا الهجوم واشتبكت مدرعاتها في قتال عنيف مع البريطانيين، وفي المساء كان فيلق أفريقيا بأكمله مشتبكاً في قتال عنيف للدفاع عن نفسه ضد مائة دبابة بريطانية وحوالي عشرة مدافع.

وبعد استمرار محاولاتنا لاقتحام خط العلمين لمدة ثلاثة أيام، عزمت بعد ذلك وبعد هجومنا في اليوم التالي على وقف الهجوم في الوقت الحاضر، وكان سبب قراري هذا يعود لقوة العدو المتزايدة باستمرار وقوة تشكيلاتي المنخفضة التي لم تزد في هذه الفترة عن ألف وخمسمائة مقاتل في كل فرقة، وأهم من هذا كله، موقفنا الإداري الحرج الذي وصل إلى درجة مخيفة.

في حوالي منتصف يوم 3 يوليو، وبعد عدة ساعات من قصف المدفعية البريطانية حول مقر قيادتي الذي كان بالقرب من مقدمة الهجوم، أرسلت فيلق أفريقيا لمهاجمة الخط البريطاني مرة ثانية، وبعد نجاح مبدئي تجمد هذا الهجوم في النهاية نتيجة لمواجهة النيران الدفاعية المركزة.

وفي نفس اليوم، قام النيوزيلنديون بهجوم ضد فرقة آريتي التي كلفت بحماية الجانب الجنوبي لجيش البانزر، وانتهى هذا الهجوم بنجاح ساحق، فقد دمر العدو لنا ثمانية وعشرين مدفعاً من ثلاثين، وأسر

أربعمائة مقاتل، وهرب الباقون والذعر يملأ قلوبهم.

وقد نتج عن ذلك أن جناحنا الجنوبي أصبح مهدداً ومكشوفاً مما أدى إلى قيام الفرقة 21 بانزر بالهجوم وحدها، وهذا بالطبع قد أضعف من قيمة الهجوم، وبعد ذلك انضمت إليها الفرقة 90 الخفيفة ولكنها هي الأخرى لم تستطع أن تحسم الموقف وتوقف الهجوم.

ونتيجة لهذه الظروف، أضحى هجومنا المرتقب في اليوم التالي يؤدي إلى استنزاف وتدهور قوتنا لدرجة أكبر، وبالرغم من أن الراحة تعتبر فرصة ثمينة بالنسبة للقيادة البريطانية، فكنت مضطراً لمنح قواتي عدة أيام من الراحة، أحاول خلالها إعادة التنظيم وإجراء الإصلاحات اللازمة على أن أعود للهجوم بأسرع ما يمكنني.

وكان من المتوقع في الأيام القليلة القادمة أن يقوم البريطانيون بهجمات معاكسة، لذلك حشدت كل تشكيلات جيش البانزر بطريقة دفاعية على طول الخط الذي وصلنا إليه.

وقررت سحب التشكيلات المحملة والمدرعة من الجبهة الواحد تلو الآخر لإعادة التنظيم واستكمال القوة، وأضع مكانها فرق المشاة الإيطالية التي مازال أغلبها لسوء الحظ في المناطق الخليفة، وسحبت الفرقة 21 بانزر من الخط في 4 تموز، واعتقد البريطانيون أنه انسحاب عام فتبعوه واخترقوا خطنا على جبهة طولها أربعة آلاف ياردة، ولم تلبث أن أنطلقت أربعين دبابة بريطانية بعدها نحو الغرب، وكان الموقف سخيفا للغاية، فلم يكن لدينا ذخيرة مضادة للدبابات أو ذخيرة للمدفعية لكي تقوم بمهمة الدفاع، وأبلغتني القيادة أن كل مدفعيتها قد استهلكت ذخيرتها، ولحسن الحظ أننا وجدنا بطارية في مجموعة «زيك» لديها مخزون كاف، فاستطاعت وقف التقدم البريطاني بآخر طلقاتها القليلة، وأصدرت أوامري على الفور

باستخدام المدافع الهيكلية على نطاق واسع بما في ذلك المدافع 88 مم المضادة للطائرات لتخويف البريطانيين من القيام بهجمات أخرى، ثم بدأنا في إمداد عدة بطاريات بالذخيرة، وساعدنا الحظ مرة أخرى عندما وجدنا عدة طلقات تبلغ 1500 طلقة مدفعية في موقع للبريطانيين الذي استولينا عليه في «دير الشين»، وهذا مكننا من إمداد عدد من بطاريات المدافع، ولذا اعتبرنا أن الأزمة قد مرت في ذلك الوقت.

واقتصر النشاط البريطاني في هذه الفترة على هجمات محدودة على مستوى القطاعات والتي استطعنا صدها كلها بكل نجاح، ووصلت المشاة الإيطالية بالتدريج إلى خط القتال، وأخذت المواقع من قواتي المحملة.

وفي ليلة 7، 8 يوليو، أطلقت المدفعية البريطانية عشرة آلاف قذيفة على نقطة ثلاثة أميال في قطاع الفرقة 15 بانزر، ثم قامت فرق المشاة البريطانية بعدها بالتسلل في الظلام الحالك إلى خط نقطنا الخارجية، وفجأة ألقت بعبوات متفجرة في مواقع هذه النقط، وقد سبق هذا الهجوم هجوم آخر بالدبابات استمر طيلة اليوم ضد قواتي المتعبة، وتمكن البريطانيون بالفعل بواسطة هذه التكتيكات من الاستيلاء على قسم من خطوطنا في هذه المنطقة، ولكن عندما حاولوا الاستمرار في التقدم صدهم هجوم عنيف قام به الاحتياطي في هذه المنطقة.

وقد وصلتني معلومات دقيقة عن قوة خط العلمين، واكتشفت أضعف قطاعاتها، وقررت توجيه ضربة قوية هناك ضد النيوزيلنديين يوم 9 يوليو ثم الاستيلاء على موقعهم واستخدامه كقاعدة لعملية الاختراق.

وفي ليلة 8 يوليو، قامت مجموعة استطلاع مقاتلة من الفرقة 21 بانزر بالتوغل إلى «قارة العبد» التي يحتلها النيوزيلنديين، وفي صباح اليوم التالي هاجمت الفرقة 21 بانزر وفرقة «ليتوريو» المدرعة والفرقة

90 الخفيفة المنطقة الجنوبية للجبهة، البريطانية واخترقها هناك إلى أن وصلت النقطة التي بلغتها في الهجوم السابق في وسط الجبهة.

وانسحب النيوزيلنديون، وقامت وحدات من الفرقة الخامسة الهندية بتغطية تحركهم ومعها عناصر من الفرقة السابعة المدرعة، وفي هذه الأثناء تمكنت الفرقة 21 بانزر من احتلال «قارة العبد» كلياً بعد أن أخلاها النيوزيلنديون، وقد تركوا وراءهم كميات من الذخيرة والعتاد، وقررت دفع رئاستي للأمام في الليل إلى «قارة العبد» لأنني قررت أن أمضي الليلة في إحدى التحصينات، وكانت ليلة هادئة، لأن قوتنا الضاربة أثناء هذا اليوم طردت الفرقة الخامسة الهندية والفرقة السابعة المدرعة، وقد قررت الانطلاق في اليوم التالي بكل قواتي.

واستيقظنا في صباح اليوم التالي على صوت قصف المدفعية من الشمال، وبعد ذلك مباشرة وصلتني أنباء خطيرة عن هجوم العدو من مواقعه في العلمين واجتياح فرقة «سابراتا» المحتلة للمواقع على جانبي الطريق الساحلي، وعلى الفور تحركت شمالاً بمجموعة قيادتي الميدانية ومجموعة قتال من الفرقة 15 بانزر ووجهتها نحو ميدان المعركة، ومن «قارة العبد» ألغيت الهجوم لأن ما تبقى من قواتي الضاربة في الجنوب لا يستطيع القيام بذلك الهجوم المزمع نحو الشرق، وهكذا انتهت المعركة على الساحل، وكانت فرقة «سابراتا» قد أبيدت تقريباً بعد أن فقدت الكثير من البطاريات التي خصصت لمعاونتها. ولم نستطع السيطرة على الموقف إلا بعد قيام هيئة أركان حرب جيش البانزر بنفسها بصد الهجوم البريطاني، وكان يقودها في هذا الحين «فون ملنتين» الذي جمع المدافع الرشاشة والمدافع المضادة للطائرات الموجودة حوله وبمساعدة جزء من الألاي 328 المشاة التابع للفرقة 164 الخفيفة، وأنشأ خطاً دفاعياً على

عجل على مسافة ثلاثة آلاف ياردة جنوبي غربي قيادة الجيش.

وعند منتصف اليوم، تقدمت القوات التي سحبناها من الجبهة الجنوبية لمهاجمة جنب البروز البريطاني، ولكن توقف أمام نيران مخيفة من المدفعية البريطانية في العلمين. وفي اليوم التالي، 11 يوليو، استأنف البريطانيون هجومهم جنوب الطريق الساحلي مستخدمين مدفعية قوية مع مساندة من الطيران، واستطاعوا التغلب في هذه المرة على وحدات أخرى للإيطاليين من فرقة تريستا وأسروها، واضطررت لسحب أعداد متزايدة من قواتي في الجنوب وإلقائها في القتال الدائر جنوب الطريق الساحلي، وفي وقت قصير كنا أحضرنا كل مدفعية الجيش للاشتراك في المعركة، وبعدها توقف الهجوم البريطاني بالتدريج.

وهذه الضربة البريطانية على طول الطريق الساحلي، نتج عنها تدمير الجزء الأكبر من فرقة سابراتا، وجزء كبير أيضاً من فرقة تريستا، كما سقطت في أيدي الأعداء أجزاء هامة من الأرض.

ولم يعد هناك أي احتمال لشن أي هجوم كبير في المستقبل القريب، واضطررت لسحب كل الجنود الألمان من خيامهم ومعسكرات الترفيه وإحضارهم إلى الجبهة لأنه بفشل الجزء الأكبر من قواتنا الإيطالية المقاتلة أصبح الموقف يهدد بكارثة كبرى.

الجبهة تتحول إلى الحرب الثابتة:

ويواصل روميل حديثه قائلاً:

تجمدت الجبهة، وأصبحت القيادة البريطانية تقابل في ظروف ملائمة تماماً، فقد تخصص البريطانيون في الهجمات المحددة المحلية التي تشن تحت حماية دبابات المشاة والمدفعية.

وركزت محاولاتي كلها في العلمين للخروج من مجال الحرب الجامدة

الثابتة، التي يتفوق فيها البريطانيون والتي تدرب عليها مشاتهم وأطقم مدرعاتهم، للوصول بعد ذلك إلى الصحراء المفتوحة أمام الإسكندرية حتى يمكنني استغلال تفوقنا التكتيكي في حرب الصحراء المفتوحة، ولكن لم أنجح في بلوغ غرضي هذا فقد أوقف البريطانيون تشكيلاتي.

ولقد قررت دفع الفرقة 21 بانزر لمهاجمة حصن العلمين، وذلك لكي أصلح الموقف المتوتر الذي نتج من هزيمة فرقة سابراتا، ولكي أزيل التهديد من جبهتي الجنوبية بسبب المواقع البريطانية الموجودة غرب العلمين، وكان سيساند هذا الهجوم، في 13 يوليو، كل مدفع وطائرة يمكننا إلقاؤها في أتون المعركة، وكان على الفرقة أن تعزل منطقة الحصن من اتجاه الشرق أولاً ثم تقتحمها بعد ذلك في هجوم ساحق.

لقد فشل الهجوم ولم ينجح حتى في بلوغ الخط الأمامي للفرقة 9 الاسترالية، ويرجع ذلك إلى نيران العدو الشديدة وخطوط دفاعاته المحصنة تحصيناً في غاية القوة متضمناً كثيراً من الدبابات المدرعة في مواقع ثابتة، أما السبب الأساسي في الغالب فيرجع لأن مشاة الفرقة 21 بانزر لم يتجمعوا للهجوم داخل المواقع الإيطالية، وإنما تجمعوا في منطقة تقع خلفها بالفين أو ثلاثة آلاف ياردة، ونتج عن هذا أن المدفعية البريطانية ضربت القوات المهاجمة في مرحلة مبكرة من الهجوم واستطاعت إيقافهم بنيرانها المركزة قبل أن يستطيعوا اجتياز خطوطنا نحن، وفي المساء قررت إيقاف العملية.

ومرة أخرى، أمرت الفرقة 21 بانزر بالهجوم في اليوم التالي، 14 يوليو، وكان هدفها في هذه المرة الموقع الذي تخلت عنه سابراتا غرب العلمين، وكان الأستراليون حالياً يقومون بتحصينه بقوة، وانطلق الهجوم بعد ضرب جوي من جانبنا، ولكن المشاة تأخرت أكثر من اللازم مرة

أخرى، وفشلت في استغلال تأثير الضرب التحضيري، وهاجمت القوات الجوية البريطانية قولاتنا الميكانيكية وضربتها ضرباً عنيفاً، ودخلت المدفعية البريطانية المعركة مرة أخرى بكامل قوتها.

وشقت قواتنا طريقها من الجنوب إلى الشمال والشمس من ورائها إلى أن وصلت إلى المنطقة الواقعة بين الطريق الساحلي والخط الحديدي وهناك توقف الهجوم، وتلا ذلك قتال وحشي مع الأستراليين، واستمر القتال إلى وقت متأخر من الليل، وكنا في بادئ الأمر قررنا الاستمرار في الهجوم في اليوم التالي ولكن ظهر عامل خطير اضطرنا لإتباع إجراء مختلف.

ويواصل روميل حديثه قائلاً:

في ليلة 14، 15 يوليو، قام البريطانيون بهجوم رئيسي بالفرقة الأولى المدرعة على «هضبة الرويسات» وتمكنوا من اختراق مواقع الفيلق الإيطالي العاشر، ثم بعد مدة وجيزة نجحوا في اختراق موقع فرقة بريسكيا وتوغلوا حتى بلغوا مواقع المدافع والدبابات الألمانية وهناك تمكنا من وقف قواتهم القائدة، بقتال متلاحم عنيف.

وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي استمروا في هجومهم حتى تم الاستيلاء على «هضبة الرويسات»، ومن هذه النقطة سارت قواتهم الرئيسية المهاجمة في اتجاه الغرب، وتحولت مجموعة من هذه القوة شرقاً مرة ثانية في مؤخرة فرقتي بريسكيا وبافيا، ونتج عن هذا أن أغلب هذين التشكيلين قد وقع في الأسر صباح هذا اليوم.

ولم يكن هذا كل ما في الأمر، لأن خطوطنا انهارت جنوبي شرقي «دير الشين»، واجتيحت مواقع مدفعيتنا المضادة للطائرات بسبب عدم رغبتها في إطلاق نيرانها على حشود الإيطاليين المأسورين الذين كانوا في مواجهتها مباشرة. وفي الصباح الباكر، اقتحم البريطانيون «دير الشين» نفسها.

وأوقفت هجوم الفرقة 21 بانزر في الشمال على الفور، وعدت بها إلى منطقة تجمع فيلق أفريقيا جنوبي غربي دير الشين.

وفي اليوم التالي، 16 يوليو، هاجمنا البريطانيون مرة أخرى، واستولوا على عدة مراكز قوية في قطاع فرقة سابراتا، ولكنهم تخلوا عن الأرض التي استولوا عليها نتيجة لقصف نيراننا المخيفة من المدفعية الألمانية الإيطالية المحشودة ومدافعنا المضادة للطائرات، وتركوا وراءهم عدداً كبيراً من القتلى والجرحى.

وكانت ليلة يوم 16 يوليو هادئة، ومع هذا فقد قام الاستراليون بالهجوم من العلمين مرة ثانية، وفي هذه المرة كان محور الهجوم في اتجاه الجنوب الغربي، وفي وقت قصير اخترقوا خطوطنا في قطاعي فرقتي ترنتو وتريستا وأسروا عدداً كبيراً من الإيطاليين، وكانوا في هذه المرة يحاولون أن يطوقوا جبهتنا في اتجاه الجنوب، وكنا قد وضعنا خطة للهجوم في القطاع الأوسط لاسترداد الأرض التي فقدناها بعد هجوم البريطانيين على الفيلق الإيطالي، ولكننا اضطررنا للتحرك شمالاً بأقصى سرعة لإيقاف هذا الاختراق الجديد، وبعدها بقليل بدأ الهجوم الأسترالي يفقد حدته في مواجهة الخط الجديد الذي أنشأته الوحدات الألمانية على عجل، وفي فترة العصر هاجمت وحداتي الأفريقية واستردت مواقعنا الأصلية في المساء، وقام العدو بهجمات مماثلة على فرقة ترينتو وفي أماكن أخرى ولكنه تعرض لهزيمة نكراء بسبب نيران المدفعية الإيطالية الشديدة والهجمات الجوية العنيفة.

وفي هذا اليوم اضطررنا لاستخدام آخر ما لدينا من الاحتياطي الألماني لصد الهجمات البريطانية.

وفي خلال الأيام الأربعة التالية كانت الجبهة على شيء من الهدوء، فلم يقم البريطانيون بأي هجمات كبرى، وكان السكون الذي يسبق العاصفة،

ففي 19، 20 يوليو، علمنا بوجود تجمعات بريطانية في القطاع الأوسط من الجبهة، وكان أوكينلك يحشد فيها جموعاً ضخمة من الدبابات والمدافع.

وفي ليلة 21 يوليو، انطلقت العاصفة من عقالها، فقد اندفعت أمواج من المشاة البريطانية ضد قطاع الفرقة الخامسة عشر بانزر واخترقت خطوطها، ولكننا أوقفنا الاختراق وأسرنا خمسمائة بريطاني، وقامت قوة كبيرة من الأستراليين، تدعمها المدرعات، بهجوم على جبهتنا الشمالية، وتقدم هذا الهجوم ياردة فياردة في اتجاه الجنوب الغربي في مواجهة مقاومة وحشية من جانب المشاة الألمانية الإيطالية.

وفي يوم 22 يوليو، بدأ الهجوم البريطاني الرئيسي في القطاع الأوسط بواسطة قوة تتكون من الفرقة الثانية النيوزيلندية والخامسة الهندية والأولى المدرعة ومعها اللواء 23 من دبابات الجيش الذي وصل من بريطانيا في خلال هذا الشهر، واندفعت القوات البريطانية التي كانت تدعمها أكثر من مائة دبابة ضد خطوطنا في «دير الشيني» وما يليها جنوباً، وإلى الجنوب من الموقع القوي استطاعوا اجتياح مواقعنا بعد أن قاتلت القوات الألمانية والإيطالية التي كانت تحتلها إلى النهاية وبحلول الساعة التاسعة، كانوا قد وصلوا إلى ما وراء جبهتنا بطريقة خطيرة. وأخيراً توقفت رأس الحربة المكونة من الدبابات عند «المدق الحجري»، حيث أمكن تدمير عدد كبير من الدبابات البريطانية، ثم اندفعت مدرعات الفرقة 21 بانزر وصدت البريطانيين ودفعتهم للخلف، ودمرت عدداً كبيراً من الدبابات البريطانية.

ونظراً لحرج الموقف للغاية في القطاع الأوسط، فقد اضطررت لسحب عدد متزايد من التشكيلات من الجناح الجنوبي للجبهة، واستمرت المعركة التي خضنا غمارها بكل إمكانياتنا الخفيفة الحركة

والتي فرضت علينا طوال اليوم، واستخدمنا آخر ما لدينا من احتياطي.

وبالتدريج خفت حدة الهجوم البريطاني، وفي المساء هاجم الأستراليون مرة أخرى من الشمال ولكن بدون نجاح يذكر، وأمكننا تشتيت مشاتهم المهاجمة بنيراننا الدفاعية، واستطاعت تشكيلاتي الميكانيكية تدمير الدبابات التي اخترقت خطوطنا.

وعند حلول المساء، كان دفاعنا قد سجل انتصاراً لا شك فيه، حيث سقط في أيدينا 1400 أسير بريطاني ودمرنا مائة وأربعين دبابة معادية، ولكن خسائرنا لم تكن بسيطة وخاصة لأن قوتنا كانت منخفضة في الأفراد، وقد كان اليوم التالي هادئاً عدا المجال الجوي بالرغم من أن سلاحنا الجوي قد قام بمهاجمة العدو بكل ما لديه من طائرات، وقبل هجوم العدو، كان مهندسو جيش البانزر يرصون حقول الألغام بسرعة محمومة واستمروا في عملهم هذا بعد توقف الهجوم مرة أخرى، وفي وقت قصير قاموا بتغطية قطاعات عديدة بحقول ألغام ذات عمق كبير.

وبعد قتال 22 يوليو، وفى هذه الأثناء، وصلت تعزيزات من المشاة إلى خطوطنا، وكنا نسد بها الثغرات الكبيرة في صفوف تشكيلاتنا بالتدريج، ووصلت من «كريت» عن طريق الجو عناصر من الفرقة 164 مشاة ولكنها مع الأسف لم تحضر معها أسلحتها الثقيلة ولا أى حملا ت ميكانيكة، ووصلت وحدات عديدة من فرقة مظلات إيطالية وكانت ملائمة ببغاية للجبهة.

كان الجيش يعمل بسرعة محمومة على تقوية خطوطه، وبالرغم من كل هذه التحصينات في الموقف، فلم نعتبر أن الخطر المباشر قد انتهى، وذلك لحين إيجاد احتياطى ملائم خلف الجبهة.

وفى ليلة 26 يوليو، هجم الأستراليون مرة اخرى، وفى هذه المرة كانت تقدر قوتهم بلواء واحد، وكان هدفهم الخط الألمانى الواقع غرب

مدق العلمين- أبو دويس وكان التجمع قد تم في سرية تامة وحقق المفاجأة، وسبقه هجوم جوى عنيف من السلاح الجوى البريطانى، وبالرغم من غلالة النيران التى أقامتها المدفعية الألمانية الإيطالية في الحال، فالأستراليون قد نجحوا في اختراق جبهتنا وأبادوا الجزء الاكبر من كتيبة ألمانية، ولكن مجموعة قتال «برايهل» والألاى الثالث استطلاع ومجموعة «كيهل» وقامت بهجوم مضاد جرئ، حطمت به في النهاية الهجوم الأسترالى وطرد العدو إلى خطوطه مع تكبده خسائر فادحة. وهاجمت الفرقة 50 بريطانية القطاع الاوسط من خطوطنا وأمكنها القضاء على جزء من كتيبة إيطالية،ونجح هجوم مضاد هناك ايضا بواسطة الألاى200 المشاة ومجموعة قتال من فيلق افريقيا في طرد العدو مرة أخرى إلى خطوطه.

ويتابع رومل مذكراته :

وتكبد البريطانيون مرة أخرى خسائر فادحة بلغت ألف اسير و 32 دبابة وفقدت قيادتهم كل أمل في هجوم آخر، فقد ثبت لهم عدم إمكان اختراق الجبهة الألمانية الإيطالية بواسطة القوات التى يستخدمونها، وأصبح من المؤكد أنه من الممكن الاستمرار في المحافظة على جبهتنا، ويعتبر هذا في حد ذاته، بعد الأزمات التى مررنا بها، نجاحًا.

وبالرغم من أن الخسائر البريطانية في القتال امام العلمين،13000 مقاتل، كانت أكبر من خسائرنا، إلا أن الثمن الذى دفعه «أوكنلك» لم يكن كبيرًا لأن أهم شىء كان يشغله هو إيقاف تقدمنا، ولسوء الحظ أنه حقق غرضه هذا.

وأخيرآ فشلنا في تحقيق هدفنا، وأصبح المستقبل نتيجة لهذا لا يبدو ورديًا على الإطلاق، وكنا بالطبع قد كبدنا البريطانيين خسائر فادحة، ففي الفترة بين 26 مايو، 20 يوليو، سقط في أيدينا ستون ألفًا

من الأسرى البريطانيين وحلفائهم، ودمرت قواتي أكثر من ألفين دبابة وعربة مدرعة للبرايطانيين، وأصبح عتاد الجيش البريطانى بالكامل، الذى استخدام في الهجوم على برقة، حطامًا متناثرًا في الصحراء، وكانت قواتي تستخدم ألوفاً من عرباته المأسورة.

ولكن خسائرنا أيضًا كانت فادحة، فمن الجانب الألمانى وحده خسرنا من القتلى 2300ضابطاً وجندياً، 7500 أسير، ومن الجانب الإيطالي، بلغت الخسائر أكثر من ألف قتيل ما بين ضابط ورتب أخرى، وأكثر من عشرة آلاف جريح وحوالي خمسة آلاف أسير.

وكانت خسائرنا في العتاد هى الأخرى فادحة للغاية، وهكذا فبعد الانتصارات الضخمة، انتهت حملة الصيف الكبرى بثبات خطير.

الفصل الثالث عشر

معــارك العلميــن

يواصل روميل في مذكراته سرد معركة العلمين من بدياتها قائلًا:

ساد الهدوء في الجبهة بعد توقف هجومنا المؤقت على العلمين، وبعد أن صددنا هجوم العدو المضاد بنجاح، وقد حاول الطرفان استغلال الفرصة لإعادة تنظيم قواتهم، ومرة ثانية دخلنا في سباق استعدادًا للجولة التالية.

وقد توجهت كل مجهودات جيش البنزر إلى معاودة الهجوم بأسرع ما يمكن، وكان من الطبيعي ان يبذل الأمريكيون والانجليز جهدهم لوقف أي تقدم آخر لجيش البانزر نحو الإسكندرية، ولكن قوافلهم البحرية تستغرق من شهرين إلى ثلاثة أشهر لإتمام رحلتها من بريطانيا أو أمريكا حول رأس الرجاء الصالح إلى شمال أفريقيا، ولهذا فقد كان أمامنا أسابيع قليلة قبل وصول الإمدادات الضخمة، وكان ميزان القوى يميل نحو الأعداء بقوة، كما أن فرصتنا للقيام بهجوم مضمون النتائج ستصبح مستحيلة، لذلك عزمت على القيام بالهجوم لأسبق العدو، كما أن البريطانيين يقومون كل يوم بزرع ألغام إضافية أمام جبهتهم، وكنت قد قررت الالتفاف حول موقع العلمين، وهذا يتطلب أولًا اختراق القطاع الجنوبي من الجبهة البريطانية، لذلك فالصعاب التي ستواجه هذه العملية تتزايد.

وكان الاعتماد الوحيد في خطتنا هذه يقوم على السرعة والمفاجأة، وقدرت الموقف فتبين لي أنه في 20 أغسطس سيكون للبريطانيين 70 كتيبة مشاة و900 دبابة وعربة مدرعة وحوالي 550 مدفعًا مضادًا للدبابات جاهزًا للعمليات.

وكان الأمر يتطلب مجهودات شاقة في مجال الشئون الإدارية، إذا أردنا مواجهة الجيش الثامن باستعدادته الضخمة، ولكننا كنا نعاني أزمة حادة في هذا المجال بالذات، فمنذ نهاية يوليو، ركز السلاح البريطاني جهده ضد خطوط مواصلاتنا بين الموانى الأفريقية والجبهة وضرب قوافلنا الإدارية وأغرق صنادلنا الساحلية الواحد تلو الآخر، وكانت المياه الساحلية معرضة أيضًا لنشاط السفن الحربية البريطانية، نظرًا لغياب مدمرات الحراسة الإيطالية، وكانت معظم سفن التموين تضطر إلى الذهاب لبنغازي أو طبرق، مما فرض مجهودات مضنية على إمكانيات نقلنا البحري، وزاد الأمر سوءًا أن «طبرق» تعرضت لهجوم قوي من القاذفات البريطانية في 8 أغسطس، وقلت قدرتها بنسبة وصلت إلى 20% بسبب تدمير رصيفها الرئيسي، وهكذا أصبنا بضربة شديدة.

الإمدادات لا تصل لرومل:

ويواصل روميل حديثه قائلاً:

وفى بداية شهر أغسطس، كانت الإمدادات التي تصلنا لا تكاد تكفي احتياجاتنا اليومية، ولم يكن الاستعداد للهجوم في حيز الإمكان، وكان موقف حملاتنا الميكانيكية بالذات مقلقًا، كما أن وحدات الفرقة 164 وفرقة «فولجوري» للمظلات لم يمكن لديها أي عربات خاصة بها وكانت على وشك الوصول، وبهذا أصبح نقلها عبئًا ثقيلًا على حملات التشكيلات الأخرى.

وكان في إيطاليا حوالي 2000 عربة جاهزة للشحن وبعضها ينتظر منذ أكثر من عام ومعها 100 مدفع من جميع الأنواع، ولكن الشحن كان يتم ببطء، كما كان لدينا 1000 عربة أخرى و120 دبابة تحت الطلب في ألمانيا. وكان لدينا 17 ألف مقاتل ألماني في جيش البانزر، شاركوا

[illegible] التحتية [illegible]

[illegible]

[illegible] بين حقول

الألغام [illegible] سمعنا [illegible] انفجار الألغام تحت عجلات عرباتنا
[illegible] في الإمدادات وترجع إلى ضعف

[illegible] عبر البحر المتوسط [illegible]

[illegible] الإيطالية التي [illegible] ولم يتحمل المارشال

[illegible] الخاصة بحماية القوافل

[illegible] أي سلطة على هذه الشحنات في موانئ

الوصول، أو فيما يتعلق بنسبة الشحنات الإيطالية، وهذا بالإضافة إلى أنه
وفي صباح 30 يونيو، وصلت بالفعل العناصر الأمامية من الفرقة 15

كان يعاد إمداد الوحدات الإيطالية في العلمين بسرعة مذهلة وتسهيل
بانزر إلى نقطة بعد الضبعة بكثير، وسقطت غنائم ضخمة في أيدي فيلق

عربتها تباعًا بعربات أخرى جديدة من إيطاليا، ما لم تصل عربة ألمانية
أفريقيا ومن ضمنها بطارية بريطانية من عيار 150 مم، وقمنا باستخدامها

واحدة لجيش البانزر من إيطاليا حتى أوائل شهر أغسطس
على الفور ضد أعدائنا، ولسوء الحظ أن الإيطاليين تخلفوا مرة أخرى، ولم

يصلوا إلى [illegible]

في بداية شهر سبتمبر قافلة كبيرة تزيد حمولتها عن مائة ألف طن
وفي الضبعة، وجدنا مخزن عينات ضخمًا بجانب الطريق، وأقمنا

وكان جيش البانزر مصممًا على شن هجومه قبل التاريخ ولكن بسبب
القيادة في أحد الأكواخ، ولكن هجمات القاذفات المقاتلة اضطرتني للتحرك

النقص في الإمدادات بشكل عام، فقد اقتصرت الخطة على توجيه
نحو الشرق بعدها بقليل ومرة أخرى سمعنا مدافع الطائرات البريطانية التي

ضربة قوية للجيش الثامن في خط العلمين، ثم الاستيلاء على الأراضي
يبدو أنها قد استقرت في مطاراتها الجديدة، وعليه فقد انتقلنا مرة أخرى

المحيطة بالإسكندرية والقاهرة، ولكننا اضطررنا لتأجيل موعد الهجوم
وناقشت أثناء عصر هذا اليوم في هجومي المقبل على خط العلمين

عدة مرات حتى تصل دفعات كبيرة من الوقود والذخيرة.
مع عدد من جنرالاتي وضباط أركان حربي، وقررنا بدء الهجوم في صباح

وفي ليلة 30، 31 أغسطس، تحركت المشاة مع المجموعة التابعة
اليوم التالي، وفي المساء أصبح واضحًا أننا لن نتمكن من تنفيذ خططنا

لجيش البانزر للهجوم على المواقع الجنوبية من الجبهة البريطانية من
حسب التوقيت الموضوع لها لأن التشكيلات التي ستشترك فيه تعطلت

الجبهة البريطانية في العلمين. وبعد أن اجتازت قواتنا الحد الشرقي
بسبب البريطانيين المنسحبين ولصعوبة الأرض بطريقة لم نتوقعها

لحقول ألغامنا، ارتطمت بحاجز قوى من الألغام البريطانية، ولم نكن

* * * *

الطائرات البريطانية تكبد رومل خسائر كبيرة :

ويواصل روميل حديثه قائلاً:

ونظرًا لوعورة الطريق، فقد بدأ الوقود في التناقص بشكل خطير، فأوقفنا الهجوم على التبة 132، وكان الفيلق العشرين الإيطالي لا يزال متخلفا بمسافة شاسعة، ولكن الفرقة 90 الخفيفة وصلت لهدفها المحدد، وقامت كتائب الاستطلاع بالحماية نحو الشرق والجنوب الشرقي. وبعد هبوط الظلام، تعرضت قواتنا لهجمات شديدة من الطائرات البريطانية التي تركزت بشكل عنيف على مجموعة الاستطلاع، وبطريقة أقل عنفًا على الوحدات الأخرى، وتوقف كل تحرك بسبب هجوم الطائرات من ارتفاع منخفض، لذلك اضطررت للتخلي عن أية محاولة للقيام بعمليات رئيسية في الوقت الحالي، وأقصى ما كان يمكننا أن نسمع به لأنفسنا هو عدة هجمات محلية ذات أغراض محددة. وقام فيلق أفريقيا، تبعًا لهذا القرار، بالهجوم في صباح أول سبتمبر بالفرقة 15 بانزر فقط، وبعد أن دمرنا عددا من الدبابات البريطانية الثقيلة، نجحت القوة الرئيسية في الوصول إلى المنطقة الواقعة في الجنوب مباشرة من التبة 132، حيث اضطررت بسبب قرب نفاذ الوقود أن نوقف هذا التقدم المحلى.

واستمر الهجوم على فيلق أفريقيا طيلة اليوم بشدة من الطائرات البريطانية، وألحقت بنا خسائر فادحة .

وعصر اليوم التالي، نقلت مركز قيادتي، ونظرًا للموقف الإداري السيئ بدأت في التفكير بوقف الهجوم مرة أخرى .

وتتابعت هجمات القاذفات البريطانية طوال اليوم، كما أطلقت المدفعية البريطانية كمية هائلة من الذخيرة، فكانت تضربنا بحوالي عشرة قذائف مقابل قذيفة واحدة من جانبنا. وقررت أن أوقف الهجوم

وأن ننسحب على مراحل إلى الخط الممتد بين جبل الطاقة وباب القطارة، نتيجة للموقف الجوى الخطير وإمداداتنا المريعة، ولو أن الهجوم على الهضبة المحيطة استمر لأدى إلى معركة تحطيم تدريجي لإمكانياتنا .

وقام العدو في هذه الأثناء بحشد قوات مدرعة ضخمة بين علم حلفا وباب القطارة، ثم ثبتوا في مناطق تجمعهم، وتبع ذلك بعض الهجمات المحلية والتي صددناها بسهولة، وقد ترك القائد البريطاني الجديد، الجنرال «مونتجمرى»، الأثر بأنه رجل حذر للغاية وغير مستعد للقيام بأية مخاطرات .

فى ليلة 2، 3 سبتمبر تعرض فيلق أفريقيا وجزء من الفرق الإيطالية المدرعة والفرقة 90 الخفيفة مرة ثانية لضرب مستمر من الطائرات البريطانية.

استمر انسحابنا حسب الخطة، ولم يقم البريطانيون إلا بهجمات منعزلة، وفيما عدا ذلك تركوا للطيران والمدفعية القيام بالقضاء على قواتنا، وطلبنا من «كلرينج» إرسال كل طائرة يمكن العثور عليها لضرب القوات البريطانية إلى الشمال من المنطقة، حيث كان يبدو أنهم يفكرون في شن هجوم علينا من الجنب .

وفى هذه الليلة، لم يقم الطيران البريطاني إلا بهجمات محدودة، فقامت طائراتنا بمهاجمة الفرقة الهندية التي كانت تستعد للهجوم على فرقة «بريسكيا» ولواء الرامكة، فبعثرت تنظيماتها، وقد ركزت كل الهجمات على الطرق التي كانت في أجنابنا وخاصة الفرقة النيوزيلندية التي كانت أضعف من أن تتمكن من التغلغل في جبهتنا، وأمكننا صدها بسهولة. أما الهجوم الليلي الآخر الذي قام به الفيلق العاشر الإيطالي، فقد كلف البريطانيين خسائر فادحة شملت عددًا كبيرًا من القتلى، وتم أسر مائتي بريطاني من بينهم العميد «كليفتون» قائد اللواء السادس النيوزيلندي.

وفى الصباح يوم 6 سبتمبر أنهينا انسحابنا، ولجأت قواتي للدفاع

مستخدمة المواقع البريطانية القوية التي استولينا عليها، وبفشل هذا الهجوم ضاعت علينا آخر فرصة للوصول إلى قناة السويس.

وهذه المعركة عرفت بين الجنود باسم سباق الأيام الستة، لأنها استمرت ستة أيام منذ بدء هجومنا حتى انسحابنا إلى مواقعنا الجديدة.

ويواصل رومل حديثة قائلًا:

بعد فشل هجومنا ضد خط العلمين البريطاني، بدأت مرحلة جديدة انتهت بانهيار جبهتنا في شمال أفريقيا، فقد دارت في الفترة مابين 6 سبتمبر و23 أكتوبر، معركة الإمدادات بعنف متزايد، وفي نهاية الأمر خسرنا هذه المعركة، فسفن التموين التي وعد «كافاليرو» بأن تصلنا في الوقت المناسب لهجومنا، لم تصل في الواقع إلى أفريقيا إلا في يوم 8 سبتمبر، وفى هذه الأثناء كان الموقف الإداري قد بلغ حد الأزمة، والكميات التي وصلتنا لم تكن كما اتفقنا .

وقبل هذا بثمانية عشر شهرًا، أعلن كبار الضباط من هيئة الأركان العامة الألمانية أن الإمدادات لأفريقيا تعتبر مشكلة مستعصية، وأدى ذلك بالقيادة في إيطاليا وألمانيا أن يظلوا في أماكنهم.

وبعد هجومنا الفاشل مباشرة، أرسلت تقريري لمقر قيادة «الفوهر» والقيادة العليا الإيطالية وجاء فيه:

أن القوات الألمانية لجيش البانزر الأفريقي التي تتحمل العبء الأكبر للحرب في أفريقيا ضد زهرة قوات الإمبراطورية البريطانية، تحتاج لإمدادها بسيل لا يتوقف من الإمدادات الضرورية للإعاشة والقتال، ويجب استخدام كل سفينة وطائرة نقل موجودة لتحقيق هذا الغرض، وإذا لم يمكن تنفيذ هذا، أطال الوقت أم قصر، إننا في خطر عندما يشن البريطانيون هجومًا كبيرًا، وربما حلت به نفس الكارثة التي حلت بحامية «نقب الحلفاية».

الإنجليز يتفوقون في المدرعات:

ويواصل روميل حديثه قائلاً:

وفي هذه الأثناء كان البريطانيون يزيدون من قوتهم تدريجيًا، وفي حوالي 11 سبتمبر، كان لديهم في الجبهة خمس فرق مشاة وفرق مدرعة، وفرقتان مشاة وفرقتان مدرعتان خلف الجبهة كاحتياطي للجيش، وفرقتان مشاة إضافيتين في دلتا نهر النيل وأوضحت خطورة الموقف لقيادة «الفوهرر» مرة أخرى، وطالبت بإنهاء أزمة الإمداد والتموين بأية طريقة، وإلا فلن يستطيع الجيش الألماني الإيطالي الاحتفاظ لوقت طويل بمواقعه في أفريقيا .

وطلبت كحد أدنى للإمداد، بإرسال ثلاثين ألف طن خلال شهر سبتمبر، وخمسة وثلاثين ألفًا خلال أكتوبر، وذلك بعد وصول الفرقة 22 المحمولة جوا، كما طالبت بإرسال كل عربة متخصصة لجيش البانزر من العربات الموجودة في ألمانيا وإيطاليا، وطالبت بتدعيم قواتنا الجوية وخاصة المقاتلات، ولكن وضح لنا بعد هذا بقليل أن احتمال تحقيق آمالنا معدوم على وجه التقريب .

الإنجليز يحاولون الاستيلاء على طبرق :

ويستطرد روميل قائلاً:

في ساعة مبكرة من يوم 14 سبتمبر، قام البريطانيون بمحاولة لإنزال قوات كبيرة في منطقة «طبرق» بعد أن ضربوها والمنطقة المحيطة بها بأكثر من مائة وثمانين طائرة، وكان هدفها تدمير منشآت الميناء وإغراق السفن الموجودة فيها .

وقد نزل البريطانيين ونجحت مجموعات الاقتحام الألمانية و الايطالية التي تم تكوينها بسرعة في تطويق قوات العدو التي أنزلت، ولخوفنا من أن يكون البريطانيون يحاولون الاستيلاء على «طبرق»، فقد

حركنا عدة وحدات محملة نحو الحصن على الفور،ولكن القوات المحلية نجحت في السيطرة على الموقف بعدها بقليل، وقد تكبد البريطانيون خسائر كبيرة من القتلى والأسرى، وتم إغراق ثلاث مدمرات أو سفن حراسة، وفي اليوم التالي أغرقت طائراتنا طرادًا ومدمرة أخرى وعدة سفن حراسة، كما أصيبت عدة سفن في هذا الهجوم. وفي 15 سبتمبر، أصدرت تعليماتي لنائب أمير البحر «لو مباردى» والجنرال «دانيال» بالعمل على تامين الدفاع عن الحصن.

وكان هذا أعنف هجوم بريطاني على مناطقنا الخلفية، وكانت مجموعات من الكوماندوز تحت قيادة «ستر لينج»، تقوم بعمليات صفرى من «واحة الكفرة ومنخفض القطارة»، وأحيانا بلغوا في عملياتهم إقليم «برقة» حيث كانوا يقومون بعمليات إزعاج أقلقت الإيطاليين للغاية.

وفي هذه الأثناء، وصلت صحتي لدرجة من السوء بعد ثمانية عشر شهرًا مستمرة في أفريقيا، لدرجة أنه أصبح من الضروري أن أتلقى علاجًا طويلًا بدون أي تأخير في أوروبا، وكان الجنرال «شتومة» سينوب عني في قيادة الجيش أثناء سفري، وقد وصل إلى مقر قيادتي في 19 سبتمبر، وفي اليوم التالي سلمت قيادة جيش البانزر إلى الجنرال «شتومة»، وفي اليوم التالي سافرت إلى «درنة» بقلب حزين ومنها إلى إيطاليا .

رومل يجتمع بموسوليني وهتلر:

ويواصل روميل حديثه قائلاً:

وفي يوم 24 سبتمبر، ناقشت الموقف مع الدوتشي، ولم أترك له مجالا للشك في أنه إذا لم تصل الإمدادات إلى الحد الذي طلبته، فسنضطر في النهاية للتخلي عن شمال أفريقيا، وأظن أنه بالرغم من كل ما أوضحته لم يقدر خطورة الموقف بالفعل.

وعلى أية حال فقد سررت لسماعي بأن سلطات الإمداد والتموين الألمانية والإيطالية كانت تنوي استعمال عدد كبير من السفن الفرنسية.

وبعدها بعدة أيام قدمت نفسي «للفوهرر»، وقد وضحت «للفوهرر» الخطوط العريضة لهجومنا على خط العلمين وأسباب فشله، وقد نوهت على وجه الخصوص إلى التفوق الجوى البريطاني وأن الطريقة الوحيدة للتغلب على تفوق العدو الجوى كانت في إرسال قوات جوية كبيرة من جانبنا لأفريقيا. وشرحت الموقف الإداري السيئ, وطالبت برفع حصة الإمدادات الألمانية بالنسبة للإمدادات الإيطالية مبينًا أن قوة التشكيلات الألمانية المقاتلة تزيد كثيرًا عن الإيطاليين، وقررت مرة أخرى أنه يجب شحن 30 الف طن في سبتمبر، و35 ألف طن في أكتوبر كشرط أساسي لصد الهجوم البريطاني المنتظر .

وقد وعد «الفوهرر» بزيادة إمداداتنا إلى حد كبير, وذلك خلال الأسابيع القليلة المقبلة باستخدام عدد كبير من الصنادل البحرية يسمى «سبيل فهرين»، وقد أكدوا لي أيضًا أنهم سيرسلون قريبًا لواء من القنابل الصاروخية المتعددة الفوهات الجديدة كما أنهم سيرسلون 40 دبابة من طراز النمر، ومدافع ذاتية في الصنادل البحرية الجديدة والسفن الإيطالية .

وبعد ذلك ظهر أن هذه الوعود أعطيت في جو من التفاؤل استنادًا على أرقام خاطئة لإمكانية الإنتاج، لأنه لم يتمكن من تنفيذ برنامج إنتاج الصنادل البحرية على المستوى المطلوب، ولم يتم إرسال الأرقام المذكورة من القنابل الصاروخية ودبابات النمر إلى أفريقيا .

بداية معركة العلمين

ويروي رومل أحداث معركة العلمين الشهيرة قائلاً:

بدأت معركة العلمين في 23 أكتوبر 1942، وقد غيرت من سير الحرب ضدنا في أفريقيا، ويمكن اعتبارها بحق نقطة التحول في هذا الصراع العنيف كله. وقد واجهنا مدرعات العدو المتفوقة من حيث النوع، والتي وصلت بعددها إلى أكثر من ألف دبابة، بينما كانت دباباتنا لا تزيد عن 500 من ألمانية وإيطالية، وكان لدينا عدد معقول من المدافع، ولكن الكثير منها كان إيطاليًا قديمًا وبعضها من الغنائم، وأغلبها تنقصه الذخيرة. ويضاف إلى هذا أن البريطانيين حققوا سيطرة جوية تامة فوق البحر الأبيض المتوسط واستطاعوا في الواقع أن يشلوا أي حركة بحرية لنا، ونتج عن هذا أن مخزوننا من الإمدادات كان قليلًا لدرجة أن النقص في كل مجال كان واضحًا حتى عند بداية المعركة. وكان يوم 23 أكتوبر كغيره من الأيام في جبهة القتال ثم تركزت ضد القطاع الشمالي بين التبة 35 ودير الشين، وقد قصف البريطانيون مواقعنا بدقة غير عادية ونجم عن ذلك خسائر فادحة، وقد شاركت القاذفات البريطانية في القصف التمهيدي.

وقد تحطمت شبكة اتصالنا وتوقفت كل التقارير من الجبهة تقريبًا، وقد قاتلت نقطنا الخارجية حتى آخر طلقة، وبعد ذلك وقعت في الأسر أو أبيدت، وتحت صدمة نيران المدفعية البريطانية المخيفة، ترك جزء من المشاة الإيطاليين مواقعهم وهربوا إلى المؤخرة، وبعد قليل كان البريطانيون قد اجتاحوا مراكزنا الخارجية وتغلغلوا داخل خط دفاعنا الرئيسي على جبهة طولها ستة أميال، وقاومت مشاتنا بشراسة بالرغم

من أن معظم أسلحتها الثقيلة قد دمرت بنيران المدفعية المعادية، وأحضر البريطانيون الدبابات إلى قواتهم المهاجمة الأمامية، وفي وقت قصير اجتاحوا بقايا فرق المشاة الإيطالية وشقوا طريقهم داخل خطوطنا، ولكننا تمكنا من إيقافهم بنيران المدفعية المركزة، كما أبيدت كتيبتان من الفرقة 164مشاة أثناء الساعات الأولى من الصباح بنيران المدافع البريطانية العنيفة.

وعندما بزغ فجر يوم 24 أكتوبر، لم يصل لمقر القيادة إلا تقارير قليلة، وكان الموقف غامضًا جدًا، ونتيجة لهذا عزم الجنرال «شتومة» على الذهاب إلى الجبهة بنفسه وفي الساعات الأولى من يوم 24 أكتوبر، بدأ القصف من جديد، ولكن هذه المرة على القطاع الجنوبى، حيث هجمت فرق بعدها بقليل تساندها بحوالي مائة وستين دبابة، وبعد أن اجتاحوا نقطنا الخارجية أمكن إيقافهم أمام خطوط دفاعنا الرئيسية.

وفي عصر يوم 24 أكتوبر، اتصل بي الفيلد مارشال «كيتل» تليفونيًا في «سمر ينج» وقال لي أن البريطانيين يهاجون العلمين بمدفعية قوية منذ الليلة الماضية، والجنرال «شتومه» مفقود، وسألني إذا كنت في وضع يسمح لي بالعودة إلى أفريقيا لاستلام القيادة مرة أخرى، فوافقت على الفور، وأمرت بتجهيز طائرتي في السابعة من الصباح التالي وذهبت فورًا إلى «فينز نيو شتادت»، ووصلتني مكالمة من «الفوهرر» بعد منتصف الليل بقليل، ونظرًا للتطورات في العلمين وجد نفسه مضطرًا لأن يطلب مني السفر إلى أفريقيا لاستلام القيادة.

وعند وصولي إلى روما، قابلني الجنرال «رينتلين» في المطار ،حيث أطلعني على آخر أنباء العمليات، وقال إنه بعد تمهيد عنيف من المدفعية، استولى العدو على جزء من خطوطنا جنوب التبة 31، وقد أبيدت عدة

كتائب تمامًا من الفرقة 164 والقوات الإيطالية وكان الهجوم البريطاني لا يزال عنيفا والجنرال «شتومه» ما يزال مفقودًا، كما أخبرني أنه لا توجد في أفريقيا سوى ثلاث صرفيات يومية من البترول، وهذه كانت كارثة رهيبة لأن الوقود لا يكفينا إلا لمسافة 300 كم فقط، وهي المسافة بين «طرابلس» والجبهة وهذا بالنسبة للأرض الصالحة لتحرك الحملات، وليس مثل الأرض التي نقاتل عليها، لذلك لا يمكننا المقاومة لمدة طويلة بالنسبة لهذه الظروف وسنحرم من إمكانية اتخاذ القرارات التكتيكية الضرورية، وبذلك سنعانى من قيود شديدة على حريتنا في العمل.

ووصلت مقر قيادتي مساء 25 اكتوبر، وفي هذه الأثناء عثرنا على جثمان الجنرال «شتومه» فأرسل إلى «درنة».

وفى المساء قدم لي الجنرال «فون توما» والعقيد «ويستفال» تقاريرهم عن سير المعركة حتى هذا الوقت، وذكر أن الجنرال «فون توما» والعقيد «ويستفال» تقاريرهم عن سير المعركة حتى هذا الوقت، وذكر أن الجنرال «شتومة» منع قصف مناطق تجمع العدو في ليلة الهجوم نظرًا لقلة الذخيرة، ونتج عن هذا أن العدو استطاع أن يستولي على قسم من حقل ألغامنا، وتغلب على القوات الموجودة بخسائر قليلة نسيًا، وقد قامت وحدات من الفرقة 15 بانزر بعدة هجمات مضادة في يوم 24و25 أكتوبر، ولكنها تكبدت خسائر هائلة من نيران المدفعية البريطانية التي لم تتوقف، وفى مساء يوم 25 لم يبق في الفرقة سوى 31 دبابة من قوتها الأصلية وهى 119 دبابة. وكان هدفنا في الأيام القليلة التالية طرد العدو عن خطوطنا الأساسية الدفاعية مهما كان الثمن، وإعادة احتلال مواقعنا القديمة لمنع وجود بروز في مواقعنا نحو الغرب.

وفي هذه الليلة تعرضت خطوطنا مرة ثانية لغلالة عنيفة من المدفعية

وتطورت إلى أن أصبحت عاصفة ثابتة من النيران.

وقبل منتصف الليل بقليل تمكن العدو من الاستيلاء على التبة 28 وهي موقع هام في القطاع الشمالي، وقام بإحضار التعزيزات إلى هذه النقطة استعدادًا لاستئناف هجومه في الصباح لتوسيع رأس الجسر في حقول الألغام باتجاه الغرب.

وقامت وحدات من الفرقة 15 بانزر بشن هجمات على التبة 28 ومعها وحدات من فرقة «ليتوريو» وكتيبة «برساليرى» تساندها المدفعية المحلية والمدفعية المضادة للطائرات وقد قاوم البريطانيون بعنف، وقصفت المدفعية البريطانية أرض الهجوم بعنف مخيف. وعند المساء نجحت كتيبة «البرساليرى» في احتلال الميول الشرقية والغربية للتبة، ولكن التبة نفسها بقيت في أيدي البريطانيين وأصبحت القاعدة الوطيدة لعمليات معادية كثيرة، وانهالت كميات لا حصر لها من القنابل على قواتي.

وكانت القوات البريطانية حول التبة 28 تزداد باستمرار، وأصدرت أوامري لمدفعية لكي توقف تحركات البريطانيين شمال شرق التبة 28 بنيران مركزة، ولكن الذخيرة لم تعد تكفى لتنفيذ هذه العملية بنجاح.

وفى اليوم التالي، أحضرت الفرقة 90 الخفيفة ومجموعة القتال التابعة لرئاستي لمساندة الهجوم على التبة الذكورة، وكان البريطانيون يدفعون بقوات جديدة باستمرار في هجومهم من التبة 28، وكان واضحًا أنهم يرغبون في شق طريقهم إلى المنطقة الممتدة بين «الضبعة» و«سيدي عبد الرحمن»، لذلك فقد تحركت فرقة تريستا إلى المنطقة التي تقع شرق «الضبعة»، وعند المغرب قامت تشكيلات من القاذفات المنقضة الألمانية والإيطالية بهجوم انتحاري محاولة تدمير قوا ت العربات البريطانية المتحركة إلى شمال الغربي، ولكن الطائرات المقاتلة البريطانية انقضت على هذه الطائرات

البطيئة وأجبرتها على التخلص من قنابلها على خطوطهم، ولكن الطيارين الألمان اندفعوا نحو أهدافهم وتكبدوا خسائر جسيمة. وحاولت الهجمات البريطانية التي تساندها الدبابات المرة بعد الأخرى أن تفتح طريقًا غربًا عبر خطوطنا جنوب التبة 28، وأخيرًا تمكنت بواسطة 160 من إبادة كتيبة من الفرقة 164 حيث شقت طريقها إلى خطوطنا نحو الجنوب الغربي، وتبع ذلك قتال عنيف تمكنت فيه الدبابات الباقية، الألمانية والإيطالية، أن ترد العدو، وكانت خسائرنا في الدبابات حتى هذا الوقت، 61 دبابة في الفرقة 15 بانزر، و56 دبابة في فرقة «ليتوريو»، وكلها مدمرة تدميرًا تامًا.

وبعد هجوم الطائرات البريطانية المستمر ليلًا، قامت طيلة اليوم بإرسال مجموعات تتكون من 18 إلى 20 طائرة بفاصل ساعة، وهذا لم يكبدنا خسائر فادحة فحسب، وإنما أدى لظهور معالم إرهاق خطيرة وشعور بالنقص والعجز في صفوفنا ,

كان توقف الإمدادات قد أصبح يشكل كارثة كبرى، ولم يعد لدينا من الوقود إلا ما يكفى لتحريك قوات الإمداد بين طرابلس والجبهة ليومين أو ثلاثة، هذا دون النظر إلى احتياجات القوات الميكانيكية التي سيجري إمدادها من نفس الكمية المذكورة، فقد كان لدينا أن نشد كل وحداتنا الميكانيكية في الشمال لطرد البريطانيين إلى الوراء نحو خط الدفاع الرئيسي بهجوم مضاد مركز، ولكن لم يكن لدينا من الوقود ما يكفى لهذا الهجوم،وهكذا فقد أجبرنا على استخدام التشكيلات المدرعة في الجزء الشمالي من خطوطنا في هجمات مبعثرة.

ولكني قررت مع كل ذلك إحضار الفرقة 21 بانزر بأكملها إلى الشمال بالرغم من علمي أن الوقود لن يكفى لإرجاعها، يضاف إلى ذلك أن المجهود الرئيسي للعدو كان سيوجه للنقطة الشمالية خلال الأيام

القليلة القادمة محاولًا حسم الأمر هنا، لأنه قد سحب نصف مدفعيته من المنطقة الجنوبية، وفي نفس الوقت أعلمت «الفوهرر» أننا سنخسر المعركة ما لم يتحسن موقف الإمداد فورًا.

واستمرت القاذفات البريطانية في هجومها طيلة ليلة 26 نوفمبر، وبدأت غلالة من مدفعية البريطانيين في منطقة الشمالية حيث استخدموا فيها المدافع من جميع الأعيرة, وأثبتت دباباتهم الجديدة شيرمان، والتي دخلت المعركة للمرة الأولى أثناء هذه المعركة، أنها تفوق دباباتهم الجديدة شيرمان، والتي دخلت المعركة للمرة الأولى أثناء هذه المعركة، أنها تفوق دباباتنا بكثير.

في الساعات الأولى من يوم 27 أكتوبر، قام العدو بهجوم جديد نحو الجنوب الغربي متجهين نحو نقطة اختراقهم القديمة جنوب التبة 28، وقامت قاذفات العدو بقصف مواقعنا الدفاعية في مدة لا تزيد عن عشرة دقائق، وظلت الجهة كلها معرضة لغلالة عنيفة من المدفعية البريطانية.

وبعد قليل، انقضت قاذفاتنا على الخطوط البريطانية، وقمت بتركيز كل نيران مدفعيتنا والمدافع المضادة للطائرات بعنف على قطاع الهجوم المنتظر، ثم انطلقت مدرعاتنا بالهجوم ولكن نيران العدو المميتة انهالت علينا، وتوقف هجومنا بعدها بقليل بسبب الدفاع المضاد للدبابات القوي للغاية، وتكبدنا خسائر فادحة، فاضطررنا للتراجع، كما أن هجوم الفرقة 90 الخفيفة تحطم بواسطة المدفعية البريطانية الشديدة وسيل منهمر من قنابل الطائرات.

وفي هذا المساء اضطررنا لاستخدام وحدات قوية من فرق البانزر في الجبهة لسد الثغرات، كما احتلت وحدات عديدة من الفرقة 90 الخفيفة مكانها في الخط. وفى المساء، أرسلنا مرة أخرى إشارة استنجاد لروما ومقر قيادة «الفوهرر».

وفي اليوم التالي، اضطررت لاتخاذ القرار باستدعاء وحدات أخرى إلى الشمال، ونتج عن هذا أن القطاع الجنوبي أصبح خاليًا تقريبًا من الأسلحة الثقيلة والوحدات الألمانية، وقد حلت محلها بقيت فرقة آريتى التي كانت حتى هذه اللحظة في القطاع الشمالي، وفى الصباح قام البريطانيون بثلاث هجمات على جبهتنا الشمالية، لكن وحدات البانزر ردتهم على أعقابهم، ولسوء الحظ فقد خسرنا دبابات كثيرة.

ومنذ منتصف يوم 28 ظهرت حشود قوية من المدرعات القوية في حقل الألغام، وافترضنا أن العدو سيقوم بشن هجومه الحاسم، ولذلك قمنا بصد الهجوم المضاد بقدر ما تسمح به قواتنا المتبقية، ونتيجة الخسائر الفادحة التي تكبدتها فرق المشاة الألمانية البريطانية فقد أحتل فيلق أفريقيا بأكمله مواقع في الخط، وبعد فترة بدأت غلالة بريطانية مخيفة في ضرب المنطقة غرب التبة 28 وبعدها بقليل بدأت مئات من المدافع البريطانية قصف قطاع الكتيبة 2 من الآلاى 125 شمالي التبة ونجحنا في صد الهجوم البريطاني، وتمكنت فرق المشاة والمدرعات البريطانية من التغلغل في خطوطنا، وفى الثغرة بين حقلي الألغام وإلى الشمال منها، ودارت رحى المعركة العنيفة في هذه المنطقة مدة 6 ساعات بقوة متزايدة، وأخيرًا اجتيحت الكتيبة الألمانية الثانية من الآلاى 125 والكتيبة 11 برساليرى، كما حوصرت وحداتها الفرعية، وانهالت عليها قذائف العدو من جميع الجهات، ولكنها قاتلت بشراسة.

ولقد قررت، إذا زاد الضغط البريطاني أكثر من اللازم، الانسحاب إلى موقع «الفوكة» قبل أن تصل المعركة لذروتها .

هدوء يسبق العاصفة:

في صباح 29 أكتوبر استأنف العدو هجومه ضد الكتيبة 2 من الآلاي 135 تحت ستار مدفعية عنيفة، وقد قوبل بهجوم من الفرقة

90 الخفيفة لإنقاذ الكتيبة أو حتى لتخفيف الضغط عليها، ولكن بقايا الكتيبة 2 تمكنت من التخلص تحت ستار هذا الهجوم وشقت طريقها نحو الوحدات المجاورة، وما بقي منها كان في عداد القتلى أو الجرحى أو الأسرى، واستمرت الجبهة على هدوئها النسبي فيما عدا نيران المدفعية الشديدة والغارات الجوية التي قصفت مناطقنا الشمالية.

وأصدرت أوامري بسحب الفرقة 21 بانزر من خط الدفاع الرئيسي غرب حقل الألغام، لتصبح حرة الحركة مرة أخرى، وكانت ستحل محلها فرقة تريستا، وكانت هذه التحركات جارية بالفعل أثناء الليل عندما بدأت المدفعية البريطانية قصفها فجأة على المناطق التي تحتلها فرق المشاة في الشمال، واشتبكت دفعية الجيش والمدفعية المضادة للطائرات مع مناطق تجمع البريطانيين فورًا جنوب حقل الألغام، ولكنها لم تتمكن من تحطيم التجمعات الكثيفة للمشاة البريطانية والتشكيلات المدرعة في هذا القطاع، وبعد ساعة من التحضير بدأ الاستراليون هجومهم.

وفي صباح اليوم التالي وصلت قوة مؤلفة من 30 دبابة بريطانية ثقيلة إلى الطريق الساحلي وهاجمت جزءًا من الألاي 361 المشاة الذي يحتل الخط الثاني، واستطاع العدو في هذا الوقت شق طريقه إلى الساحل وعزل الألاي 125 مشاة.

وعينت الجنرال «فون توما» لقيادة الهجوم المضاد التي ستقوم به وحدات من الفرقة 21 بانزر والفرقة 90 الخفيفة، وكان سيسبقه هجمات شديدة من القاذفات المنقضة، علاوة على غلالة من مدفعية هذا القطاع بكامل قوتها.

وبدأنا بالهجوم، ولكننا لم نتمكن من الوصول إلى أهدافنا لأن العدو حطم مدرعاتنا ومشاتنا بقصف مركز من المدفعية ومن الجو، ومع

هذا فقد استعدنا الاتصال بالألاي، وفيما بعد تمكنا من إنقاذ الكتيبتين بهجوم جديد تحت قيادة الجنرال «فون توما» في اليوم التالي،/ ونجحت في طرد العدو نحو الجنوب عبر خط السكة الحديدية.

النصر أو الموت:

بدأ الهجوم البريطاني الكبير المتوقع ليلة أول نوفمبر، وانهالت القذائف من مئات المدافع البريطانية على خطوط دفاعنا الرئيسية لمدة ثلاث ساعات، وفي الوقت نفسه هاجمتنا القاذفات البريطانية ثم تقدمت حشود المشاة والمدرعات غربًا للهجوم، وتغلغل البريطانيون في خطوطنا بعد وقت قصير وتقدموا عبرها بالدبابات والسيارات المدرعة نحو الغرب، وبعد قتال عنيف نجحنا في صدهم، وذلك بإلقاء احتياطي الفرقة 90 الخفيفة في المعركة، ودعم العدو قواته تدريجيًا في النتوء الذي أنشأه في خطنا.

وبعد قليل، قامت حشود أخرى باختراق جبهة الفرقة 15 بانزر جنوبي غربي التبة 28، وتقجمت المشاة النيوزيلندية، والمدرعات البرسطانية واجتاحت آلاي من الفرقة تريستاو وكتيبة من المشاة الألمانية برغم من مقاومتها العنيفة، وفي الفجر وصلت إلى نقطة تقع غرب مدق التلغراف.

وفي الساعات الأولى من صباح الثاني من نوفمبر، قام فيلق أفريقيا بهجوم معاكس فأحرز بعض النجاح معه أنه تكبد خسائر جسيمة في المدرعات، لأن دباباتنا لم تستطع ببساطة مواجهة الدبابات البريطانية الثقيلة، وقد أمكن إقفال الثغرة التي بلغ طولها 4000 ياردة والتي أنشأها العدو في خطوطنا، ووضعنا الفرق 21 و15 بانزر بالترتيب من الشمال إلى الجنوب للقضاء على ثغرة العدو، وتلا ذلك قتال عنيف بين الدبابات، وقامت الطائرات والمدفعية البريطانية بقصف قواتنا دون هوادة، وفي منتصف اليوم قامت حوالي مائة طائرة بريطانية بإلقاء حمولتها على قواتي لمدة ساعة.

وفي عصر هذا اليوم، اضطرتنا خطورة الموقف في الشمال لاتخاذ قرار بإحضار فرقة آريتي إلى الشمال على طول مدق التلغراف، فأصبحت جبهتنا الجنوبية مكشوفة تمامًا، وقررت سحب الآلاي 125 من مواقعه وإعادة وضعه في مواجهة الشرق على طول مدق التلغراف.

وفي هذا المساء، علمنا أن العدو يقوم بحشد مدرعات النسق الثاني في نقطة اختراقهم وهذا يعني أن دمارنا أصبح وشيك الوقوع، ولم يعد لدى فيلق أفريقيا سوى 35 دبابة سليمة.

وكان هدفنا في يوم 3 نوفمبر الانسحاب أمام الضغط البريطاني إلى رقعة ممتدة من نقطة تبعد حوالي عشرة أميال إلى شرق الضبعة، وقد أمكننا التخلص من القطاعيين الأوسط والجنوبي بدون أن ينتبه العدو لهذا، وقد اضطررنا لسحب أغلب الأسلحة الثقيلة بواسطة الأفراد لعدم توفر العربات مما أدى إلى بطء التحرك فبالرغم من كل هذه الصعاب وصلت الفرقة الجنوبية إلى مواقعها الجديدة في الصباح.

هتلر يأمر بعدم الانسحاب إلى الفيلد مارشال رومل:

في هذا الموقف الذي وجدت نفسك به، يترتب عليك ألا تفكر في شيء سوى الثبات والقذف بكل مدفع وكل رجل في أتون المعركة، كما أن أقصى المجهودات تبذل لمساعدتك وعدوك بالرغم من تفوقه، لابد وأن يكون قد بلغ منتهى جهده، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي تنتصر فيها الإرادة القوية على الجيوش الكبرى، أما عن قواتك فيجب ألا تمر بها من طريق سوى طريق النصر أو الموت «أدولف هتلر».

وقد طلب مني بهذا الأمر أن افعل المستحيل، وأوقفنا تحركاتنا إلى الغرب، وقمنا بكل ما في وسعنا لدعم قواتنا المقاتلة، وكان تأثير الأوامر قويًا على القوات، فعند صدور أي أمر من «الفوهور» كانت القوات على

استعداد للتضحية بنفسها إلى آخر رجل.

ولم يبدأ العدو في تعقب الفيلق العاشر الإيطالي، عند تراجعه من القطاع الجنوبي، إلا بعد الظهر بعد أن قضوا طيلة الصباح في قصف المواقع الخالية.

وقد صدت الهجمات على الجانب الشمالي للفيلق، وتكبد هذا الفيلق خسائر جسيمة، خاصة من سيارات العدو المدرعة التي اخترقت خطوطنا وضربت قوافل إمدادنا، وقد أدى هذا إلى استحالة عملية إمداد قوات الفيلق العاشر ولو بأبسط الاحتياجات، وأخيرًا اضطررنا لاستخدام السيارات الإيطالية المدرعة لحماية القوافل.

وفي صباح يوم 4 ديسمبر، كان فيلق أفريقيا تحت قيادة الجنرال «فون توما» قد أصبح قرب الفرقة 90 الخفيفة تحت قيادة الجنرال «فون سبونيك»، ويحتل خطًا نصف دائري على جانبي «تل المبصرة»، ويمتد حوالي عشرة أميال جنوب «الخط الحديدي»، حيث كان يتصل بالفيلق الإيطالي المدرع، أما المنطقة في الجنوب فكانت فرقة «ترينتو» تحتلها.

وبعد ضرب عنيف من المدفعية لمدة ساعة، بدأ البريطانيون هجومهم، ولكننا نجحنا في صد هذا الهجوم الذي ساندته 200 دبابة والذي استمر حتى منتصف اليوم، ولم يعد لدى فيلق البانزر سوى 20 دبابة سليمة.

وقد علمت من رئيس أركان حربي «وستيفال» أن البريطانيين اخترقوا جبهة الفيلق الواحد والعشرين جنوب الفيلق العشرين، وأن وحدات الفيلق الواحدة والعشرين تنسحب غربًا، وكانت المدافع الإيطالية المضادة للدبابات عديمة الجدوى في مواجهة الدبابات البريطانية الثقيلة وفي المساء كان الفيلق العشرون الإيطالي قد دمر تمامًا بعد أن قاتل بشجاعة كبيرة، وقد دافعت الفرقة 90 الخفيفة عن مواقعها بكل شجاعة ضد الهجمات البريطانية، ولكن خط فيلق أفريقيا اخترق بعد مقاومة عنيفة من جانب وحداته، وعليه فقد وصلنا إلى ما حاولنا أن

نتفاداه، فقد اخترق العدو المحمل بالكامل جبهتنا واندفع بسرعة نحو مؤخرتنا، والأوامر العليا لم تعد ذات قيمة.

وكان علينا إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وبعد أن تشاورت مع العقيد «بايرلاين» الذي تسلم قيادة فيلق أفريقيا مرة ثانية، أصدرت الأمر ببدء الانسحاب على الفور، وقد حاول الجنرال «فون توما» وقف هذا الاختراق البريطاني بواسطة مجموعة قتال قيادة الفيلق، لكنه فشل ووقع في الأسر بعد تدمير قوته.

الفصل الرابع عشر

الانســحاب مـن العلميـن

يتحدث روميل عن عملية الانسحاب من العلمين فيقول:

في ليلة الرابع من نوفمبر، انسحب الجيش إلى «الفوكة»، ونظرًا لاختراق جبهة فيلق أفريقيا، ولعدم وجود أي احتياطي، فقد أمرت آسفًا بالانسحاب إلى مرسى مطروح تاركًا التشكيلات الألمانية والإيطالية التي مازالت تتحرك وهي على الأقدام.

في هذه الأثناء علمنا أن دول المحور أرسلت قوات إلى تونس محاولة التهديد من الغرب، ومع هذا فلا يزال هناك احتمال أن يقوم البريطانيون والأمريكيون بهجماتهم ضد جيش البانزر في هذا الاتجاه.

وفي ليلة 10 نوفمبر، أغارت مئات من القاذفات المقاتلة البريطانية على المنطقة المحيطة بكابتزو على ضوء المشاعل، وكبدتنا خسارة جسيمة.

وفي صباح اليوم التالي، شن البريطانيون هجومًا عنيفًا على طول الساحل، كما وجدنا حشودًا من السيارات المدرعة في الجنوب، فأصدرنا للفرقة 90 الخفيفة أوامر بالانسحاب في حوالي منتصف اليوم على الطريق المار بالسلوم.

واستمر الانسحاب من «برقة» واستطعنا قبل السلوم مباشرة إعادة التزود بالبترول لمسافة 1100 ميلًا، وكان البريطانيون قد أرسلوا فرقة مدرعة حول سيدي عمر من الجنوب في محاولة لإدراكنا، لذلك انسحبنا إلى المنطقة المحيطة «بطبرق».

وفي منتصف يوم 13 ديسمبر، وصلت طلائع جيش البانزر إلى مرسى البريقة رغمًا من تعطل المرور في المضايق بصورة مستمرة.

وبعد أن اجتاح البريطانيون خط الغزالة، أصبح موقفنا صعبًا جدًا، حيث ساعدتهم الظروف للقيام بحركة التفاف قد تؤدي إلى عزل «برقة»، واستأنفنا إخلاء برقة بأقصى سرعة. وكان فيلق أفريقيا ما يزال ثابتًا في موقعه، أما عن رئاسة الإمدادات والتموين الإيطالية، فقد ضربها جنون النسف والتدمير.

وفي فجر يوم 18 نوفمبر، اندفعت السيارات المدرعة والدبابات البريطانية مسرعة من «مسوس» لمهاجمة قواتنا، ولكننا تمكنا من صدها، ووصلت أنباء في الصباح تقول أن المدمرات التي كانت تحضر لنا البترول قد أعيدت لموانئ قيامها، وبعد قليل وصلتنا أنباء عن وجود قافلة بحرية بريطانية مؤلفة من 15 سفينة شحن وعدد مماثل من سفت الحراسة في شمال شرق درنة متجهة نحو الغرب، واعتقدنا أن هذا يعني أن العدو ينوي القيام بعملية إنزال في «بنغازي»، لذلك وبالرغم من سوء حالة البحر أصدرت الأوامر لكل الصنادل المحملة بالدبابات والعتاد بالإبحار إلى عرض البحر، ودمرنا كل العتاد الحربي المتبقي في «بنغازي»، وغرقت أغلب الصنادل في الساعات القليلة التالية، فلم نتمكن من إنقاذ إلا كمية بسيطة من مخازننا في هذا الميناء، وفي «بنغازي» دمرنا منشآت الميناء والأرصفة.

ثم انسحبت مقدمة فيلق أفريقيا بصعوبة شديدة إلى المنطقة المحيطة بالزيتونة، حيث أعيد تجهيزها للدفاع باتجاه الشرق، وقامت كتيبة الاستطلاع 330 مرارًا بصد محاولة البريطانيين للالتفاف حولنا غرب «مسوس» وفي وقت مبكر من صباح يوم 19 ديسمبر، قامت الفرقة 90 الخفيفة بإخلاء بنغازي، وفي اليوم ذاته وصل فيلق أفريقيا كله إلى مواقعه الجديدة وثبتت

الفرقة 90 أقدامها في «أجدابية»، وبذلك تكون عملية إخلاء «برقة» قد تمت.

وكان الانسحاب من الغزالة إلى «أجدابية» محفوفًا بالمخاطر، لأن البريطانيين يستطيعون دائمًا عزلنا لو تقدموا عبر المجيلي، ومع هذا فقد نجحنا بالانسحاب، ولم نخسر خلال انسحابنا من «طبرق» إلى «مرسى البريقة» رجلًا واحدًا.

في هذه الأثناء، وصلت فرقة الشباب الفاستي، ويستوبا، وسبيزيا، وأخذت مواقعها في خط «مرسى البريقة»، وبدأت في إنشائه تحت إشراف المارشال «باستيكو»، كما توزعت وراء الجبهة وحدات من فرقة سنتورو المدرعة التي وصلت أخيرًا، أما قوات المظلات والفرقة 164 الخفيفة وما تبقي من الفيلق الواحد والعشرين الإيطالي فقد أعيد تجميعها وتنظيمها بالقرب من «مرسى البريقة».

إن هذا الفشل في القيادة والأخطاء الإستراتيجية والأحقاد والبحث الدائم عن كبش الفداء، كل ذلك سارع في إيصالنا إلى ذروة المأساة، والذي دفع الثمن كان الجندي العادي الألماني والإيطالي.

ويواصل روميل حديثه عن تلك الأيام الصعبة قائلًا:

في الأسابيع التالية قاسينا الأمرين لعدم تفهم سلطاتنا العليا لمتاعبنا، وكان ذلك أشد مما لاقيناه من عنف القوات البريطانية ضدنا، ولم يكن أمامنا سوى حل واحد هو عدم الاشتباك في أي معركة مهما كانت، فأي دفاع ولو كان ناجحًا ضد هجوم بريطاني من الجنب كان ميئوسًا منه، مهما كانت رغبة سادتنا فيه.

ولم يتبق لدينا إلا ثلث القوة المقاتلة التي كانت لدينا قبل معركة العلمين، ولم يكن لدينا أيضًا مستودعات للعتاد والمواد، والذي تبقى لدينا لا يكاد يكفينا، ولم يعد يصل إلى طرابلس إلا كميات ضئيلة للغاية، ولم يعد

يصل إلى طرابلس إلا كميات ضئيلة للغاية، وكانت ناقلات البترول تغرق الواحدة بعد الأخرى من طوربيدات القاذفات البريطانية والغواصات.

ووردت رسالة من «الفوهرر»، بوجوب الدفاع عن خط «مرسى البريقة» بأي ثمن، ووعدنا بتعزيزات كبيرة من الدبابات والمدفعية المضادة للدبابات والطائرات، ولكننا كنا نعلم من خلال تجاربنا الطويلة في هذا الصدد قيمة تلك الوعود.

خطة انسحاب رومل:

يتحدث رومل عن خطة إنسحابه قائلاً:

نظرًا للظروف السائدة، كنا لا نأمل في الصمود في وجه أي هجوم بريطاني قوي في أي مكان في طرابلس، لذلك كان من الضروري التفكير منذ البداية في الجلاء عن طرابلس والقيام بانسحاب أخير إلى «قابس»، التي تقع في منتصف الطريق بين وتونس، والصمود هناك نهائيًا، حيث يمكن احتلال خط يحده من الجنوب سبخة شط الجريد. وكان هناك عاملان مهمان في تنفيذ هذا الانسحاب من «مرسى البريقة» إلى تونس، الأول هو كسب أكبر قدر ممكن من الوقت، والثاني تنفيذ العملية بأقل خسارة ممكنة في الرجال والسلاح، لذلك كان ضروريًا أن تتقدم الفرق الإيطالية إلى مواقعها الجديدة البعيدة إلى الغرب قبل أن يبدأ الهجوم البريطاني، وترك القوات الميكانيكية في «مرسى البريقة» لتأخر تقدم البريطانيين ولتلغيم الطرق واستغلال كل فرصة مواتية لإلحاق الخسائر بمقدمة العدو.

وكان الانسحاب إلى تونس يجب أن يتم على مراحل لإجبار العدو على القيام بأكبر عدد ممكن من عمليات الاقتراب التي يستلزمها وقت أطول بكثير من التقدم العادي، وحددت التوقف الأول في البوايرات، والثاني في المنطقة الممتدة بين «طرهونة والحمص»، ولم يكن في نيتنا

إطالة المعركة ولو في هذه الأماكن.

وقد رسمنا الخطة على أساس سحب مشاتنا منها قبل تعرضها للهجوم، وفي الوقت نفسه تقوم التشكيلات الميكانيكية بالاشتباك مع البريطانيين من مسافة بعيدة وتعطل تقدمهم، إلى أن تبلغ موقع «قابس» في النهاية، وهناك تصمد وتثبت؛ لأن الموقع لا يمكن الالتفاف حوله من الجنوب مثله في ذلك مثل العلمين.

وفي «قابس» نلقي بعبء المعركة على عاتق المشاة غير المحملة، لأن الموقع لا يناسب الهجوم بالقوات الميكانيكية، ولا يمكن اختراقه إلا بحشد هائل للإمكانيات المادية، ولذا كان سيحتاج «مونتجمري» لأشهر عديدة لينقل احتياجاته عبر ليبيا كلها حتى يستطيع الهجوم على «وادي العكاريت» بنجاح.

ونستطيع خلال تلك الأشهر، إعادة تزويد قواتنا بالعتاد الذي يرسل إلى تونس خلال فترة الانسحاب، وبالتعاون مع جيش البانزر الخامس، الذي نزل في هذه الأثناء في تونس، يمكن أن نمهد الطريق أمام ضربة حاسمة نقوم بها.

ولكن الخطورة كانت تكمن في الجبهة الغربية المكشوفة على سعتها في تونس، لأنها تقدم للبريطانيين والأمريكيين فرصة عظيمة للهجوم.

لذلك كان من الضروري أن نسبقهم بالمبادرة، وأن نشن هجومًا مفاجئًا بجميع قواتنا الميكانيكية لندمر قسمًا من التشكيلات الإنجليزية والأمريكية، ثم ندفع بالباقي إلى الغرب داخل الجزائر، وفي الوقت نفسه لن يتمكن «مونتجمرى» من أن يفعل شيئًا ضد خط «قابس» دون كميات كبيرة من ذخيرة المدفعية.

ويواصل روميل حديثه قائلاً:

وبعد أن نهزم القوات الحليفة، الانجليزية والأمريكية، في تونس ونحطم من قوتها الضاربة، يلزمنا بعد ذلك القيام بإعادة تنظيم قواتنا بأسرع ما

يمكن لتستطيع القيام بمهاجمة «مونتجمري» وصده للوراء نحو الشرق وتعطيل استعداداته للهجوم، ومع هذا، ففي النهاية لن نستطيع الحفاظ على ليبيا وتونس، فالحرب في إفريقيا ستقررها معركة المحيط الأطلنطي.

وعلينا أن نضع نصب أعيننا، أن هدفنا في تونس كان كسب أكبر قدر ممكن من الوقت للإفلات بأكبر عدد من محاربينا العظام إلى أوروبا.

وإذا تعرضنا لهجوم رئيسي للحلفاء لحسم الحرب في هذه المنطقة، فسنضطر لتضييق جبهتنا مع سحب أعداد متزايدة من القوات بواسطة طائرات النقل والصنادل والسفن الحربية.

وعندما تنتهي القوات الحليفة من استيلائها على تونس، فلن يجدوا شيئًا، أو على أكثر تقدير سيأخذون بعض الأسرى، وبذلك سنحرمهم من جني ثمار نصرهم كما فعلوا في «دنكيرك».

رومل يشرح الموقف ويحدد مطالبه:

ويواصل روميل حديثه قائلاً:

وناقشت هذه الخطة مع قيادتنا العليا خلال الأسابيع التالية، وكنت آمل أن يقرروا اتباعها، ولكنهم في نهاية الأمر لم يفعلوا شيئًا لتنفيذها.

وفي يوم 22 نوفمبر، قابلت المارشال «باستيكو» حيث شرحت له الخطة السابقة، وأوضحت أن اللحظة قد حانت لكي نعرف أن فكرة الصمود في خط «مرسى البريقة» حتى النهاية تعني دمار جيشنا بالتأكيد، وأخيرًا وعدنا بعرض وجهة نظرنا بأحسن ما يمكنه للسلطات العليا.

كان الموقف الإداري لا يزال خطيرًا للغاية بالنسبة للامدادات فبدلًا من أن يصلنا 400 طن يوميًا، استطعنا نقل 50 طنًا فقط إلى الجبهة عن طريق البر.

وفي 26 نوفمبر، طالب «كسلرينج» بتخصيص قوات للدفاع عن مدينة طرابلس وفي نفس الوقت، عزم الدوتشي على الصمود في خط «مرسى

البريقة»، وفوق هذا طالبنا بشن هجوم على البريطانيين في أقرب فرصة ممكنة ثم وعدنا بمساندة قوية من السلاح الجوي بعد تدعيمه بقوة، ولكن قيمة المساندة كانت معروفة لنا جيدًا من تجاربنا السابقة.

وقررت السفر إلى «الفوهور»، وعزمت على أن أطلب منه شخصيًا اتخاذ قرار استراتيجي بالموافقة على اعتبار التخلي عن شمال إفريقيا، السياسة الحكيمة للمدى الطويل، وكنت أنوي أن أوضح له وجهات النظر الإستراتيجية والتكتيكية لجيش البانزر كما حددتها من قبل، وأن أجعله يوافق عليها.

وتحركنا في صباح يوم 28 نوفمبر، فوصلنا «راستنبرج» بعد الظهر، وما إن دخلت على «الفوهرر»، حتى شعرت أن الجو متوتر للغاية فوضحت له كل الصعاب التي يواجهها الجيش في المعركة والانسحاب، وقال لي أن هذا معروف وإن تنفيذ العملية كان سليمًا وممتازًا.

وبعد ذلك وصلت لغرضي، الذي جئت من أجله، دون مقدمات، وكان مجرد ذكرى للناحية الإستراتيجية بمثابة شرارة في برميل من البارود، وفقد «الفوهرر» وعيه موجهًا لنا سيلًا من الاتهامات غير الصحيحة، واحتججت بشدة على تلك الاتهامات، ولكن لم تكن هناك أية محاولة للنقاش، وبدأت أدرك أن «أدولف هتلر» لم يكن مستعدًا لتقدير الموقف على حقيقته بكل بساطة.

وكان على مارشال الرايخ «جورنج»، أن يرافقني إلى إيطاليا، وكان هذا سيمنحه سلطات استثنائية للتفاوض مع الإيطاليين، وسافرت أنا «وجورنج» في القطار حتى «غومبينين»، حيث انتقلنا منها إلى قطار «جورنج» الخاص لاستكمال الرحلة إلى روما. وحتى لا أضيع الفرصة بأكملها، أصدرت تعليماتي لمساعدي الملازم برندت بأن تلقي خطة قابس القبول لدي «جورنج»، وقد نجح «برندت» في ذلك.

ولكن النجاح لم يعمر طويلًا، لأننا حين وصلنا إلى روما هاجم

«كسلرينج» الخطة، لأنها ستزيد من التهديد الجوي فوق مناطقنا في تونس، وأوضحت أن الأمر لم يعد بأيدينا لأننا سنضطر للتراجع إن آجلًا أو عاجلًا، ويجب علينا أن نستغل حشد القوى في وقت يناسبنا، ولكن مارشال الرايخ اعتبر أن خطورة المثلث الجوي الممتد بين مالطة والجزائر وطرابلس تفوق مزايا الخطة، لذلك فالانسحاب إلى قابس كان خارجًا عن الموضوع ويجب ألا نفكر فيه أكثر من ذلك، وأدركت أن المناقشات عقيمة، فبقيت على صمتي.

وكنت في هذه الأثناء، قد أصدرت الأوامر إلى جيشي، بأنه لو هاجم البريطانيون خط «مرسى البريقة» عليهم الدفاع عنه حتى آخر رجل وذلك حسب أوامر «الفوهرر»، ونجحت بالفعل في الحصول على الإذن من الدوتشي بالشروع في بناء خط البويرات، واتخاذ الخطوات اللازمة لتحريك المشاة الإيطالية غير المحملة إلى وراء هذه المواقع في الوقت المناسب، على أن تنسحب القوات الميكانيكية هي الأخرى في حالة هجوم بريطاني. وأثناء عودتي لإفريقيا بطريق الجو، أدركت أنه يجب الاعتماد على مواردنا المحلية فقط، وأننا سنعمل بكل مهاراتنا لإنقاذ الجيش من الدمار نتيجة للأوامر المجنونة.

الفصل الخامس عشر
الانســحاب إلــى تونــس

عن أحداث الانسحاب إلى تونس قال مونتجمري:

في ليلة 11 ديسمبر، بدأ البريطانيون هجومهم بضرب شديد من مدفعيتهم ضد مواقع عدة لنا ثم اندفعوا شمالًا على الطريق الساحلي، وبعد قليل تمكنت قواتي من الاشتباك مع مجموعة استطلاع بريطانية كانت تستكشف الطريق بالقرب من «مردومة»، وبذلك وضحت لنا أخيرًا نوايا «مونتجمري»، وهاجم البريطانيون مرارًا نقطتنا القوية في الشمال وبعدها لم يعد هناك أي شك في أن هجوم العدو العام قد بدأ، وكنا قد قررنا انسحاب القوات الألمانية والإيطالية المترجلة، لأنه من الضروري تفادي اشتباك قواتنا مع العدو في صراع متلاحم في «مرسى البريقة»، لذلك أمرت بالانسحاب في المساء.

عبور وادي سيرته للمرة الأخيرة:

ومرة أخرى تحركت قواتي إلى الغرب عبر مجاهل «وادي سيرته» القفراء، وقد جرى الانسحاب حسب الخطة خلال الليل، ولم يلحظ البريطانيون شيئًا.

وفي الصباح، شنت قوات معادية متفرقة هجومًا على مجموعة قتال (آريتي) الموجودة جنوب غرب (العقيلة)، وتلا ذلك قتال مرير ضد 80 دبابة بريطانية دام حوالي عشر ساعات، وقاتل الإيطاليون ببراعة فائقة، وأخيرًا في المساء أمكن طرد البريطانيين للوراء بهجوم مضاد بواسطة آلاي سنتورو المدرع، وتركوا وراءهم 32 دبابة وسيارتين مدرعتين،

احترقت كلها في المعركة، وبذلك استطعنا إفساد محاولة البريطانيين في عزل الفرقة 90 الخفيفة، وقد استأنفنا الانسحاب في هذه الليلة، وفي الصباح التالي، قامت الفرقة 21 بانزر باحتلال مضيق «المقطع» للعمل كحرس للمؤخرة، وبعد ساعة حركت رئاسة الجيش للخلف لنقطة تبعد حوالي ثلاثين ميلًا شرقي «النوفيلية»، وتلقيت عند العصر أنباء من السلاح الجوي الألماني تفيد بأن البريطانيين وصلوا لنقطة تبعد 20 ميلًا جنوبي شرقي «مردومة»، وفي هذه الأثناء كانت كتيبة الاستطلاع المكلفة بستر قطاعنا الجوي مضطرة للانسحاب ببطء نحو «مردومة» لتفوق قوات العدو، وفي حوالي منتصف اليوم طارت فرقتنا مجموعة من القاذفات البريطانية حيث ضربت مقر قيادتي.

وأثناء العصر تحركت الفرقة بانزر ومعها مجموعة قتال من الفرقة 21 بانزر إلى المنطقة أمام مردومة للإبقاء على الطريق الساحلي مفتوحًا للقوة الرئيسية للفرقة 21 بانزر التي كانت ما تزال مشتبكة في قتال عنيف في المقطع، ولكي أتفادى اشتباك القوات الموجودة مع العدو لدرجة يصعب معها التخلص من المعركة بعد ذلك، أصدرت أوامري في نهاية الأمر بالانسحاب إلى «آركودي فيلليني».

وفي المساء، اخترق البريطانيون الستارة المكونة من الكتيبة 3 استطلاع بالقرب من «مردومة»، وتحركت قوة كبيرة نحو الغرب إلى «النوفيلية» لكي تسبقنا، وقررت عندئذ توزيع معظم القوات الموجودة حولي في المنطقة المحيطة «بالنوفيلية»، وتحرك فليق إفريقيا إلى مواقعه الجديدة في الليل، وظلت الفرقة 90 الخفيفة كحرس للمؤخرة في وادي «الفارغ»، وعند حلول الفجر كانت الفرقة 21 بانزر تتقدم إلى «النوفيلية»، بينما كانت الفرقة 15 بانزر لا تزال صامدة في «مردومة» لتأخر وصول الوقود.

وفي الساعات الأولى من يوم 16 ديسمبر، نجحت المشاة البريطانية في الاستيلاء على تبة حاكمة في مواجهة خط مؤخرة الفرقة 90 الخفيفة، وقد اضطررنا لسحبها هي الأخرى إلى «النوفيلية».

وقامت القوات البريطانية في الجنوب بمحاولة أخرى لعزلنا، ولم يعد بترولنا يكفي إلا للوصول بنا إلى «النوفيلية»، وحيث إننا لم نعد نتوقع أي إمدادات كبيرة، وجدت نفسي مضطرًا لمواجهة احتمال الصمود في منطقة «النوفيلية» ليوم آخر، رغمًا من تعرضنا للتطويق والعزل.

ولكي أمنع العدو من القيام بانطلاق سريع على الطريق الساحلي وقطع قواتي من الخلف، أصدرت الأوامر لتشكيلاتنا بالانتشار بعمق على طول الطريق نحو الغرب، وهكذا كانت ستارة فيلق أفريقيا الموجودة حول «النوفيلية» ممتدة نحو الغرب على طول الطريق، وهي تتشكل من الكتيبة 33 و580 استطلاع، آلاي مشاة البانزر «أفريقيا، الفرقة 90 الخفيفة بالترتيب المذكور، أما منطقة «سيرته» فتحتلها فرقة الشبيبة الفاشستية ومجموعة قتال آرتيي، وفي الليل تحركت قواتنا إلى المناطق المحددة لها، وفي الصباح كانت في مواقعها، ولكن بدون وقود.

وفي صباح 17 ديسمبر، هاجمنا البريطانيون عند نقطة تبعد من 6 إلى 10 أميال جنوبي غربي «النوفيلية»، ونشبت معركة عنيفة مع وحدات فيلق أفريقيا، والكتيبة 33 استطلاع التي كانت ثابتة في أماكنها، واقتربت المعركة بالتدريج من الطريق الساحلي.

وأخيرًا بعد وصول عدة أطنان من الوقود، قمنا بهجوم مضاد بواسطة عناصر من فليق أفريقيا ومعها الكتيبة 33 استطلاع، ودمرت 20 دبابة في هذا القتال العنيف، وهكذا تمكنا من الاحتفاظ بالطريق مفتوحًا، وما أن وصل مرتبنا من الوقود حتى تحركت الوحدات المهددة بالتطويق بسرعة على الطريق نحو الغرب.

وقد استمرت القوات الميكانيكية في الصمود في مواقعها في منطقة «سيرته»، بينما قمنا بمجهودات ضخمة لإقامة البويرات، وبثثنا كل الألغام التي كانت لدينا، وفي الحال قرر الدوتشي احتلال جبهة ثابتة في البويرات، كنا نرغب في أن نكون مستعدين، وكان من الأفضل بالطبع أن نستخدم كل مواردنا في بناء خط «طرهونة- هومز»، حيث كان من الممكن استخدام القوات الإيطالية غير المحملة بطريقة أفضل.

وفي وقت قصير أصبحت جبهة البويرات على درجة من القوة تسمح لها بالصمود في وجه أي محاولة بريطانية لاختراقها إذا اختار العدو مواجهتنا بالمواجهة طبعًا.

فرصة البويرات:

لقد دهشنا لتوقف العدو في البويرات، فقد أعطانا فرصة أخرى قمنا باستغلالها على الفور، محاولين إقناع القوم بسحب القوات البريطانية إلى طرهونة، وذلك للإفلات من التطويق من جهة الجنوب وإخراج الإيطاليين غير المحملين، كما حدث من قبل في «مرسى البريقة»، ولا تزال أمامنا فسحة من الوقت.

وبعد عدة أيام، وصل أمر من المارشال «باستيكو» بوجوب البدء في نقل القوات الإيطالية نحو خط «طرهونة- هرمز»، وهذا الأمر كان مقيدًا، لأنه كلفنا بإيقاف البريطانيين أمام دفاعات طرابلس لمدة ستة أسابيع على الأقل.

وفي ذلك الوقت، حرك البريطانيون معظم قواتهم لحشدها للهجوم نحو الجنوب، فزاد من نشاط القاذفات البريطانية مرة أخرى، وهاجمت منشآت إمدادنا ليلصا ونهارًا، وقد وصل للجبهة في الفترة ما بين الأول والثامن من يناير، ثلاثون طنًا من الذخيرة بينما استخدمنا في نفس الفترة خمسين طنًا، وفي الفترة نفسها استخدمنا 1900 طن مقابل

800 وصلتنا في نفس هذه الفترة، وفي حوالي 10 يناير، زادت حدة التهديد بهجوم أمريكي انجليزي من تونس ضد عنق الزجاجة عند قابس، فمثل هذه العملية كانت ستعزل الجيشين عن بعضهما.

وحيث أن هذا المضيق كان يعتبر بمثابة شريان الحياة بالنسبة لنا، فقد اقترحت إرسال الفرقة 21 بانزر إلى هناك، على أن تعتمد إداريًا على تونس، وتحركت الفرقة نحو الغرب في صباح 13 يناير.

ودفع البريطانيون بمدفعيتهم للأمام ليلة 14 يناير، وجاءت أولى الهجمات عند فجر يوم 15 يناير في المنطقة الجنوبية، وشنتها الفرقة السابعة المدرعة وعناصر من الفرقة الثانية النيوزيلندية، وفي بداية الأمر كان الهجوم على جنوب «فورتينو» بحوالي 140 دبابة و100 سيارة مدرعة، ثم تحول الهجوم مباشرة إلى الفرقة 15 بانزر، ولكن هناك تمكنا من إيقافهم، وبعد إحضار المدفعية، استأنفوا الهجوم في عصر نفس اليوم، حيث دارت معركة عنيفة بين المدرعات وأمكننا فيها إحراز النصر، وأصدرت أوامري بالانسحاب إلى الغرب، وتحركت كل القوات الإيطالية والألمانية أثناء الليل.

النهاية في طرابلس:

وفي اليوم التالي 16 يناير، تعقبنا البريطانيون عن كثب، حيث قامت بعد قليل قوة بريطانية كبيرة تقدر بحوالي مائة عربة قتال بهجوم على ثلاثين عربة التي تتكون منها الفرقة 15 بانزر، وبما أن الفرقة كانت مكشوفة الجناحين من الشمال والجنوب، فكان موقفها خطيرًا.

واشتبك البريطانيون في المعركة بقتال عنيف عبر نيران المدفعية، وقد خسروا عشرين دبابة، ثم قامت الفرقة الخفيفة برد الفرقة 51 هايلاندرز بعد اختراقها لستارة الحرس الخلفي بالفعل، ونظرًا للعجز في الوقود، لم

نستطع الاستمرار في القتال في أرض مكشوفة أكثر من ذلك، فاضطررنا لتجنب الاشتباك في أي معركة عن قرب لا يمكننا الخلاص منها بسهولة.

وفي 17 يناير، بدأ القتال ضد حرس مؤخرتنا بالقرب من «بني الوليد»، وقد قام القسم الأكبر من الفرقة 7 المدرعة بمحاولة لتطويق وعزل وحداتنا، وعليه فقد قامت الفرقة 90 الخفيفة هي الأخرى بالانسحاب قتالًا.

ولم يكن باستطاعتنا الصمود لوقت طويل في تلك الجبهة ذات الجنب الجنوبي المكشوف دون أن نخاطر بخسارة قسم كبير من القوات، لذلك أصدرت أوامري بالبدء في الانسحاب إلى خط «طرهونة- هرمز».

وفي 19 يناير، اندفعت حوالي 200 دبابة بريطانية على الطريق إلى طرهونة محاولة اجتياح قواتي بهجوم صاعق، ولكننا تمكنا من إيقافهم بنيران مدفعيتنا بعد إصابتها بخسائر جسيمة.

وفي صباح اليوم نفسه، نقلت مقر قيادتي إلى مزرعة على تبة تقع شمالي غربي «طرهونة»، وعند وصولي لمقر قيادة الفرقة 15 بانزر اكتشفت أن البريطانيين على وشك الهجوم على «باريان» بفرقة مدرعة كاملة، وهذه العملية بالذات كانت خطيرة للغاية، ولذلك ألقيت بكل مدفعيتي لمواجهتها، وقد نتج عن ذلك ضرورة إعادة تجميع القوى، ونشرت على الطريق ما بين «طرهونة وكاسل بينتو» الفرقة 164 ولواء من المظلات وفرقة الاستطلاع على شكل ستارة نحو الغرب لصد الهجوم البريطاني. وفي وقت قصير جاء العدو بمدفعيته فانهالت القنابل على مواقعنا بالقرب من «طرهونة».

وفي المساء، كان القول قد وصل لنقطة تبعد حوالي 30 ميلًا عن «باريان» وعبر بالفعل طريق «طرهونة- باريان»، مما اضطرني لأن أقرر التخلي عن «طرهونة» فورًا وأحشد قوة ضاربة تكفي لمواجهة العدو المتقدم بسرعة نحو جنبنا المكشوف، وكان من الضروري الإسراع

بانسحاب الإيطاليين الذين كانوا ما يزالون في منطقة «هرمز».

وفي ليلة 19 يناير، تمت كل التحركات حسب الخطة.

وفي الساعات الأولى من الصباح، أعلنت انفجارات هائلة من جهة طرابلس عن تدمير منشآت المرفأ، كما تم تدمير المخازن وبذلك لم يعد هناك أي أمل في احتفاظنا به.

وفي صباح يوم 21 يناير، شن العدو هجومًا عنيفًا في كل مناطق الجبهة، وقامت قوات بريطانية بشق طريقها عبر الوديان ما بين «باريان وطرهونة»، وأصبحنا مهددين بعزل حرس مؤخرة الفرقة 164 غربي «طرهونة»، فأرسلت مجموعة قتال تحت قيادة الجنرال «فرانتز» لمواجهة هذا التحرك.

وفي هذه الأثناء، قامت قوات بريطانية أخرى بمحاولة الاستيلاء على المضيق الذي كانت تحتله قوات الفرقة 164 غربي «طرهونة»، ولكنها لم تتمكن من تحقيق ذلك، واضطررت أن آمر بانسحاب المشاة غير المحملة من الخط الدفاعي عند طرابلس ونقلها إلى منطقة «زاروه».

واستمر التحرك حتى يوم 22 يناير، وفي هذا الوقت كان العدو قد أحضر حوالي ستة آلاف مركبة إلى «طرهونة»، وكنا نتوقع هجومه يوم 23 يناير وعليه فقد وجدت نفسي مرغمًا لإصدار الأمر بإخلاء طرابلس بعد تدمير كل منشآتها.

وفي الليل تمت كل التحركات المحدودة تحت ضغط عنيف وهجمات لا تتوقف من العدو ومن القاذفات المقاتلة.

ويتابع رومل مذكراته:

بعد سقوط طرابلس، توقف البريطانيون لفترة وجيزة لإعادة تنظيم قواتهم وإحضار الإمدادات، وهذا ناسبنا للغاية فأعطانا على الأقل الوقت اللازم لنقل المؤن المخزونة في منطقة «زواره».

القيادة العليا الإيطالية تعفي رومل من مهمته:

وفي 26 يناير، نقلنا مقر قيادة الجيش إلى المنطقة الواقعة غربي «بن جردان»، عبر الحدود التونسية.

وفي منتصف يوم 26 يناير، تلقيت إشارة من القيادة العليا الإيطالية تعلمني بأنه نظرًا لسوء حالتي الصحية، فإنني سأعفى من القيادة عندما نصل إلى خط «ماريث»، وتركوا تحديد التاريخ لي شخصيًا، وقرروا جعل القيادة الإيطالية للجيش تحت إشراف الجنرال «ميسي»، قائد الفيلق الإيطالي في روسيا، فطلبت من القيادة الإيطالية إرسال الجنرال «ميسي» إلى أفريقيا بأسرع ما يمكن حتى يمكنه استلام القيادة والتعرف عليها.

وقام البريطانيون فيما بعد بحركة التفاف بديعة انتهت بفقدان قيمة خط «ماريث» تمامًا، بالرغم من أن «باير لاين» نجح أيضًا في الانسحاب بقواته الميكانيكية إلى العكاريت في حالة سليمة نسبيًا، وكان من الأفضل لو أننا ركزنا جهودنا على تحصيناتنا في قابس أولًا وأخيرًا، في 31 يناير سلم الماريشال «باستيكو» قيادته وعاد إلى إيطاليا.

وفي أول فبراير، بدأ البريطانيون بالفعل تحريك قوات كبيرة عبر ميناء طرابلس مستخدمين ناقلات خفيفة عديدة، كما أن طائراتنا أعلمتنا بوجود عدد كبير من السفن الكبيرة، وبالطبع لم تكن الطائرات في حالة تسمح لها بالتدخل في عمل ضد العدو، وبدأ سير الاقتراب البريطاني من الشرق وأصبح علينا أن نتوقع تحرك الجيش الثامن ضدنا بكل قواته الرئيسية.

وفي هذا الوقت وصل «ميسي» إلى «أفريقيا»، وقررت ألا أسلم الجيش إليه إلا حين أشعر في المستقبل بأن موقفه سليم لفترة زمنية.

وخلال شهر يناير، تمكن عدد من جنود مدفعيتنا المضادة للطائرات من مفاجأة قول بريطاني تابع لمجموعة الصحراء بعيدة المدى، فأسروا

المقدم «دافيد سترلنج»، وكان أمهر وأقدر قائد لمجموعة الصحراء التي سببت لنا دمارًا أكثر من أي وحدة أخرى مساوية لها في الحجم.

وفي 15 فبراير 1943، انسحبت أخيرًا مؤخرة الفرقة 15 بانزر إلى الخط الأمامي لموقع «ماريث»، وانتهى بذلك الانسحاب العظيم من العلمين إلى تونس.

الفصل السادس عشر

استراتيجية رومل بعد الانسحاب

يواصل رومل حديثه عن استراتيجيته بعد الانسحاب قائلاً:

بعد أن تقدمنا إلى خط «ماريث»، كنا نستطيع أن نعمل مرة أخرى على أسس استراتيجية جديدة، فباستغلالنا للخطوط الداخلية كنا نستطيع حشد أغلب قواتنا الميكانيكية للهجوم على البريطانيين والأمريكيين غرب تونس لإجبارهم على الانسحاب، وكنا ننوي القضاء أولًا على التهديد بفضل الجيشين المحوريين وذلك بتحطيم مناطق تجمع العدو، وبعد الانتهاء من هذا كانت قواتنا الضاربة ستعود إلى «ماريث» للهجوم على «مونتجمري»، وكنا ننوي قبل هجومنا بوقت قصير التخلي عن مناطق مدينتين، للبريطانيين، بغرض منعهم من مقاومتنا في مواقع أخرى.

وكتمهيد لهذه العمليات قامت الفرقة 21 بانزر بالهجوم على «ممر فايد» في أول فبراير لاحتلاله كنقطة لابتداء هجومنا على سيدي بوزيد وسبيطلا، وقد اجتاحت الفرقة الممر في هجوم بالجنب وأسرت ألف جندي.

وكان الخط الاستراتيجي لرأس الجسر المحوري في تونس هو هجوم أمريكي من قفصة؛ لأنه سيؤدي إلى عزل الجيشين عن بعضهما، ونتيجة لذلك فكان يجب أولًا القضاء على مناطق التجمع الأمريكية في جنوبي غربي تونس، لذلك أصدرت الأوامر للفرقة 21 بانزر ومعها عناصر من الفرقة 17 بانزر بمهاجمة الأمريكيين في سيدي بوزيد وسبيطلا لتحطيم حشودهم والقضاء عليها بقدر الإمكان، وفي الوقت ذاته تقوم مجموعة

قتال تابعة لجيشي بالقضاء على الحامية الأمريكية في قفصة.

وفي 14 فبراير، تحركت الفرقة 21 بانزر من رأس الجسر الذي احتلته في ممر فايد في هجوم ملتف حول الفرقة الثانية الأمريكية المدرعة، التي كانت تحتل منطقة سيدي بوزيد، وبعد تثبيت تشكيلات العدو بالمواجهة، قامت مجموعة مدرعة بالتقدم حول جنب الأمريكيين في القطاع الشمالي، بينما قامت مجموعة أخرى بالاندفاع إلى سيدي بوزيد لمهاجمتها من الخلف، وبذلك وضعنا العدو في موقف صعب للغاية من الناحية التكتيكية.

روميل يدمر المدرعات الأمريكية:

وقد تبع ذلك معركة عنيفة بين المدرعات، تمكن فيها رجالي المحنكون الذين خاضوا غمار مئات المعارك الصحراوية من تدمير الأمريكيين القليلي الخبرة، وفي وقت قصير كان عدد كبير من الدبابات الأمريكية من طراز جرانت ولي وشيرمان تحترق في ميدان المعركة، وهرب ما تبقى منها نحو الغرب.

في صباح السابع عشر من فبراير، احتلت الفرقة 21 بانزر مواقعها في مواجهة سبيطلا وأمكن التغلب على مقاومة العدو عند حلول المساء، وفي هذه الأيام القليلة خسرت الفرقة الثانية الأمريكية المدرعة 150 دبابة وأسرنا 1600 مقاتل، وكانت خسائر الفرقة 21 بانزر طفيفة للغاية.

وبعد نجاح الفرقة 21 بانزر في "سبيطلا"، قام الأمريكيون بسحب حاميتهم من قفصة ليل 14 فبراير، وبذلك استطاعت فئات من فيلق أفريقيا وسنتورا احتلال قفصة بعد الظهر من يوم 15 فبراير بدون قتال.

وقد قام الأمريكيون بنسف ذخيرتهم في القلعة دون أي إنذار للسكان المدنيين المقيمين بجوارها مما أدى لانهيار 30 منزلا فوق سكانها.

وفي هذه الأثناء، كانت فرقة قتال رئاستي تتحرك إلى الجنوب الغربي مزودة بتعليمات للوصول إلى مطلاوي، ونسف نفق السكة الحديدية هناك، وفي مطلاوي استولت على كمية ضخمة من البترول وعدد من عربات السكة الحديدية.

وقد استولى «ليبنشتاين» الذي أرسلته مع فرقة قتال فيلق أفريقيا إلى فريانة- 40 ميلًا شمالي غربي «قفصة» على هذا المركز الهام في 17 فبراير بعد أن تغلب على المقاومة الأمريكية العنيفة هناك، ثم انطلقت الفرقة بجرأة نحو تلبيته، حيث اضطر العدو لإضرام النار في حوالي 30 طائرة كانت موجودة في المطار.

وتحركت فرقة قتال فيلق أفريقيا على الفور إلى جنوب ممر قصرين، وتلقت الفرقة 21 بانزر أوامر بالاندفاع في وادي مجاور نحو «سيبية»، وحركنا وحدات من الفرقة 10 بانزر في أعقابها نحو «سبيطلا»، ومنها كان يمكن دفعها للاشتراك مع الفرقة 21 بانزر في «سيبية» أو مساندة مجموعة فيلق أفريقيا في قصرين تبعًا لتطورات الموقف.

وفي هذه الأثناء قام الحلفاء بتحريك كل القوات التي استطاعوا جمعها في شمال تونس إلى الجبهة المهددة في الجنوب الغربي.

وبينما كانت مجموعة فيلق أفريقيا تنتشر في المنطقة المحيطة بقصرين، دفعنا بالكتيبة 3 استطلاع للأمام في محاولة لاقتحام الممر، ولكن العدو قاتل بوحشية وفشلت المحاولة، وكانت الفرقة 34 الأمريكية تحتل هذا القطاع.

كما فشل هجوم بواسطة فرقة مشاة البانزر، بعد حصوله على نجاح مبدئي هو الآخر.

رومل يستخدم المدافع الصاروخية لأول مرة في أفريقيا:

في منتصف ليل 19 فبراير، استأنفنا الهجوم في قتال متلاحم عنيف، واستخدمنا المدافع الصاروخية لأول مرة في أفريقيا وأثبتت تأثيرها

الفعال للغاية، وأخيرًا تمكنا من الاستيلاء على الممر، وفي المساء اكتشفنا وجود تشكيل مدرع للعدو في الجانب الآخر للممر، ودفعت بمجموعة مدرعة عبر الممر على الفور، وقد دافع العدو وظهره للجبال، ثم قام رجال الآلاي 8 بانزر المحنكون بتدميره في وقت قصير، وتخلى العدو بعد مدة قصيرة عن دباباته وعرباته وحاول الهرب سيرًا على الأقدام عبر القباب.

ولتوقعي هجومًا معاكسًا من العدو في اليوم التالي قررت الاحتفاظ بقوات فيلق أفريقيا والفرقة 10 بانزر حول القصرين لكي نتمكن من اتخاذ الإجراءات المضادة اللازمة لأي هجوم مضاد للأعداء.

وفي خلال ليلة 20 فبراير تحركت قواتنا من قصرين شمالًا على الطريق المؤدي إلى «ثالا» ثم غربًا نحو «تيبية» لأن العدو قد انسحب.

وكانت الفرقة 10 بانزر تتقدم بسرعة عظيمة نحو «ثالا»، وفي طريقها اجتاحت سرية بريطانية مضادة للدبابات، وكانت تكون رأس الحربة لتشكيل مقترب وقد نجحت الفرقة 10 بانزر في الوصول إلى «ثالا» التي كان العدو يحتلها بالفعل.

وفي الصباح التالي ذهبت إلى «ثالا» فوجدت أن العدو قد أصبح على درجة من القوة لا تسمح لنا بالاستمرار في هجومنا، وبعد ذلك قابلت الفيلد مارشال «كسلرينج» الذي جاء إلى مقر قيادتي مع «ويستفال» و«شايدمان»، واتفقنا على أن استمرار الهجوم نحو «ليكيف» لا يمكن أن ينجح، وقررنا وقف الهجوم على مراحل.

وعليه سحبنا الفرقة 10 بانزر ومجموعة فيلق أفريقيا إلى قصرين أثناء الليل، حيث احتلت مواقع شمالي غربي الممر، أما الفرقة 22 بانزر فكانت باقية في «سبيبة»، ولكنها يجب أن تكون مستعدة لتلقي أوامر بتلغيم الطريق والانسحاب، وقد انسحبت آخر تشكيلاتنا خلف ممر

قصرين في يوم 23 فبراير، ومنذ منتصف هذا اليوم تعرضنا لقصف جوي عنيف بواسطة السلاح الجوي الأمريكي في منطقة (قربانة/ قصرين) على مستوى ونطاق لا يقل عن الهجمات التي تعرضنا لها في العلمين، واستمر الهجوم حتى حلول الظلام، وبذلك انتهت معركة سبيطلا- قصرين.

تولي رومل قيادة مجموعة جيوش أفريقيا:

وفي مساء يوم 23 فبراير، وصل أمر من القيادة العليا الإيطالية، يتضمن أنه نظرًا للظروف التي تتطلب وجود قيادة موحدة من تونس، ستشكل مجموعة جيوش أفريقيا تحت قيادتي. وفي 24 فبراير، عقدت اجتماعًا مع رئيس أركان الجيش الخامس لمناقشة خططه، وكانت خطة «فون أرنيم» تتضمن القيام بهجوم ملتف لتدمير قوات العدو المحتشدة في «مجاز الباب» 30 ميلًا غربي تونس، ووافقت على الخطة، ولكنني لم أوافق على باقي خططهم التي كانت تقضي بإخلاء سهل «بحاز الباب» بعد العملية والعودة إلى نقطة الابتداء، لأن هذه المنطقة كانت مثالية في ملاءمتها لحشد القوات الميكانيكية للهجوم على تونس، وعليه فقد كانت تعتبر مقتل جبهتنا.

وقد بدأ هجوم الجيش الخامس بانزر في 26 فبراير، وظهر الهجوم كما لو كان مفاجأة كاملة للعدو، وبهذا استطاع أن يحقق الاختراق بسهولة نسبية، ولكن بعد وقت قصير كان العدو يشن هجماته المضادة، وقد أدى المطر الذي انهال على الجبهة إلى عرقلة الهجوم بعض الشيء، لأنه أدى لصعوبة نقل أسلحتنا الثقيلة، واستمر الهجوم أيامًا أخرى عديدة، ولم يكن من الممكن أن يحقق أي نجاح كبير، وكانت خسائرنا أكبر نسبيًا من خسائر العدو، وبعدها بقليل أصدرت أوامري للجيش الخامس بإيقاف العملية الفاشلة في أقرب فرصة ممكنة، ولسوء الحظ أن الهجوم استمر بعد رحيلي عن أفريقيا تحت نفس الظروف.

قبل يوم 5 مارس بزمن قليل، هاجم «مونتجمري» القسم الجنوبي من حرس مؤخرة الفرقة 15 بانزر هادفًا تخفيف الضغط على الجبهة في تونس الغربية، ودار قتال عنيف طوال اليوم بين قواتي والمدرعات البريطانية المتفرقة للغاية، ولم تتمكن الفرقة من الاحتفاظ بطرق انسحابها مفتوحة إلا بصعوبة بالغة، وبالقيام بهجمات مضادة متكررة بما لديها من دبابات وعددها 20 دبابة فقط، ثم انسحبت الفرقة التي قاتلت ببسالة فائقة وراء خط النقط الخارجية لخط «ماريث»، مما أتاح «لمونتجمري» وسهل له التحرك إلى المنطقة التي كنا ننوي القتال فيها قبل الموعد الذي حددناه لهذا، وعليه فقد كان الوقت قد حان للتحرك. وكنتيجة لهجوم الجيش الخامس تأخر تحرك الفرقتين 10، 21 بانزر إلى «ماريث» عدة أيام مما أعطى «لمونتجمري» وقتًا إضافيًا لكي يدعم ويجهز دفاعاته في الأرض التي احتلها.

وكان الهجوم ضد الجيش الثامن في «مدينيين» محفوفًا بالصعاب، وليس هذا بسبب خبرة قوات «مونتجمري» العظيمة بالحرب فقط، وإنما أيضًا بسبب طبيعة الأرض التي لم توفر لنا سوى حلول تكتيكية محدودة وحرمتنا من المرونة، ولم يكن هناك أي نقطة نهاجم العدو فيها دون أن يكون في انتظارنا ويعلم تمامًا بجميع تحركاتنا.

ولقد وافقت على اقتراح الجنرال «ميسي»، الذي يقضي بانتشار فرقة بانزر على الطريق وفرقة أخرى وراء جبل «طباقة»، على أن نعبر الجبال بفرقة واحدة فقط، وحددنا تاريخ الهجوم بيوم 6 مارس.

وفي صباح يوم 6 مارس، كانت السماء مغيمة وأرض المعركة يغطيها الضباب، وفتحت المدفعية نيرانها، وانهالت قنابل المدافع الصاروخية على الوادي عند الأسفل، وكانت الفرقة 10 بانزر تحركت في هذه الأثناء عبر حلوف دون مقاومة من العدو.

وبدأ الهجوم بداية طيبة، ولكنه اصطدم بعدها بمواقع بريطانية قوية وفي أرض وعرة تحميها الألغام والمدافع المضادة للدبابات، وكان العدو قد أنشأ خطًا دفاعيًا قويًا بواجهة الجنوب الشرقي، وشننا الهجوم بعد الهجوم ولكننا لم نحقق أي نجاح، وفي المساء اضطررت لاتخاذ قراري بوقف العملية كلها.

النهاية في أفريقيا:

في نهاية فبراير، أصدرت تعليماتي للقائدين الجنرال «فون آرنيم» والجنرال «ميسي» لكي يحددا تقديرهم للموقف في تونس.

وبعد اطلاعي على تقريرهم، ونظرًا لخطورة الموقف، فإنني كنت أطالب بالوصول لقرار مبكر بخصوص الخطة المستقبلية للحملة في تونس، ويمكن أن نتوقع هجوم العدو في فترة اكتمال القمر التالية، وكان القرار بخصوص اقتراحي بطيئًا للغاية، ولكن بعد إرسالي استعجالات عديدة سمعت في النهاية من «كسلرينج» أن «الفوهور» لا يستطيع الموافقة على تقديري للموقف.

وفي صباح يوم 8 مارس، قررت أخيرًا الذهاب مرة أخرى إلى مقر قيادة «الفوهرر» للعمل على إنقاذ القوات، وقمت بتسليم قيادة مجموعة الجيوش للجنرال «فون آرنيم» في اليوم التالي، وفي يوم 9 مارس سافرت جوًا إلى روما.

ثم ذهبت مع «آمبروزير» و«ويستفال» إلى الدوتشي، وتحدثنا معه لمدة خمس وعشرين دقيقة، وقلت «لموسوليني» باختصار وبصراحة آرائي عن الموقف، وشرحت النتائج التي يجب أن نستخلصها من كل هذا، ولكنه هو أيضًا بدا مفتقرًا لأي إدراك للحقيقة في المواقف العصبية، وقضى الوقت كله في محاولة للبحث عن حجج ليبرر بها آراءه.

رومل يقابل هتلر في روسيا:

وفي عصر يوم 10 مارس، وصلت لمقر قيادة «الفوهرر» في مكان ما من روسيا، وفي نفس المساء تلقيت دعوة لتناول الشاي مع «هتلر»، وبهذا

تمكنت من التحدث معه على انفراد، وكان يبدو حزينًا ومنهارًا بسبب كارثة «ستالينغراد»، ولم يوافق على اقتراحاتي ورفضها كلها بقوله «إنني أصبحت متشائمًا»، وطالبت بشدة إعادة تسليح قواتنا الأفريقية في إيطاليا لكي نتمكن من الدفاع عن جنبنا الجنوبي الأوربي، بل إني وعدته بأني أضمن بهذه القوات هزيمة أي غزو للحلفاء لجنوب أوروبا، ولكن الأمر كله كان ميؤسًا منه، فقد أصدر لي تعليماته بالقيام بإجازة مرضية لمدة من الوقت أعالج بها نفسي حتى أستطيع قيادة العمليات في الدار البيضاء فيما بعد، ورفض طلبي بالاستمرار في قيادة مجموعة الجيوش لعدة أسابيع، وفي هذا الوقت كان سيتضح لنا هل سيقوم الأمريكيون بالهجوم من عدمه؟

ولكن «هتلر» أدرك مع كل هذا ضرورة سحب المشاة على الفور من «ماريث» إلى «قابس» والبدء في إنشاء خط قابس، وطرت عائدًا إلى «وبنر نيوستادت»، حيث ذهبت إلى «سمرينج» لأبدأ العلاج.

الإنجليز والأمريكان يهجمون في وقت واحد:

وكما توقعنا أرسل «مونتجمري» فيلقه العاشر المدرع ودفعه ضد قطاع «مانيرني»، ثم مهاجمة خط «ماريث» في الشمال، بينما تحرك الأمريكيون بحوالي فرقة مدرعة في نفس الوقت متقدمين من «قفصة».

وبالرغم من هذا، فقد استطعنا سحب الجيش من خط «ماريث» إلى «وادي العكاريت» مع احتفاظنا بالجزء الأكبر من قوته الضاربة، ولكن القوات لم يتوفر لها الوقت اللازم لتحتل مواقعها الجديدة، واستطاع «مونتجمري» أن يتغلغل بعمق في خطوطنا، وبذا أصبح غير ممكن البقاء في موقع العكاريت، وأصبح الإيطاليون من الناحية العملية غير موجودين على الإطلاق كقوات مقاتلة.

وفقدنا الجزء الأكبر من مدفعية الجيش الأول الإيطالي في خط

«ماريث» بدون أن نتدخل فعلًا لكي نغير من سير المعركة، وكانت الفرقة 10 بانزر قد نجحت في هذه الأثناء في إيقاف محاولة أمريكية للقيام باختراق نحو «قابس»، ولكنها دفعت ثمنًا فادحًا وانسحبت بقايا الجيش الأول مع الفرقة 10 بانزر إلى خط «انفيدافيل» الذي كنت قد أمرت بإنشائه حينما كنت في أفريقيا واستمر «آرنيم» في تنفيذ هذه العملية.

وأخيرًا وفي يوم 6 مايو، تقدم الأمريكيون لتوجيه الضربة القاضية في «مجاز الباب»، وتحت ستر غلالة زاحفة من نيران المدفعية وهجمات جوية عنيفة من قاذفات الحلفاء، اخترقوا خطوطنا بسرعة وبعمق وحولوا العملية إلى اختراق كامل بعد أن أبادوا الفرقة 15 بانزر بالكامل على وجه التقريب، وانهارت الجبهة ولم يعد هناك أي أسلحة ولا ذخائر، وانتهى الأمر واستسلم الجيش.

وكانت صدمة لي أن أعرف أن كل جنودي قد ذهبوا إلى معسكرات الأسرى، ولكن الصدمة الكبرى هي أنني علمت أن ما قمنا به كان مضغة في الأفواه، وكان هذا سيؤدي في المستقبل إلى عدم قدرة قيادتنا على مواجهة الأمور.

وفي اللحظة التي وضع فيها أول جندي من جنود الحلفاء قدمه على الأرض الإيطالية، انتهى "موسوليني»، وانتهى معه حلم إحياء الإمبراطورية الرومانية إلى الأبد.

****

الفصل السابع عشر
تعليـق عـلى الأحـداث

على الرغم من وضوح ما كتبه روميل في مذكراته عن فترة الحرب إلا أن تعليقات المقربين منه وعنه كانت هي الأخرى استكمالًا لتلك المذكرات.

يقول مانفريد روميل الأبن الأكبر لروميل والذي رافقه في حملاته.

في 10 مايو 1943، كانت الأزمة قد اشتدت على جميع الجبهات، فقد تم تدمير الجيش السادس بكامل قوته وهي 230 الف جندي ألماني، في خرائب «ستالينجراد»، وقد قتل 140 ألف منهم وأسر الباقي، وكانت كارثة مشابهة على وشك الوقوع في تونس لجيش آخر قوته 120 الف جندي ألماني.

وكان الموقف على هذا الشكل عند وصول والدي إلى مطار «تميلهوف» بعد ظهر يوم 10 مايو، وقد أخذوه على الفور إلى مقر قيادة «الفرهرر»، حيث قابل «هتلر» الذي كان شاحبًا وقلقًا وقد فقد ثقته بنفسه.

وقال «الفوهرر»: «كان يجب عليَّ أن آخذ بكلامك، ولكن أظن أن الوقت قد فات، وسينتهي كل شيء في تونس بعد وقت قليل».

وفي خلال أيام قليلة، أعلنت الصحف والإذاعة نبأ استسلام مجموعة جيوش أفريقيا. وكان والدي في صراع نفسي بين موضوعين، الموضوع الأول: كانت أوامر هتلر تدل على أنه رجل يريد أن يجر معه كل شعبه إلى أعماق الكارثة، والموضوع الثاني: أنه كان يوجد ثمانون مليونًا ألمانيًا يقاتلون للبقاء، لا ليضحي بهم دون معنى ومغزى تحت أنقاض منازلهم

المحترقة، ولكن في الأشهر الأخيرة من عام 1943، شعر والدي باقتراب الوقت الذي يجب أن يختار فيه بين الموضوعين.

وأعتقد أن والدي لم يتخذ قراره بإنهاء الحرب، ولو بالقيام بالثورة إلا بعد أن تلقى معلومات أوفى وأدق في الأشهر الأولى من عام 1944 تؤكد حدوث جرائم قتل بالجملة وتعطي فكرة عن مداها، ومنذ هذه اللحظة تحطم كل ولاء والدي «لهتلر» الذي كان في يوم من الأيام من أشد المعجبين به، وأجبر نفسه بعد علمه بجرائم «الفوهرر» على العمل ضده.

وقبل هذا التطورات في المجال السياسي، حدثت أمور عسكرية مهمة في إيطاليا، واستطاع والدي مشاهدة هذه الأحداث عن كثب في عام 1943، بالرغم من عدم قيامه بدور هام فيها.

وفي ليلة 9 يوليو، شنت قوات الحلفاء هجومها البرمائي على «صقلية»، ولم يقاوم الإيطاليون هذا الهجوم مقاومة جدية بالرغم من وجود حوالي 300 ألف مقاتل و1500 مدفع إيطالي في الجزيرة، ولذلك وقع عبء القتال منذ البداية على الفرقتين الألمانيتين الموجودتين في «صقلية»، وقد زيدت فيما بعد إلى أربعة، وفي نفس الوقت نشب الصراع على المسألة القديمة الخاصة بالسيطرة على القيادة بين الجيش والسلاح الجوي الألماني.

وفي مساء 15 يوليو 1943، عقد مؤتمر مع «الفوهرر» لتقدير الموقف، سيتولى الجنرال «هوبة» القيادة في «صقلية»، واقترح والدي أن يعمل الجنرال «باير لاين» كرئيس للأركان ووافق «الفوهرر».

الخسائر ضخمة في الدبابات الروسية في الميدان الشرقي، وقد أمكن إيقاف الاختراق في «بريانسك».

وفي مساء 16 يوليو، عقد اجتماع لتقدير الموقف مع «هتلر»، وصدرت الأوامر «لهوبة» بالهجوم، ونجح 300 رجل فقط من قوات

المظلات التي أرسلناها في شق طريقها إلى خطوطنا.

وعثر على وثيقة مع جثة مبعوث بريطاني ألقاها البحر على شاطئ أسبانيا، توضح أن هناك فكرة بالهجوم على اليونان، وقرر «هتلر» تعيين والدي قائدًا عامًا في الجنوب الشرقي، بحيث تشمل قيادته كل القوات الألمانية والإيطالية في هذا المسرح، ولكن بعدها بأربع وعشرين ساعة فقط طرأ تحول في الموقف تطلب استدعاء والدي على الفور.

في 23 يوليو، دارت مناقشات طويلة بين والدي و «الفوهرر»، وقد أمره بأن يعود فورًا ومعه كل التفاصيل عن الموقف في اليونان، وكانت القوات هناك تشمل بجانب الجيش الإيطالي الحادي عشر، فرقة مدرعة ألمانية واحدة، الفرقة 1 بانزر وثلاث فرق مشاة.

الانقلاب في إيطاليا وسقوط الدوتشي:

في 25 يوليو، غادر والدي "وينرنيوشتادت» بطريق الجو ووصل إلى «سالونيكا»، وعقد مؤتمرًا مع الكولونيل جنرال «لوهر» وقد لخص «لوهر» الموقف بأنه يعتمد كلية على الإمدادات، وبدا لوالدي أن هناك عملًا كثيرًا قبل أن يقرر أن اليونان أصبحت حصنًا، وقرر الطيران في الغد للتفتيش قبل استلام القيادة لاستطلاع الأرض.

وقد سمع خبرًا من القيادة العليا للقوات المسلحة قلب كل شيء، وهو أن الدوتشي معتقل، واستدعى والدي على الفور إلى مقر قيادة «الفوهرر»، وكان الموقف في إيطاليا غامضًا. في 28 يوليو 1943، كلف والدي بإجراء الاستعداد لدخول إيطاليا، على ألا يسمح له في الوقت الحاضر بعبور الحدود القديمة التي كانت قائمة في 1938.

وأكثر ما كان يخشاه والدي هو تحرك الإيطاليين فجأة بمساعدة قوات المظلات المتحالفة لإقفال الممرات والدفاع عنها حتى يحتل

الحلفاء إيطاليا كلها، ولكي يتأكد من عدم تحقيق هذا الاحتمال، أصدر أوامره للجنرال «فويرشتاين» بعبور ممر «برنير» واحتلال الممرات المهددة، أما هو شخصيًا فلم يسمح له بالدخول إلى الأراضي الإيطالية حسب تعليمات «هتلر» الشخصية.

ويقول الجنرال «فوبرشتاين» أنه قد حدث في الأول من أغسطس تطور محرج في الموقف في ممر «برنير»، وذلك عندما حاول الإيطاليون إيقاف تقدم الفرقة 44 مشاة، وقد أصدر الجنرال «جلوريا» أوامره بإطلاق النار لو حاولت الفرقة 44 استئناف تقدمها، ولم تقم الوحدات الإيطالية في ممر «برنير» بتنفيذ الأمر، واستمر تقدم الفرقة 44 في نظام، بينما انسحب الإيطاليون نحو الجنوب.

وأبلغت وحدات الاستطلاع الجنرال «فويرشتاين» عن وجود حشود قوية في المنطقة الممتدة من «فيرنا» إلى «بولزانو» عددها حوالي 60 ألف فرد.

في 9 أغسطس 1943، وصل الجنرال «فون فاينتجهوف» قادمًا من عند «الفوهرر» وسيتولى قيادة الفيلقين الموجودين عند جنوب إيطاليا، وينوي «الفوهرر» إخلاء جنوب إيطاليا. ومازال الإيطاليون يعارضون احتلال القوات الألمانية لممرات الألب، وهم يشعرون بعدم الثقة تجاهنا ولا يعترفون بأهمية خطوط المواصلات لنا، ونحن لا يمكننا أن نخاطر بأن نفاجأ في يوم بالقوات الإنجليزية والأمريكية أو الإيطالية وقد أقفلت هذه الممرات، لذلك لا نستطيع التخلي عنها.

وفي خلال الأسبوع الأول من سبتمبر، اندفعت قوات الحلفاء في «كالايريا» متقدمة إلى أن وصلت لنهر «سانجرو»، وفي 9 سبتمبر 1943 وهو اليوم الذي نزل فيه «إيزنهاور» على سواحل «ساليرنو»، عرفنا نبأ استسلام إيطاليا، وقد انتشر في جميع أرجاء المانيا.

في 21 نوفمبر 1943، ركب والدي طائرته من مطار «فيلافرانكا»، ليغادر إيطاليا إلى الأبد، ثم سافر لاستلام مهمة جديدة، وكان عائدًا إلى أرض «نورماندي» المغطاة بالتباب غير المستوية، وكان المقدر لها أن تكون مسرحًا لآخر هزائمه العسكرية.

وكتب «رومل» مذكرة ضمنها ما يلي:

لقد أتاحت لي الفرصة في الحملة التي دامت عامين في أفريقيا لاختيار أهمية الألغام في كل الحروب المختلفة وأصبحت معتادًا على الألغام التي يستخدمها العدو بكميات كبيرة، وكانت مواردنا قليلة في هذه الحملة، ولقد تعلمت قطعًا قيمة الأسلوب البريطاني في التلغيم على نطاق واسع.

وبالرغم من قيام «رومل» بجهود ضخمة لإتمام عمليات زرع الألغام، إلا أنها جاءت متأخرة عن الوقت الذي قد تكون فيه ذات تأثير كامل، ومع هذا فلو أن «هتلر» عهد «لرومل» بتنظيم الدفاع عن ساحل الأطلنطي والقتال الإنجليزي في صيف 1943، لأمكننا القول إن ألمانيا كانت ستكسب معركة الغزو.

وقد نظم «رومل» عملية إنتاج الألغام في فرنسا، حيث كانت توجد مواد أخذت من الغنائم تكفي لتجهيز 20 مليون لغم مضاد للأفراد.

وحتى يوم 20 مايو 1944 تم زرع 4.193.167 لغم على ساحل القنال الإنجليزي، وفي نفس هذه الفترة القصيرة تم إنتاج 1.852.820 لغم بناء على أوامر «رومل» أيضًا. وقد تصور «رومل» كيف ستتم عملية زرع حقول الألغام المذكورة، والمقتطفات التالية من المذكرة التي كتبها توضح ذلك:

سيصير زرع حقول ألغام عميقة بين الدبابات الثابتة والمنطقة حولها وحول مجموعات الاستحكامات وأوكار المقاومة، وهذه الحقول ستحتوي على ألغام من كل الأنواع، وأغلب الظن ستكون ذات تأثير كبير.

وإذا وضع العدو أقدامه على الأرض، فإن أي هجوم خلال حقول

الألغام على المواقع الدفاعية الموجودة داخلها ستكون عملية صعبة للغاية، إذ أنه سيضطر إلى شق طريقه عبر منطقة القتال تحت النيران الدفاعية التي تصبها عليه مدفعيتنا، وليس هذا على الساحل فقط، وإنما سيتم زرع حقول ألغام ضخمة حول مواقعنا في المناطق الخلفية، وأي قوات محمولة جوًا ستحاول اختراق مواقعنا من الوراء نحو الساحل ستصطدم أيضًا بمنطقة ملغمة أيضًا.

وفيما يتعلق بواجبات العوائق كتب «رومل» يقول:

منذ نهاية يناير، بدأ العمل في وضع العوائق أمام الشاطئ وعلى طول الساحل الأطلنطي، وقد شارفنا على الانتهاء بالفعل عند المراقع ذات الأهمية، والقصر من هذه العوائق المغمورة تحت الماء ليس فقط لوقف اقتراب العدو من الشاطئ، لأنه بالطبع سيستخدم في هجومه مئات القوارب وسفن الإنزال والعربات البرمائية والدبابات البرمائية المعزولة عن الماء- وكل هذا سيتم دائما في الظلام أو الضباب الصناعي، ولكن أيضًا لتدمير العدو ومعدات إنزاله.

والعوائق المذكورة تتألف من تشكيلة كبيرة مجهزة بالألغام والمتفجرات، وسنبذل كل مجهود لزراعتها بعمق وجعلها فعالة في جميع الحالات وكل مستويات المد والجزر. وقد لاحظنا أن التدريبات الإنجليزية الأمريكية الأخيرة قد صار توقيتها بحيث تتم بعد ساعتين من أقصى حد للجزر، وذلك بعد قيام المدفعية والقاذفات بمحاولة لتدمير موانع الشاطئ الهيكلية، ونحن نعلم شدة الصعوبة في تدمير موانع الأسلاك الشائكة بنيران المدفعية، لذلك، سيكون فتح ممر داخلي في هذا الحاجز من الموانع أصعب بكثير، وبذلك سيضطر العدو لاستخدام كميات كبيرة من الذخيرة والقنابل وسيحتاج إلى وقت كبير للاستعداد، ولو أن العدو نجح

بالفعل في تدمير هذه الموانع المغمورة في الماء، فنعرف على الأقل محور تقدمه الرئيسي ونستطيع بذلك تجهيز دفاعنا وإحضار قواتنا الاحتياطية، وكلما طال الوقت الذي يعطيه لنا العدو، كلما زادت قوة الموانع.

وتبعًا لخطاب الجنرال «مايزة» بتاريخ 17 مايو 1944، كان المفروض إقامة أربعة أحزمة من الموانع تحت الماء، وقد وصفها كما يلي:

- حزام في ست أقدام من الماء لأقصى حالات المد.
- حزام في ست أقدام من الماء لنصف المد الذي أقصاه اثنا عشر قدمًا.
- حزام في ست أقدام من الماء في أقصى حالات الجزر.
- حزام في اثني عشر قدمًا من الماء في أقصى حالات الجزر.

وبحلول يوم الغزو، كان أول حزامين قد تما في أغلب القطاعات وخاصة في «نورماندي»، ولكن لم يتهيأ الوقت الكافي لوضع الحزامين الآخرين السفليين، بالرغم من قيام «رومل» باستعدادات ضخمة لإقامتهما.

3 - الموانع ضد الإنزال الجوي:

وهنا يشرح «رومل» أيضًا هدف الخطة وأسلوب التنفيذ قائلاً:

أبدأ الآن في الكلام عن التأمين ضد القوات المنقولة جوًا، ومن الممكن أن يستخدم العدو كل ما لديه للحصول على نصر سريع وتأمين كبير وتثبيت أقدامه عند أي مركز على الساحل، وتمتلك دول الأعداء عددًا كبيرًا من التشكيلات القوية المنقولة جوًا والمدربة تدريبًا عاليًا، وعلينا أن نكون مستعدين لاستخدام هذه القوات ضد مناطق الدفاع الساحلي، إما في هجوم مفاجئ أو بعد قصف جوي شديد قصير، وربما أسقط العدو قوات المظليين في أعداد كبيرة للغاية في ضوء القمر أو عند الفجر أو عند آخر ضوء، إما على الساحل وإما على بعد عدة أميال داخل الأرض أو ربما أسقط قوات محمولة جوًا في مجموعات فرق

في طائرات شراعية ذات حمولات كبيرة وراء جبهتنا الساحلية ليحاول اختراق الدفاع من الخلف، كما أنه من الممكن أن ينزل العدو تشكيلاته المنقولة جوًا داخل الأرض على مسافة كبيرة ليستخدمها في عمليات استراتيجية، أو ربما وزعها في مجموعات قتال صغيرة داخل فرنسا كلها لإحداث تعبئة سريعة للجيش السري الفرنسي، ولكن طالما سيستمر احتلالنا للشاطئ، فأغلب الظن أننا سنتمكن من إبادة القوات المنقولة جوًا، سواء كانت مستخدمة في عمليات استراتيجية أو تشكيلات ملقاة في مجموعات وراء جبهتنا داخل الأرض.

ولذلك فإن الشيء المهم هو التأكيد من أن كل المناطق المعرضة لإنزال القوات المحمولة جوًا، تجهز بحيث تتحطم فيها طائرات العدو وسابحاته الشراعية أثناء نزولها، وبذلك سننزل بالعدو خسائر فادحة في الرجال والعتاد، بالإضافة إلى الخسائر التي يتكبدها العدو بسبب نيراننا المدفعية، وستقوم كل الفرق باتخاذ الخطوات اللازمة في أقل وقت ممكن لتجهيز المنطقة بين جبهتي الأرض والبحر بطريقة كاملة.

يـوم الغـزو:

كانت ليلة 5 يونيو مظلمة، ولم يخترق القمر السحب المنخفضة إلا قليلًا ليشع ضوءه على ساحل نورماندي، وكانت الحرس في المواقع الدفاعية المنعزلة تزرع مناطق حراستها جيئة وذهابًا في هدوء.

وبعد حلول الظلام بوقت قصير، سمع هدير القاذفات المتحالفة، ثم أخذت القنابل المتفجرة تنهال على نقط مختلفة على طول الساحل، ولم يكن القذف الليلي أمرًا نادرًا في «نورماندي»، ولكنه في هذه الليلة زاد تدريجيًا بمرور الساعات، وأخيرًا لدرجة لم يسبق لها مثيل في شدتها، وتبع ذلك مرور تشكيلات ضخمة بعد منتصف الليل، وفجأة

أضيئت مساحات ضخمة بالمشاعل التي ألقتها الطائرات الكاشفة، وقد بدأ آلاف من رجال المظلات في النزول في مناطق كثيرة، وفي نفس الوقت بدأت مئات من الطائرات الشراعية في النزول بهدوء وهي محملة بالمدافع والعربات والرجال. وفي وقت قليل بلغت المعركة الأرضية درجة كبيرة من الشدة، لأن رجال مظلات الحلفاء تقدموا على الفور نحو الساحل لاختراق الدفاعات الساحلية، وبعد قليل سقط أول الجنود في المعركة التي كانت ستحدد مصير الرايخ الألماني.

وكانت محطات الرادار في خليج «نهر السين» قد توقفت عن العمل لتعرضها للضرب الجوي منذ أيام عدة، وبسبب سوء الأحوال الجوية لم يقم السلاح الجوي الألماني بطلعات استطلاعية على القتال، مما أدى أن ظلت القيادة الألمانية على جهلها بعبور الجيوش الضخمة للحلفاء لهذا القتال، وقد مرت هذه القوات بسفن الحراسة الألمانية منذ عشر ساعات دون أن تشعر بها، ثم قامت باتخاذ تشكيلها في خليج «السين».

وأخذت القذائف تتوالى، ثم فتحت مدافع ست بوارج وثلاثة وعشرين طرادًا و 140 مدمرة نيرانها بشكل لم يسبق له مثيل، بينما توالت أسراب القاذفات المتحالفة بإلقاء حمولتها من القنابل على نورماندي باستمرار، وقامت قوات الفدائيين الأمريكيين والبريطانيين تحت ستر نيران سفنهم الحربية بالاقتراب من الشاطئ وقفزوا من سفنهم الصغيرة المدرعة، وبدئوا في تدمير دفاعاتنا الساحلية التي كشفها الجزر، وبعد هذا بقليل انطلق عدد كبير من زوارق الإنزال نحو الساحل.

وبدأ الجنود الألمان الذين نجوا من ها الجحيم في التعامل مع العدو متجاهلين هذه العاصفة من النيران حتى سقط أغلبهم أو دمرت أسلحتهم، بل وفي بعض النقط نجحوا في منع الإنزال بالرغم من أن

الجزء الأكبر من الخط قليل العمق غير المحتل بقوة كان من الصعب الصمود فيه. وتحركت المشاة الأمريكية والبريطانية من الشاطئ وتغلغلت بين المواقع الدفاعية المنعزلة، واتصلت قوات المظلات التي نزلت خلف الجبهة في عدة نقاط، ووصلت الدبابات البريطانية، التي نزلت من السفن إلى الساحل، مما مكن المشاة من القيام بهجمات رئيسية بعد تدعيمها بقوة من المدرعات لم يكن لدى الألمان أي وسائل دفاعية لمقاومتها، إلا بعض الألغام وعدة قواذف صاروخية، وبعض المدافع القليلة المضادة للدبابات.

واستخدمت الفرق احتياطها المحدود على الفور في النقط المهددة ونجحت في كل مرة ألقت فيها بهذا الاحتياطي في فترة الإنزال، ولكن القولات المتحركة تعرضت باستمرار لهجوم حشود من القاذفات المقاتلة، وفي وقت قصير كان الاحتياطي كله مشتبكًا ولم تعد هناك أي قوات متيسرة، وبدأت الجبهة في الانهيار في عدة نقط، وفي فترة العصر وضح نجاح عملية إنزال الحلفاء.

وكان التشكيل المدرع الوحيد المتمركز بالقرب من شاطئ الغزو هو الفرقة 21 بانزر تحت قيادة الفريق «فوختبنجر» وكانت بالقرب من كان، وفي صباح يوم 6 يونيو قام «فوختبنجر» بتشكيل جزء من الفرقة للقيام بهجوم مضاد شرقي نهر «الأورن» ضد رجال المظلات البريطانية، وكانت قواته تتحرك بالفعل نحو مناطق تجمعها عندما وصل أمر من الجيش السابع يأمر الفرقة القيام بهجومها المضاد على الضفة الغربية من نهر «الأرون»، وعلى الفور بدل «فوخنبنجر» أوامره على هذا الأساس ولكن ضاع وقت ثمين، ولم يقم بالهجوم غربي نهر «الأورن» إلا مجموعة قتال واحدة ولكنها نجحت بالفعل في شق طريقها إلى الساحل، وقد قام القائد البريطاني في

مواجهة هذا الخطر بإنزال قوات المظلات في مؤخرة المجموعة وإجبارها على وقف الهجوم والانسحاب لكي نتفادى تطويقها من العدو.

وعليه ففي ليلة 6 يونيو لم يكن الموقف مشجعًا على الإطلاق، فعلى يمين الجبهة الألمانية استطاع البريطانيون إقامة رأس جسر عرضه 20 ميلًا ويتراوح عمقه بين ثلاثة وستة أميال، وعلى يسارها نجح الأمريكيون في تثبيت أقدامهم في منطقتين، ولكن الأرض الواقعة بينهما ظلت في قبضة الألمان وأمكن إيقاف التغلغل الإنجليزي الأمريكي، ولكن كل الاحتياطي المتيسر قد استخدم في المعركة، وظل القادة يترقبون بلهفة وصول القوات المدرعة للقيام بهجوم مضاد لإلقاء العدو في البحر مرة أخرى، ولكن لم يصل شيء وكانت الذخيرة تتناقص، مما اضطرنا لفرض قيود على استهلاكها على طول الجبهة، وبدأ الشعور باليأس ينتشر بين الضباط الذين ظلوا على قيد الحياة، وهو شعور كان في النهاية سيسود الجميع خلال المعركة.

وقد قام الجنرال «شبايدل» رئيس أركان حرب «رومل»، باستدعاء «رومل» إلى «فرنسا» على الفور. وأثناء معركة الغزو انعقد اجتماعان بين «هتلر» «وفون رونشتدت» و«رومل»، أولهما في 17 يونيو 1944 قرب «سواسون»، وقد افتتح «رومل» الاجتماع بتقديم تقرير عن الموقف وصف فيه مدى استحالة التصرف وسوء الظروف التي يقاتل فيها الجندي الألماني مكرهًا، وطلب من «هتلر» أن يذهب إلى الجبهة ليكوِّن صورة صحيحة عن الموقف بنفسه ويتحدث إلى القادة الميدانيين مباشرة.

وقد حذر القائد العام لمجموعة الجيوش (ب) من القيام بأي عمليات في الجبهة بواسطة الهجوم لأن هذا سيستهلك قوة فرق البانزر، واقترح وضع فرق من المشاة في قطاع نهر «الأورن»، وتظل حاليًا فرق البانزر

القريبة غربي كان مع تجميع قوات احتياطية على الأجناب، وبعد الانتهاء من سير الاقتراب، تتم عملية انسحاب محدودة نحو الجنوب بغرض توجيه ضربة مدرعة إلى جنب العدو المتقدم في أعقاب هذا الانسحاب، وبذلك نخوض المعركة خارج مرمى مدفعية العدو البحرية.

الصمود بعناد في كل شبر من الأرض:

وفي صباح اليوم الثاني بعد سقوط إحدى قنابل الطائرات الضالة بالقرب من مقر قيادة «هتلر» قفل عائدًا إلى ألمانيا تاركًا الجبهة الغربية مع مصيرها، ولم يتم شيء من العملية التي اقترحها «رومل»، وإنما قيل إن النصر يمكن تحقيقه فقط، بالصمود بعناد في كل شبر من الأرض.

وأخيرًا في 29 يونيو 1944، ذهب «فون رونشتدت» و«رومل» مرة ثانية إلى «هتلر»، وتقابلا هذه المرة في «برختسجادن» للاطلاع على آراء القيادة العليا بالنسبة للموقف في جبهة الغزو، وقام بعد ذلك «فون رونشتدت» و«رومل» بإعطاء رأيهما عن الموقف.

ثم سأل «رومل» «هتلر» كيف تتخيل بعد كل هذا أن الحرب يمكن كسبها؟ ونتيجة لهذا السؤال توقع المارشالان إعفاءهما من منصبيهما، ولكن من الغريب أن «رومل» بقي في قيادته، ولم يستدع سوى «رونشتدت»، الذي حل محله الفيلد مارشال «فون كلوجه».

وفي مقر قيادة «الفوهرر»، قام كل من «هتلر» و«جودل» و«كتيل» بتحذير «كلوجه» من «رومل» لكونه مستبدًا برأيه وداعية للهزيمة ومتمرد، ويضاف إلى هذا أن الموقف العسكري قد صور «لفون كلوجه» على أساس أنه غير خطير.

وعندما تفقد «كلوجه» الجبهة في نورماندي غير رأيه تمامًا، كما اعترف بصحة التقارير التي بعث بها «رومل» لمقر قيادة «الفوهرر» في نهاية يونيو.

وفي 17 يوليو، جرح «رومل» جرحًا بواسطة طائرة معادية بالقرب من

«ليفاروت»، وقبل هذا الحادث بوقت قصير بعث «رومل» إلى «هتلر» بتقريره الأخير موضحًا موقفه وآراءه حتى لا يقال إنه طعن أحدًا من الخلف.

مونتجمري يقوم بحركة كماشة:

وأكدت الأحداث السريعة كلام «رومل» وتحذيره من حدوث اختراق لجبهة الجيش السابع، فبينما قام «مونتجمري» بحركة كماشة في منطقة (كان)، زاد الضغط يوميًا في قطاع «سانت لو»، وقد توقعت قيادة مجموعة الجيوش (ب) هجوم الحلفاء من هذا القطاع ولذا حركت فرقة بانزر ليهر التي كانت تحت قيادة الجنرال «باير لاين»، إلى هناك من أمام القطاع البريطاني.

وفي حوالي 23 يوليو، كانت القوات الأمريكية قد وصلت لنقط وثوب ملائمة لهجومها واستولت على «سانت لو»، وكانت فرقة بانزر ليهر تحتل قطاعًا مواجهته ستة آلاف ياردة غرب المدينة.

وفي 24 يوليو، هاجمت 400 قاذفة أمريكية قطاعنا ولكنها لم تسبب خسائر بل نجحت كتيبة مدفعيتنا المضادة للطائرات في إسقاط عشرة منها، ولم يبدأ الهجوم الأرضي الذي كنا نتوقعه، ولكن في اليوم التالي وقعت أشد الضربات الجوية التي وجهها الحلفاء بقواتهم الجوية في المجال التكتيكي أثناء الحرب كلها، وأبيدت الوحدات التي تحتل الجبهة تقريبًا، وذلك بالرغم من تعزيزها في أغلب الحالات بأفضل وأحدث أنواع الدبابات والمدافع المضادة للدبابات والمدافع الذاتية الحركة.

وانهالت القنابل في كل مكان، ودمرت مواقع المدفعية، ودفنت الدبابات وانقلبت ودمرت مواقع المشاة ودمرت الطرق والمدقات، وفي منتصف اليوم كانت الأرض كالقبور، حيث تلامست فوهات الحفر التي أحدثتها القنابل، ولم يكن هناك أي أمل في إخراج أي سلاح من أسلحتنا المدفونة في هذه القبور.

وقطعت كل وسائل الاتصال، ولم يعد من الممكن السيطرة على الوحدات، وفي نفس الوقت الذي ضربت فيه الطائرات مواقعنا، قام عدد ضخم من المدافع الأمريكية بدق مواقعنا الميدانية، وحاولت بعض القوات الاحتياطية الضعيفة في قطاعات أخرى إيقاف هذا السيل بهجمات مضادة، ولكن محاولتها تحطمت بواسطة طيران العدو ومدفعيته في مرحلة تشكيلها ولم تصل لنتيجة، وفي صباح اليوم التالي كان الاختراق الأمريكي قد تم بالفعل.

واستمر الأمريكيون طوال الصباح في تقدمهم جنوبًا مستخدمين فرق المشاة التي تساندها القاذفات المقاتلة، وفي فترة بعد العصر وصلت حشود دباباتهم لتقود التقدم، وفي خلال تحركهم اجتاحوا آخر ما تبقى من فرقتي التي كانت قد انسحبت مع قيادة الفرقة نحو الجنوب.

وكان الأمريكيون يقومون باجتياح الأرض المفتوحة، وكان لا يمكن إيقافهم كما تنبأ «رومل» بالضبط، وبعد أن تحولوا غربًا إلى «كوتانس» طوقوا قواتنا الموجودة في شبه جزيرة «كوتنتان» وأبادوها محدثين ثغرة ضخمة في الجبهة الألمانية، حيث انطلق «باتون» عبرها إلى قلب فرنسا، وكانت هذه بداية النهاية وتحطم هجومنا على «آفرانس»، وكانت القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية قد وضعت هذه الخطة لعزل جيش «باتون»، ولكن القوات الأمريكية والإنجليزية حكمت قواتنا في مناطق تجمعها ولم تسمح لها حتى البدء في العملية، ولولا تدخل السلاحين الجويين الأمريكي والبريطاني لكان من الممكن لهذا الهجوم أن يبدأ قبل هذا بوقت طويل وكان سينتهي بنصر حاسم.

وقد كان هذا هو رأي «رومل» ومعظم ضباطه الكبار، فلم نخسر هذه المعركة إلا بسبب السيادة الجوية المطلقة التي كان الحلفاء يتمتعون بها.

وكانت المسئوليات التي تحملها «رومل» والقادة والمسئولون الآخرون خلال معركة الغزو جسيمة للغاية، لأن المصير النهائي للشعب الألماني كان سيتحدد على هذه الجبهة، فهناك كان سيتقرر ما إذا كانت الحشود السوفيتية ستقوم بعمل استعراض لقواتها في برلين أم لا، وهناك سيقرر أيضا هل ستنجو آخر المدن الألمانية أم تتحول إلى تراب ورماد؟

الفصل الثامن عشر

الأفــق المظـــلم

يقول رومل في هذا الجزء من مذكراته: كان الاستسلام في تونس هو نهاية حملة شمال أفريقيا، وكما حدث في «ستالينجراد» فإن تأثير «جورنج» الهدام كان هو السبب في القضاء على مجموعة الجيوش هناك، ونتج عن هذا وقوع مائة وثلاثين ألفًا من الجنود الألمان ومن ضمنهم رجالي الذين لم يكن من الممكن إيجاد من يحل محلهم، وكنا محتاجين لهم جميعًا بشدة في الدفاع عن جنوب أوروبا ضد الحلفاء.

وقد حسم الحرب في شمال أفريقيا تفوق التسلح الأنجلو- أمريكي، وفي الواقع أنه منذ دخول أمريكا الحرب أصبح أملنا في النصر النهائي ضئيلًا، وكان الأمل ما يزال يلوح طالما استمرت غواصاتنا في فرض سيطرتها على المحيط الأطلنطي، لأنه مهما كان إنتاج أمريكا ضخمًا في الدبابات والمدافع والعربات، فإنه لا يفيدها بشيء ما لم تستطع نقله عبر البحر، ولكن معركة الأطلنطي التي في الغالب حسمت الحرب ضاعت منا، وخسرنا خسارات فادحة في الغواصات، وكان كل الباقي متوقفًا على هذا الموضوع وأصبحنا معرضين للهزيمة في أي مكان تستطيع الأساطيل البحرية الأنجلو أمريكية الوصول إليه.

ويضاف إلى هذا أنه في أي غزو انجلو أمريكي، كان العامل الأساسي هو قدرة الغزاة على تطهير رأس كوبري بعمق يكفي لإنزال كل عنادهم فيه دون تدخل من جانبنا، وبمجرد نجاحهم في هذا لا يعد أمامنا أي فرصة في الحصول على النصر.

ولكن الحلفاء لن يستطيعوا إنزال عشرين فرقة بكل أسلحتها واحتياجاتها على ساحل مدافع عنه، علاوة على أنهم سيحتاجون لبعض الوقت ليحضروها الواحدة بعد الأخرى، وعليه ففي أي عمليات برمائية تكون الأيام حاسمة.

ومن كل هذا نخرج بأنه توجد طريقتان للقضاء على الإنزال وهي:

أ- إيجاد تركيز للقوى في المنطقة المعرضة للخطر في الأيام القليلة الأولى وإلقاء العدو في البحر.

ب- مد الفترة الحرجة للغزو لوقت يكفي لحشد القوات اللازمة لضربة مضادة أو بمعنى آخر تعزيز وتقوية القوات التي تدافع محليًا في منطقة الإنزال، بحيث تتمكن من منع العدو من توسيع رأس الجسر أثناء الأيام القليلة الأولى.

وحيث أن قواتنا الموجودة في فرنسا لم تكن بالدرجة الكافية لتنفيذ الطريقتين معا، فقد كنا مضطرين لاختيار أحد الطريقتين، فإما أن نقوي دفاعاتنا على الساحل في المناطق المهددة بسحب أجزاء من الاحتياطي الاستراتيجي، أو نكون احتياطي استراتيجي قوي بسحب قوات من دفاعاتنا الساحلية.

وقد وضع الفيلد مارشال «رونشتدت» خطته على أساس مواجهة أي خطة وأي إجراء معاد، وذلك بوضع قواته المدرعة والمحملة في فرنسا الوسطى بحيث يمكن إرسالها من هناك إلى ميدان المعركة لتحقيق تفوق محلي ضخم خلال اليوم الأول أو اليومين الأولين للغزو، وهذه الخطة بالرغم من أنها أضعفت قوات الدفاع الساحلية إلا أنها كانت صحيحة في الظروف العادية وكانت نسبتها في النجاح 100%.

ولكن الفيلد مارشال «فون رونشتدت» لم يكن لديه أي فكرة عن مدى التفوق الجوي للحلفاء، أو عن القيود التي سيفرضها هذا التفوق علينا تكتيكيًا أو استراتيجيًا.

وبما أن القوات الساحلية ضعيفة، فيجب إتمام سير الاقتراب لهذا

العدد الكبير من الفرق المدرعة والمحملة في أسرع وقت ممكن، ويجب الارتباط بالجداول الزمنية الموضوعة بمنتهى الصرامة، ومن واقع خبرتي في أفريقيا، كنت أشك في إمكان تنفيذ مثل هذه العملية في الوقت المحدد.

وعليه فقد وجهت اهتمام الفيلد مارشال «فون رونشتدت» لهذه النقاط بالذات:

أ- ستقوم القاذفات المقاتلة الحليفة بتغطية طرق الاقتراب نهارًا وباستخدام المشاعل ليلًا لإيقاف أي تحركات عليها.

ب- ستقوم أسراب القاذفات المتحالفة بتدمير كل الجسور بل والمدن أيضًا لو وجدت أنها بهذا تغلق طرق الاقتراب لعدة أيام، وهذا سيؤدي أن الطرق الهامة لن نستطع استخدامها.

جـ- ستتكبد القوات المحملة خسائر فادحة أثناء تحركها من الضرب الجوي.

د- سيستحيل تبعًا لهذا المحافظة على جداول التحرك الزمنية، وسنضطر لإعادة التنظيم بالكامل، وبالطبع فمن السهل نسبيًا إعادة تجميع فرقتين أو ثلاث، ولكن إعادة تنظيم سير اقتراب لعشر فرق، فالأمر يختلف تمام الاختلاف وخاصة إذا لم يكن الرجال معتادين على الابتكار والتصرف التلقائي.

هـ- ستمر عشرة أيام أو أسبوعان قبل أن تصل القوة الضاربة إلى ميدان المعركة، ثم يعاد تجميعها للعمليات بعد ذلك، وخلال هذه الفترة سيتمكن الأمريكيون من التغلب على قوات الدفاع الساحلية الضعيفة التي تقاتل دون معاونة من المدرعات ثم يتم الاندفاع للداخل، وبمجرد حدوث هذا فإن هجوم قواتنا الضاربة، التي ستكون معرضة للضرب أثناء تحركها بواسطة قوات العدو الجوية، سيصبح عديم الجدوى، وبالطبع يمكن سحب عدة تشكيلات وبعثها للجبهة بسرعة، وسيتم ذلك

بتحركات كبيرة مجهدة، ولكن هذا سيقضي على فكرة الحشد الهجومي الموحد وهو أساس خطة «رونشتدت» الدفاعية.

خطة روِمل للدفاع عن الساحل الفرنسي:

وعليه فقد التزمت خطتي التي لا يمكن اعتبارها أكثر من حل وسط، وكانت النقطة الأولى تتضمن تحصين الشاطئ لأقصى درجة بأن تحتل المشاة مواقعها على الساحل، وتنتشر الدبابات خلفها عن قرب بحيث يمكن استخدام مدافعها للضرب على الساحل أيضًا، وقررت وضع أقوى القوات في الأماكن المهددة.

ولسوء الحظ لم يحصن الساحل في الوقت المتيسر بالدرجة المطلوبة بالرغم من أننا فعلنا كل ما بوسعنا للإسراع في التنفيذ، ويضاف إلى هذا أنه لا قيادة «الفوهرر» ولا القائد العام للجبهة الغربية كانا مستعدين لإدراك الخطر الموجه لنورماندي، لأن الاثنين كانا يظنان أن الإمكانيات الاستراتيجية في «كاليه» ستدفع العدو للنزول هناك بالفعل، وكان يتوقف تحقيق خطط العدو الاستراتيجية على نجاح عمليات الإنزال نفسها، وقد كان نجاحها غير متوقع في منطقة «كاليه»، لذلك كان النجاح محتملًا في نورماندي لقلة تحصين الساحل هناك، ولذا فإن اهتمامهم أساسًا كان موجها لنجاح عملية الإنزال نفسها، أما الأهمية الاستراتيجية «لكاليه» بالنسبة لنورماندي، فقد كان هذا الموضوع أقل أهمية، فقد كان لدى الحلفاء الوقت والعتاد اللازمين.

وبذا حدث أن المطلبين الذين تقدمت بهما وهما تلغيم «خليج السين» وإرسال قوات تتكون من عدة فرق بانزر وفيلق مضاد للطائرات ولواء صواريخ وقوات مظلات إلى نورماندي، لم يجابا قبل الغزو، ولهذا وضعنا في موقف سيئ منذ البداية.

مع هذا فإنني متأكد أنه حتى لو توفرت لنا هذه القوات في أماكن الإنزال، فإننا سنخسر المعركة لأن هجماتنا المضادة كانت ستتحطم أمام مدافع الحلفاء البحرية وقواتهم الجوية، كما أن مدفعيتنا ولواءنا الصاروخي كانت ستدمر الواحدة تلو الأخرى من قصف الحلفاء التمهيدي المخيف.

يضاف إلى هذا، أننا كنا نفتقر إلى التلغيم واسع النطاق وللإنشاءات الكبيرة للعوائق تحت الماء التي كنا قد خططنا لها، فلن يتوفر لنا سوى وقت قليل، كما أن الدمار الواسع النطاق الناتج عن قصف الحلفاء الجوي لوسائل المواصلات وخاصة في نورماندي، قبل حدوث الغزو لم يسهل لنا تنفيذ مشروعاتنا.

وأخيرًا فقد اتضح لنا أن أي حل وسط لا يمكن أن يعوض التفوق المادي الضخم في المدفعية والسلاح الجوي.

وبالنسبة للمواضع الباقية، فإن نلوءاتي بالنسبة لتحركات قواتنا المحملة للجبهة قد تحققت، فبعد أيام من التحرك وأغلبها كان في فترة الليل فقط، وصلت الفرق للجبهة بعد أن تكبدت خسائر فادحة في الطريق.

الأهمية الاستراتيجية للمسرح الأفريقي والشرق الأوسط:

إن الخسارة الكبرى الحقيقية كانت في شمالي أفريقيا، وهذا يعود إلى فشل سلطاتنا العليا في تقدير القيمة الاستراتيجية الحقيقية لمسرح العمليات الأفريقي، وقد انتهت هذه الأخطاء المخيفة باستسلام قوات المحور في تونس.

فلمدة سنوات عديدة، بقي الشرق الأدنى لا تحتله سوى قوات بريطانية ضئيلة نسبيًا لم تزد مطلقًا حتى في أكبر توسع لها عن 12 فرقة، وقد أنزلت هزائم ساحقة بهذه الفرق مرارًا، ومع ذلك فإن قوات المحور لم تبلغ درجة من القوة تؤهلها لاستغلال النجاح استراتيجيًا، وكانت مجموعة الجيوش البريطانية في الشرق الأدنى تعتبر الدرع الوحيد

للأراضي الشاسعة التي كانت ذات أهمية للحلفاء كما سيظهر فيما يلي:

أ- قناة السويس ومصر وأفريقيا الشرقية، واعتبرت قناة السويس نفسها ذات أهمية استراتيجية في الحرب أقل مما هو شائع عنها، لأن إيطاليا تمكنت من غلق البحر المتوسط عند صقلية.

ب- سوريا والعراق وإيران، وكان هناك ثلاثة عوامل لأهمية هذه المنطقة للحلفاء:

1 - استخرجت العراق وإيران سويًا في عام 1939 حوالي 15 مليون طن من البترول، بالمقارنة بإنتاج رومانيا وهو 6.5 مليون طن، والاستيلاء على هذه المنطقة كان سيمكنا من تحميل جزء أكبر من جيوشنا، مما سيخلق الظروف للانتصار في سهولة على روسيا الشاسعة، كما أننا سنستطيع زيادة قواتنا الجوية بدرجة أكبر مع استخدامها بقدر أكبر من الحرية.

2 - كان السيل الأكبر من العتاد والأسلحة الأمريكية المخصصة لمساعدة روسيا يمر عبر طريق البصرة في الخليج العربي، واحتلال المحور لهذه المنطقة كان سيؤدي لتوجيه القوافل البحرية الأمريكية إلى «مورمانسك»، وهذا الطريق تعرض فيه الأمريكيون لأخطار جسيمة حتى بداية عام 1943 من الغواصات والطائرات الألمانية، لاضطرارهم للمرور بالقرب من ساحل النرويج.

3 - لو نجحت قوات المحور في الاستيلاء على ساحل البحر المتوسط كله والعراق، لهيأت لها قاعدة ارتكاز للهجوم على الجبهة الروسية، وبذلك تفقد بريطانيا قدرتها على التدخل في التحركات الألمانية الإيطالية عبر البحر المتوسط أو تهددها، وبذلك تنتهي أي صعوبات متعلقة بالإمداد والتموين.

*** هل كان هناك حل لانتصار المحور في أفريقيا؟**

وأهم الأسئلة التي تعرضنا لها بالنسبة للحرب في أفريقيا هي:

هل كان من الممكن، بتوزيع أفضل للقوات الألمانية، الحصول على السيطرة الجوية على البحر المتوسط، مما يؤدي إلى تأمين خطوط مواصلات جيوش المحور في شمال أفريقيا؟

وسؤال ثان لا يقل أهمية عن الأول هو:

هل كان من الممكن مرة أخرى بتوزيع أفضل للقوات الألمانية في مجموعها الموجودة في جميع ميادين القتال، إيجاد تشكيلات ميكانيكية من قطاعات أقل أهمية لإرسالها إلى شمال أفريقيا؟

إن مصاعبنا الإدارية كانت أسهل بكثير في الحقيقة من مصاعب البريطانيين في نفس المجال، لأنهم كان عليهم نقل كل احتياجاتهم عن طريق بحري طوله 12 الف ميل حول رأس الرجاء الصالح.

والخطوات التالية كانت ستحقق كل ما يلزم من القوات كافية لشمال أفريقيا مع تأمين نقلها إلى ليبيا ثم إمدادها فيما بعد.

أ- إيجاد حشد جوي مناسب في منطقة البحر المتوسط بتحريك تشكيلات من السلاح الجوي الألماني من فرنسا والنرويج والدنمارك.

ب- نقل التشكيلات المدرعة والمحملة التي كانت موجودة بدون عمل في فرنسا وألمانيا إلى مسرح العمليات في شمال أفريقيا.

ج- كان يجب مهاجمة مالطة والاستيلاء عليها.

د- تعيين رجل واحد يكون مسئولًا عن الإمداد والتموين ويتمتع بسلطات مطلقة لعمليات الشئون الإدارية وحمايتها، وكان يجب توفير المساندة الكافية له في كل الأوقات في المجالات السياسية.

وهذه الإجراءات ليست بها شيء غريب وكانت هي الطريق الطبيعي للأمور، ومع هذا فقد كانت ستحسم الحرب لصالحنا في شمال أفريقيا.

ولم يبدأ القوم في إدراك أهمية أفريقيا إلا عند وصول أنباء الانهيار في أفريقيا، وفي ذلك الوقت فقط زادوا مجهوداتهم كما يفعل صغار العقول عادة في الأزمان والأخطار لكي يروا أبعد من أفقهم.

وقد وجهنا النظر مرارًا وتكرارًا لإمكانيات مسرح العمليات الأفريقي، ولكن القيادة العليا صدتنا في كل مرة بحجج تافهة للغاية، ولم نضيع أي فرصة لنشر أفكارنا ولكن هذا كله ذهب هباء.

كيف يمكن القضاء على العملاق الروسي؟!

لو توفرت لنا تشكيلات ميكانيكية أكبر وخط مواصلات مؤمن لاستطعنا تحقيق ما يلي تقريبًا، في الفترة ما بين بداية عام 1941 وصيف عام 1942:

أ- كنا نستطيع سحق وتدمير الجيش البريطاني الميداني مما سيفتح الطريق لقناة السويس، وسيضطر البريطانيين إلى إحضار قوات جديدة للشرق الأدنى، وهذا يتطلب شهرين على الأقل، وكنا نستطيع فيها القيام بأي عمليات نحتار القيام بها.

ب- بعد وقوع ساحل البحر المتوسط كله في أيدينا، يمكننا شحن الإمدادات إلى شمال أفريقيا دون أي خطر عليها، وكان من الممكن عندئذ الاندفاع قدمًا إلى إيران والعراق بغرض عزل الروس عن البصرة والاستيلاء على آبار البترول وإنشاء قاعدة للهجوم على روسيا من الجنوب، ولن يستطيع الروس على الإطلاق من الناحيتين التنظيمية والتكتيكية حشد قوات ميكانيكية بسرعة تستطيع الصمود في وجهنا في السهول المفتوحة.

ج- أثناء فترة الاستعداد في العراق تمهيدًا لهجوم كبير على الجبهة الروسية الجنوبية، كان من الضروري عزل «مورماسك» عن بقية الأراضي

الروسية، ومن الأفضل إذا أمكن الاستيلاء عليها بهجوم من فنلندا، وبذلك سنقوم بغلق أهم ميناءين، وهما البصرة ومورماسك في وجه الأمريكين، والميناء الوحيد الذي سيبقى في أيدي الروس هو «أرشانجل»، وهذا المرفأ تقفله الثلوج عدة أشهر كل سنة وموقعه ردئ على أي حال.

د- وسيكون غرضنا الاستراتيجي النهائي هو الهجوم على الجبهة الجنوبية للقوقاز للاستيلاء على باكو وحقول بترولها، وهذا كان سيعتبر بمثابة ضربة قاصمة للروس في نقطة حساسة، لأن قسما كبيرا من مدرعاتهم التي تحمل العبء الأكبر في قتالهم ضدنا كانت ستتوقف بسبب النقص في البترول، كما أن سلاحهم الجوي كان سيصاب بالشلل، ولم يكن أمامهم بعد أن يتوقعوا أي مساعدة أمريكية جديدة، وبذلك كانت ستتوفر لنا الظروف الاستراتيجية بالإحاطة بالعملاق الروسي من كل ناحية، ثم القضاء عليه.

وعندما قمت بعرض هذه الخطة في خطوطها الرئيسية، رفض المسئولون أصحاب الآفاق الضيقة واعتبروها خيالية وغير واقعية.

التعليق على الحرب في أفريقيا:

فيما يلي ملخص لأسباب هزائم الجيش الثامن:

1 - في بداية الحرب لم تكن بريطانيا من الناحية العملية قد اجتازت مرحلة دبابة المشاة بالإضافة إلى دبابة الاستطلاع الخفيفة، ولم تهتم بتدريب قواتها بما تتطلبه الحرب الميكانيكية من سرعة التحرك ومرونة واتصال قريب بين القيادات والقوات، والاستثناء الوحيد من هذه القاعدة كان في وحدات الاستطلاع البريطانية التي كان تدريبها ممتازًا.

2 - كان في وسع القادة الإنجليز معرفة مكامن الخطأ بسرعة، ولكن التحميل الميكانيكي وحده مهما كان جيدًا لا يستطيع إصلاح الموقف،

لأن إعادة تدريب الضباط والقادة وتهيئة القيادات للعمليات السريعة، لا يمكن أن يتم في هذا الوقت القصير.

3 - كان مرمى مدافع الدبابات البريطانية ومدافعهم المضادة للدبابات قصيرًا للغاية، وظل هكذا حتى صيف عام 1942، بل إن دبابات المشاة لم تزود في بداية الأمر بذخيرة قوية الانفجار، وإنما بدانات مصمتة.

4 - كما أنني أعتقد أن أغلب القادة البريطانيين الكبار كانوا ملتزمين في تفكيرهم بخطوط ثابتة لا تتبدل، والوحيد الذي أظهر شيئًا من العبقرية كان «ويفل»، أما «أوكلنك» فقد كان قائدًا بارعًا للغاية، ولكنه كان يترك إدارة العمليات التكتيكية لقادته المرؤوسين الذين ألحقت بهم مرارًا الهزيمة، لأنهم كانوا يكتفون بالرد على ضرباتي دون أن يقوموا بأي عمل فيه روح المباداة، ولم يكن «كننجهام» أو «ريتشي» خبراء في المدرعات، مما جعلهم عاجزين عن إدخال أي تحسينات جذرية على تدريب قواتهم، وأهم من ذلك فشلهما في استخدام قواتهما بالطريقة الصحيحة تبعًا للمطالب التكتيكية للحرب الميكانيكية، أما «أوكلنك» فقد أمسك زمام القيادة بين يديه ونفذ عملياته بتدبير وجرأة يستحقان الإعجاب.

5 - كان مونتجمري في موقف يسمح له بالاستفادة من أخطاء الذين سبقوه، ويضاف إلى هذا أنه بينما قلت إمداداتنا إلى حد العجز، كانت القوافل البحرية الأمريكية والبريطانية تقوم بنقل كميات ضخمة من العتاد الحربي إلى شمالي أفريقيا، وهذه الإمدادات كانت تزيد بكثير عما كان يصل إلى «ويفل» أو «أوكلنك».

ومن مبادئه، ألا يدخل معركة ما لم يتأكد من انتصاره فيها، وبالطبع هذا أسلوب لا ينجح إلا إذا صحبه التفوق المادي مع إحرازه لهذا التفوق بالفعل.

وكان حذرًا للغاية، بل أني أعتقد أنه كان مبالغًا في حذره، ولكنه استطاع استخدام هذه الصفة لمصلحته، وقد كان يتمتع بصفات استراتيجية أكثر منها تكتيكية، إلا أنه لم يكن ممتازًا في قيادة القوات في المعارك الميكانيكية بالرغم من معرفته لأهمية تطبيق هذه المبادئ تمامًا، أما في مجال التخطيط الاستراتيجي فقد كان رائعًا وخاصة في معارك الغزو التي قادها، ومن الصعب أن نجد له خطأ استراتيجيًا واحد.

6 - وفي الحقيقة كانت القاعدة العامة بالنسبة للقادة البريطانيين الكبار أن أغلبهم كانوا يفكرون بأسلوب استراتيجي أكثر منه تكتيكيا، وعند وضعهم للخطط وقعوا في خطأ، وهو أنهم كانوا يهدفون للحصول على ما يأملون فيه استراتيجيًا وليس للحصول على ما يمكنهم القيام به تكتيكيا.

7 - وبوجه عام كان من الخطأ أن تبدل بريطانيا القائد العام في أفريقيا باستمرار، فقد كان هذا يضطر القائد الجديد ليتعلم نفس الدروس المريرة مرة أخرى.

لقد أضاعت القيادات العليا في ألمانيا وإيطاليا كل فرصتنا في النجاح في شمال أفريقيا، ونتج عن ذلك تضحيتها دون سبب وبأعداد ضخمة من القوات الألمانية والإيطالية في تونس، مما جعل من المستحيل وقف عمليات إنزال العدو في جنوب إيطاليا، وكانت تجربة الحلفاء هناك ناجحة فزودتهم بالثقة التي كانوا يحتاجون إليها للمخاطرة بالقيام بإنزال في فرنسا، ولم تصمد قواتنا في إيطاليا إلا لشجاعتها ولقيادة «كسلرينج» و«ويستفال» الممتازة، فأدى هذا إلى عدم انهيار الجبهة هناك، ولكن الكارثة في تونس أضعفت هيبة الدوتشي، فانهارت أحلامه بالنسبة لإنشاء الإمبراطورية الرومانية مرة أخرى.

وقد أمكن وقف البريطانيين والأمريكيين في جبال إيطاليا، ولكنهم

بعد قليل أنزلوا قوات كبيرة في نورماندي وحطموا تشكيلاتي بمدفعيتهم ومدرعاتهم وسلاحهم الجوي.

ولقد لقى رجالي حتفهم بالألوف دون تردد في معركة لا يمكن أن نكسبها، ولم يعد بمقدورنا الاستمرار على ثلاث جبهات، وقد اخترق الروس خطوطنا في الشرق، وحطموا عددًا كبيرًا من فرقنا واندفعوا نحو الغرب، ولن نستطيع إقامة جبهات جديدة إلا بصعوبة بالغة وباستخدامنا لآخر قواتنا الاحتياطية في الشرق والغرب، وأخيرًا ساد في السماء فوق ألمانيا ظلام حالك.

****

الفصل التاسع عشر

الأيام الأخيرة في حياة رومل

هذا الفصل لم يكتبه رومل وكتبه ابنه مانفرليد رومل

في منتصف أغسطس 1944، خلال وجودي خلف المدفع الذي أعمل عليه على مشارف مدينة «أولم»، تلقيت مكالمة هاتفية من قائد فرقتي: «لقد وصل والدك إلى «هرلينجن» ولقد نقلوك لتعمل كأحد أركانات حربه، وسيتم نقلك اليوم».

ونقلتني سيارة القيادة إلى «هرلينجن»، واجتزت الحديقة وتوقفت أمام المنزل، وذهبت إلى غرفة المكتب وكان والدي يجلس في مقعد ضخم بجوار منضدة وعينه اليسرى مغطاة برقعة سوداء وكان النصف الأيسر من وجهه مشوهًا من الإصابة التي أصابته، ونهض بصعوبة على قدميه ثم تبادلنا التحية، وقال ردًا على سؤالي للاستفسار عن صحته، حتى الآن أنا في تحسن وأحيانًا تنتابني نوبات صداع وعيني اليسرى مقفلة وغير قادرة على الحركة، ولكن هذا كله سيتحسن.

وجلست أنا ووالدتي معه، ثم استأنف حديثه عن تجاربه في نورماندي، وتوسل الأطباء لوالدي أن يلزم فراشه لبضعة أسابيع، ولكنه لم يستمع لنصائحهم لأنه لم يكن مرتاحًا نفسيًا على الإطلاق.

وقد انفجر والدي غاضبًا عندما سمع أن القوات تسحب من الجبهة الشرقية لترسل للجبهة الغربية، وحتى هذا الوقت لم أكن قد سمعت شيئًا عن محاولات والدي لإتمام صلح منفصل مع الغرب، ولم أفكر مطلقًا في أنه

قد يكون هناك أي صلة بينه وبين الضباط الذين قبض عليهم بعد مؤامرة 20 يوليو، ودهشت ذات يوم عندما سمعت أن بعض رجال «الجستابو» يحومون حول منزلنا ويهتمون بكل ما يدور في داخله، وفي هذا الوقت كنت قد اعتدت أنا ووالدي أن نتنزه يوميًا في الغابة القريبة من منزلنا.

وكانت حالة والدي تؤرق «هتلر»، لأن انتشار الأنباء بأنه حتى الفيلد مارشال «رومل» يعتبر الحرب منتهية، وينصح بإتمام صلح منفصل، فهذا يوازي إعلان إفلاس إمكانيات ألمانيا العسكرية، وهذا هو السبب في أنه كبح جماح نفسه بعد أن عرف أن والدي حاول إتمام الصلح بمفرده منذ وقت طويل.

وفي يوم 7 سبتمبر، أمر بالقبض على الجنرال «شبايدل»، وبدأ الفصل الأخير من المأساة، وبالرغم من أنه لم يكن قد تم إخطار والدي رسميًا بالقبض عليه، فإنه حاول بكل وسيلة ممكنة الحصول على العفو عنه.

ولكن ظل مكان الجنرال «شبايدل» مجهولًا، وبعد القبض عليه بقليل ذكر اسمه مع اسم والدي أمام لجنة الضباط العليا، ولكن قضية «رومل» لم تناقش رسميًا.

وفي 7 أكتوبر، وصلت إشارة إلى «هرلينجن»، وطلب فيها الفيلد مارشال «كتيل» من والدي الذهاب إلى برلين لحضور مؤتمر هام في 10 أكتوبر، على أن يسافر في قطار خاص من «أولم»، وقال والدي عندما عرض عليه الأمر: «أنا لست غبيا لهذا الحد ونحن نعرف هؤلاء القوم الآن، ولن أصل لبرلين على قيد الحياة».

وتكلم في الموضوع بصراحة مع الأستاذ «البريخت» أخصائي المخ في جامعة «توبينجن» وكان يعالجه، وعليه كتب له البروفسور شهادة أنه لا يستطيع تحمل الرحلة، وقال والدي إنه سيفكر في هذا العرض، ولكن الأحداث تحركت بسرعة، لأن رفض والدي الذهاب لبرلين لم يطل حياته لأكثر من أربعة أيام.

وعند عودة والدي إلى «هرلينجن» بعد رحلته الطويلة بالسيارة، وجد رسالة تليفونية تنتظره وتتضمن أن جنرالين سيحضران في اليوم التالي للتكلم معه بخصوص مهمته المنتظرة.

وقبل ذلك بعدة أسابيع كنت قد عدت لبطاريتي، ثم منحت بعدها إجازة عن يوم 14 أكتوبر، وتركت موقع المدفع في وقت مبكر من الصباح ووصلت «هرلينجن»، وكان والدي يتناول إفطاره بالفعل، وتناولنا الإفطار سويًا، ثم تنزهنا في الحديقة وبدأ والدي الحديث: «في الساعة الثانية عشر اليوم، سيصل جنرالان لزيارتي لمناقشة مهمتي المستقبلة، وعليه فاليوم سيتقرر مصيري، فإما محكمة الشعب أو قيادة جديدة في الشرق».

وسألته: هل تقبل مثل هذه القيادة؟

وأخذني من ذراعي وقال: «يا ولدي العزيز إن عدونا الشرقي رهيب لدرجة أن أي اعتبارات أخرى يجب أن ننساها، ولو نجح في اجتياح أوروبا ولو حتى مؤقتًا، فسيكون هذا نهاية لكل شيء، بالطبع سأقبل الذهاب إلى هناك.

وقبل الساعة الثانية عشرة بقليل، ذهب والدي إلى غرفته في الدور الأول وغير ملابسه من السترة المدنية بنية اللون التي كان يرتديها فوق بنطلون ركوب إلى زيه الأفريقي الذي كان يفضله بسبب ياقته المفتوحة، وحوالي الساعة الثانية عشرة، وصلت سيارة خضراء قاتمة عليها نمر معدنية تحمل اسم برلين وتوقفت أمام بوابة حديقتنا، وكان في المنزل بالإضافة لوالدي، النقيب «آلدينجر» ومحارب قديم جريح برتبة العريف وأنا، ونزل جنرالان وهما «بيرجدورف» و«مايزل»، ثم دخلا المنزل وكانا مهذبين وطلبا من والدي السماح لهما بالتكلم معه على انفراد، وغادرت أنا و«آلدينجر» الغرفة، وشعرت بالراحة لأنهم لم يقبضوا عليه وبعدها

بدقائق قليلة، سمعت والدي يصعد السلم ويدخل غرفة أمي، وللهفتي على معرفة ما يدور، نهضت ودخلت الغرفة، وكان يقف في منتصفها ووجهه شاحب، وقال في صوت منقبض: «تعالَ معي للخارج»، وذهبنا إلى غرفتي، وبدأ يتكلم ببطء: «لقد اضطررت لأن أقول لوالدتك إنني سأموت بعد ربع ساعة»، وكان هادئًا واستمر في حديثه: «إن موت المرء بيد بني وطنه أمر صعب، ولكن المنزل الآن محاصر و «هتلر» يتهمني بالخيانة العظمى»، وقال بسخرية: «ونظرًا لخدماتي في أفريقيا فلي الخيار في أن أموت بالسم، وقد أحضره الجنرالان معهما، وهو يميت في ثلاث ثوان، ولو قبلت لن تتخذ الخطوات المعتادة ضد عائلتي أي ضدكما، كما أنهما سيتركا هيئة أركان حربي وشأنهما»، وقاطعته: وهل تصدق هذا»؟

وأجابني: «نعم أنا أصدقهم، فمن صالحهم ألا تفوح رائحة الموضوع، وبالمناسبة لقد كلفوني بأن أفرض عليكما الصمت التام، ولو خرجت كلمة واحدة فإنهم لن يرتبطوا بما اتفقنا عليه».

وحاولت مرة أخرى: «ألا نستطيع الدفاع عن أنفسنا»، ولكنه قاطعني في الحال قائلًا: «لا داعي فالأفضل أن يموت واحد منا من أن نقتل جميعًا في معركة بالنيران، وعلى أي حال ليس لدينا ذخيرة، وودعنا بعضنا باختصار، ثم قال لي: أرجو أن تستدعي «آلدينجر».

وكان «آلدينجر» في هذه الأثناء قد شغل بالحديث مع حرس الجنرالان لإبعاده عن والدي، وعند ندائي عليه جاء يجري صاعدًا، وقد صدم بشدة عندما سمع بالخبر، وتكلم مع والدي بسرعة، وقال مرة أخرى: «إنه من المستحيل أن ندافع عن أنفسنا لأنهم أعدوا كل شيء بدقة، وسيقيمون لي جنازة عسكرية، وقد طالبت إقامتها في «أولم»، وفي خلال ربع ساعة ستتلقى مكالمة تليفونية يا «آلدينجر» من مستشفى «واجنارشيل» في

«أولم»، تقول إني أصبت بنزيف في المخ وأنا في طريقي إلى المؤتمر»، ثم نظر في ساعته: «يجب أن أذهب فقد سمحوا لي بعشر دقائق فقط»، وودعنا بسرعة مرة أخرى ثم نزلنا سويا.

وساعدنا والدي على ارتداء معطفه الجلدي، ثم خرجنا من المنزل سويًا، وكان الجنرالان يقفان في بوابة الحديقة، وسرنا ببطء في الممر، وعند اقترابنا من الجنرالين رفعا أيديهما اليمنى بالتحية، وقال «بيرجرورف، باختصار: «سيدي الفيلد مارشال» وانحنى جانبًا ليمر والدي عبر البوابة، وكانت السيارة تقف على استعداد، وفتح السائق باب السيارة، ووقف في وضع انتباه، ووضع والدي عصا المارشالية تحت ذراعه الأيسر وبوجه هادئ صافحني وصافح «آلدينجر» مرة أخرى قبل أن يركب السيارة. وصعد الجنرالان بسرعة إلى مقعديهما وقفلت الأبواب وانطلقت السيارة بسرعة صاعدة التل واختفت عند منحنى الطريق، وبعد عشرين دقيقة دق جرس التليفون، ورفع «آلدينجر» السماعة ليسمع خبر وفاة والدي، وفي هذا المساء ذهبنا لمستشفى «أولم» حيث يرقد والدي رقدته الأخيرة، وكان والدي يرقد على السرير في لباسه الأفريقي البني وعلى وجهه تعبير ينم عن الاحتقار.

وأحقر مظاهر هذه القصة، هي مشاعر العزاء التي تلقيناها من «هتلر» ومن أعضاء الحكومة الألمانية، وهم رجال لابد وأنهم يعرفون السبب الحقيقي لوفاة والدي، وساهم بعضهم بالفعل فيها بالكلام والعمل.

وبينما كان هؤلاء الرجال يحاولون بنفاقهم إخفاء حقيقة هذه المهزلة، كان الآلاف من الجنود الألمان يموتون في الشمال والجنوب والشرق والغرب بأمل ضئيل، ولكن كانوا يثقون ثقة كاملة في قياداتهم.

ونكتفي بهذا القدر من مذكرات ثعلب الصحراء (رومل) ولا شك إننا اكتشفنا من خلالها عبقرية ذلك القائد الإنسان.

فهرس المحتويات